

# ابو زيد

تأليف حضرة السيد المحترم

على أحمد الشهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية



طبع بالمطبعة الشرفية بمصر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سنة ١٣٢٧ هجرية (المؤلف) سنة ١٩٠٩ ميلادية





الحمد لله الذي كون الاكوان فابعد صنعها ثم خلق الطير والحيوان  
واعده لها مستلزمات سبغانه خلق الانسان من صاصال من حامسون فصوره  
على احسن صورة وجعل له العقل واللسان يدفعانه عن كل رذيلة ويحثانه على  
كل فضيلة ثم الصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين لاسيما خاتمهم اجمعين ومن  
تبعهم من الموحدين

﴿ اما بعد ﴾ فقد خلق الله الانسان مولعاً بالحياة الدنيا سواء في سرائه  
وضرائه أو فقره وغناؤه أو اقدامه وجنبه أو علمه وجهله حتى لكثرة  
ما يعانيه في سبيل ذلك لا يستريح له فؤاد ولا يطمئن له بال ولا ينام الا وهو  
خريق في مشغولياته الدنيوية يتقلب طول ليله على جنب ما بين محاربة النوم  
ومعاكسة الأرق وزعزعة الفكر وقلقلة الجسم كأنه على شواظ من نار الى  
ان يقوم مبكراً فيشغل نفسه بما كان فيه قبل ان ينام وهكذا يتداول  
الانسان ايامه ولياليه في معترك هذه الحياة سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله  
تبديلاً

وتلك المشغوليات الدنيوية تختلف لدى عموم الناس باختلاف اخلاقهم  
وعاداتهم زماناً ومكاناً حتى اصبحت لكل منهم وجهة هو موابها قد شغلته فألهته  
عما ينتابه من طوارئ الحذران . وكوارث الزمان . ذلك الذي نتج عنه ان

كثيراً من الناس قد انقادوا للشر بأنواعه بناء على ان الانسان اميل للشر اكثر منه الى الخير وهم السواد الاعظم من اهل هذا الزمان الذين صاروا اتعساء الدارين حيث جادوا عن سواء السبيل وضلوا ضلالاً مبيناً بصرف النظر عما يتخيل لهم في انفسهم انهم ممتعون بالراحة المنشودة والسعادة الدنيوية . والبعض الآخر قد جعلوا الخير ديدنهم فسلكوه بكافة انواعه ولو ان منهم من تغالى غلوا كثيراً في ذلك ومنهم من تساعل ومنهم من اعتدل الا ان المنفعة على وجه العموم مضمونة لهم ولدويهم بل والنوع البشري على الاطلاق . ولعمري فهؤلاء هم اقرب للسعادة الحقيقية من اولئك الذين هم شر على انفسهم بل على الهيئة الاجتماعية في هذه الحياة الدنيا

نعم ان السعادة بكافة معانيها هي عبارة عن حصول الانسان على ما يريد من بعضا منه سواء كان نافعاً أو ضاراً كما تشعر النفس بذلك ويقر عليه كافة الحكماء الا ان معتقدي في هذه المسألة لا يخرج عن ان اشرف سعادة على وجه العموم هي السعادة التي يحس بها الانسان عند حصوله على الواجب لنفسه ولعشيرته ولوطنه ولدينه كما لا يخفى على كل عالم بحقائق الامور . ذلك مادعاني للتنبه عنه استفزازاً لرباب البراعة واستنهاضاً لأولى العزم والخدمة العامة كي يقوموا بما تقضي عليهم به الذمة والتسرف فيعتنوا باصلاح حال اولئك الاتعساء الذين يلزمهم ان يستيقظوا من رقادهم الطويل فينظروا لانفسهم وابنى الانسان عموماً نظر الحكيم العاقل والطبيب الماهر فيصلحوا ما فسد الدهر ويقوموا ما عوج من حالنا ويدأوا مرضى نفوسنا وطباعنا بما يلائم عادتنا ويوافق مشاربنا سواء كنا فقراء أو أغنياء

وقد خصصت استنهاضي بأرباب البراعة في هذا الموضوع لالشيء سوى انهم هم الفئة الشريفة الوحيدة التي عليها المعول في كل امة بل هي التي تقود

افكار الكبير قبل الصغير حتى انه لا تقوم قائمة حسنة كانت أو سيئة الا ونجد اكبر مثبر لها هي تلك الفئة التي اذا شامت جمعت السراب ماء والحبة قبة والدمع بحراً والبحر برأ بما احرزه رجالها من بلاغة التعبير وفصاحة اللسان وقوة الحجج فضلاً عن الخبرة بحقائق الامور وتقلبات الدهور . اولئك هم الذين اذا طرقتوا بابا ولجئهم الناس وراءهم زرافات ووحدانا كأنهم ملوك والكل لهم يتبعون

يذكرنا ذلك بكثير من مشاهير الكتاب والمؤلفين الذين ظهروا من كافة الامم القديمة والحديثة حيث كانت لهم اليد البيضاء في إخماد الثورات العظيمة والقلاقل الوحشية التي لولاهم لكان من ورائها إثارة المواقف وتهيج القلوب وشق الجيوب وإقامة الحروب وسفك الدماء ويتم الاطفال وخراب البيوت وإعدام الاسرار لاعلى شيء سوى النذر اليسير من المطامع الاشعبية

نعم لا تقوم قائمة تلك الفئة القليلة بنفسها الكثير بعمالها في أي زمن من الازمان الا بموازرة الاغنياء وأولى الامر موازنة أقبل مافيهما أن لا تنقص عن تشجيع الفئة المذكورة على مائسى اليه كما يدعو الى ذلك الخير وتفرضه مكارم الاخلاق وتنادى به الانسانية والآداب . فضلاً عن ان الانسان مهما بلغ من الثروة والسودد والفخار والراحة بل مهما بلغ من زينة الحياة الدنيا فان ذلك لا يلبث أن يزول في طرفة عين عند ميأتيه الموت من حيث لا يحتسب فيمسي ساكن رمة ويصبح وحيداً بعماله الدنيوى بين يدي الملك الديان . هنالك ينظر الانسان بمنتهى ويسرة فلم ير امامه أثراً لما كان فيه من ذلك النعم الزائل بل من تلك الزينة الكاذبة حيث يتحقق وقتها من ان الحياة الحقيقية ليست بالصفة التي شب وشاب عليها قبل أن يموت بل هي بصفة أخرى غابت عنه وحجبتها عن بصره وبصيرته وخارفي الحياة

على اننى لأعنى بتلك الصفة الاعمال الخيرية التي اذا غاب الانسان عن الوجود لحظة فهي لم تغب عنه هنية واذا طرأ عليه ما يبطئ همته ويضعف عزيمته فهي هي بعينها لا يعتورها شيء من ذلك الضعف وذلك الشيطان وعلى العموم فان الانسان لا بد أن تنقضى أيامه القليلة ثم يذهب الى حيث أتى أما تلك فتبقى أبد الآبدين

ولو بحثنا في أنواع تلك الاعمال الخيرية لضاق بنا المقام واحتجنا للتحرير والتجوير آباء الليل وأطراف النهار الا أننا لانتكلم هنا الا على وجه العموم من حيث الخير بكافة معانيه حيث ان أفضل عمل يأتيه الانسان في حياته هو ما كان نافعا في الدنيا والآخرة كما أشار الى ذلك الحديث الشريف الذي جمع فأوعى من الحكم البالغة والمعاني الثمينة حيث قال صلى الله عليه وسلم « اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

نعم تلك الاعمال الخيرية مفروضة على الانسان فرضاً محتوماً من حيث هو انسان لا تأثر للفقر والغنى على ذلك لان الفقير لا يطلب منه شيء يؤديه سوى المساعدة الادبية بقدر ما يستطيع كهداية نفسه وغيره من بني نوعه بالقلب واللسان لا بالهيلم . أما من كان ذاسعة وبسطة في الميش خصوصاً سلاطين الاموال وأصحاب التيجان وأولوا الكلمة النافذة فهؤلاء هم المسئولون جميعاً امام الله والناس أجمعين عما يفرض منهم من التقصير في اصلاح الحال مادياً وأدبياً

على انه والله ليحزنني بل يحزن كل محب للخير ان توجد الالوف المؤلفة من الموسرين الذين لا شغل لهم سوى ان يسرحوا ويمرحوا في مجبوحه الاس والطرب تائهين في بيداء الرذيلة ضالين في صحارى الغفلة غير ناظرين لمن حولهم من اخوانهم في الانسانية الذين قد سطى عليهم الدهر بكسكه فأصبحوا

من المعوزين ماليا وأديبا يستحقون الرأفة والحنان والمساعدة من أولئك  
الموسرين الذين غمرهم الله بآلائه . ذلك لان الحياة في الحقيقة كلها واحدة  
لا فرق فيها بين غنى وفقير الا فيها ولدت الافكار السخيفة واقتضته البهرجة  
الكاذبة وأوجده الترف والنفخخة الوهمية . ذلك الذي في الغالب لا يؤمن  
به الانسان الا وقتما يصيبه الله بمرض أو مصيبة تذكره بماضيه ومستقبله بل تبسط  
بين يديه بساط حسناته وسيئاته فضلا عما تشغله اليه من آمال النفس والأعيب  
الهوى وزخارف الحياة وتقلبات الدهور حيث وقت ذلك تجعل الحقيقة  
للانسان فيندم على ما فات وانقضى بعد ان يعتقد كل الاعتقاد بان حياته بل حياة  
النوع البشري في هذه الدار كلها غرور في غرور ولم يبق منها باقية الا ما قدمت  
يداه من خير أو شر

ولكن من أين يكون لمثل أولئك الموسرين الضالين خير أو حسنة مادام الجمود  
قد استولى على بعضهم من جهة والانهماك في الشهوات النفسانية قد سطر  
على البعض الآخر من الجهة الاخرى حتي قست قلوبهم وعميت بصيرتهم  
وصاروا في حالة لا يؤمل معها اصلاحا أو فلاحا الا ان كانت هناك عناية  
الهية تهديهم سواء السبيل فيأتمروا بأوامر الله ويتعاونوا على فعل الخير  
ومحاربة الشر فيزول عنهم ذلك الانهماك وذلك الجمود

لعم نحن نعتقد تماماً بأن الله سبحانه وتعالى لم يحرمنا من أناس ذوي فضل  
ومروءة قولاً وعملاً الا انهم ويا للأسف يعدون على الاصابع بالنسبة لما هو  
فيه النوع الانساني من كثرة الانتشار والازدحام العظيم خصوصا الشرقيون  
الذين أصبحوا الآن مضخة في الافواه تلو كه على الدوام السنة القرييين والبعيدين  
سواء كانوا من طبقات عالية أو متوسطة أو متأخرة حتى اليونانيين باعة الزيتون  
والتليين أكلة المكرونة الذين هم أدنى مرتبة بين عموم الغربيين

ومن الغريب اننا نحن الشرقيون عند مناقش انفسنا الحساب نتحقق من ذلك العيب الهائل فنندب سوء حفظنا ونوخ ضميرنا ثم نعقد الخناصر على محاربتة محاربة قد لا يعضى عاينها سواد الليل حتى تزول من صفحات أفكارنا بناء على جودنا وعدم اعتمادنا على فعل الخير فضلا عما قد سرى في شراييننا من الخمول وعدم الثبات في أمورنا الداخلية والخارجية . ذلك الذي أثر على عواطفنا تأثيراً كاد يعجز ما لدينا من الاسـ تعداد الطبيعى الذى تظهره الحركة وقت الحاجة ويخفيه السكون وقت الازوم الا انه لحسن الحظ لم تزل له باقية في نفوسنا كمنة في صدورنا نؤمل أن تحيا وتترعرع بمرور الايام ومرور الاعوام حتى بها نعيد لانفسنا سيرتنا الاولى من النخوة والشهامة والفسلاح والنجاح فنبارى غيرنا من الغربيين بل نفوقهم ماليا وأدبيا غير ان ذلك على ما يظهر لا يتأتى الا بعد أن تنبه حواس الشرقيين وتدب فيهم الغيرة والحماسة فيدخلوها رداء خوهم ويبذلوا كل عزيز لديهم في خدمة أنفسهم وبلادهم فيصبحوا في مقدمة الناس أجمعين

إننى أتأفف والله من أن أضرب مثلا بالبلاد المصرية تنوياً على ما نحن بصدده الآن ولكن هى الحقيقة أحوجتنى لذلك حيث ان عدد سكانها يبلغ ١٢ مليوناً من النفوس الذين عند ما تقوم بينهم قائمة خيرية لا يصيبها منهم الا اذان صماء وعيون غامضة وأفئدة واجفة كأنهم الى الموت مساقون مع ان أقل الامم القريبة التى لا تبلغ عشر البلاد المصرية مالا ورجالا تأتي من المروعة فى مثل هذا المقام ما يعلى شأنها فى الخافقين ويخلد ذكرها فى الدارين ويهود على بنينا بالخير العاجل

على انه من ضمن عجائب المصريين بل من مصائبهم التى يسمعون اليها من تلقاء أنفسهم ان الله سبحانه وتعالى عند ما يهيئ أحدهم لعمل من الاعمال

الخيرية كتشديد الملاجئ واقامة المساجد وتوسيع نطاق التسامح وما شابه ذلك مما يفرضه الدين وتميل اليه النفس الشريفة وتنادى به الانسانية وتبحث عليه الآداب فلا يقابلونه الا بالسخرية والاستهزاء بل بالحسد والبغضاء متقولين عاياه بان ذلك العمل ماقام به الا لغرض في نفسه ومرض في قلبه قد سرى في شرايينه حباً في الشهرة ورغبة في الظهور • الامر الذي انبى عليه ان كثيراً من أهل الخير قد انثنوا عما كانوا اليه يسعون تاركين الذنب على مثل أولئك الذين هم صاروا شرا على أنفسهم وذويهم ووطنهم في كل زمان ومكان • ولكن من جهة أخرى لا يلقى باحجاب الخير أن يلفتوا نظرهم لتلك الاقوال بل يلزمهم أن ينظروا لها شذراً ويضربوا بها عرض الحائط شأن لرجل العاقل الذي يقدر الامور قدرها دون أن يافت نظره لسفاسف الاقوال وفساد المفسدين الذين أعدهم زجراً وهداية ان شاء الله عند ما شرع في تميم كتابي بين يدي الآن • أما كتابي هذا الذي أقدمه هدية منى لبني آدم وحواء على وجه السوم فأرجو ان يكون خير كتاب أخرج للناس فيما وضع لاجله وأن يكون هو الكتاب الوحيد الذي يصبح مرآة تشخص للكثير ما لم تسمع به آذانهم ولم تروا أعينهم بأبلغ عبارة وأوجز مقال وأسهل تعبير مما لو قضى الانسان في الحصول عليه من تلك الجلدات الضخمة والمؤلفات الطويلة العريضة لاحتاج للوقت الكثير والتعب الشديد • ذلك الكتاب الذي اشتمل على البحث في أصل الكون ومشتقاته وعلى تاريخ الانسان ومتعلقاته قديماً وحديثاً فضلاً عن أنني قد سرت فيه سيرا مقبولا يجب للقارئ أن يتلوه من أوله لاخره دون أن يضجر أو يصتورد الملل قلت اني سرت في هذا الكتاب سيرا مقبولا وما ذلك الا لانه كما سيراه القارئ مشتملاً على الطيف موضوع وألذ ما تميل اليه جوارح الانسان بل محتوي على منتهى ما يضل اليه البحث وأقصى ما يرمى اليه نظرنا في كل زمان ومكان

وفي الحقيقة ليس هناك شيء أنطف وألد من أن يعي الانسان في صدره شأ عن تاريخ الكون ومشتملاته والانسان ومتعلقاته لانه على الدوام ينظر في ذلك بعين الروية والامعان ويفكر فيه طويلا كلما وجد لنفسه مجالا وتفكره احتمالا معللا نفسه بان يقف على الحقيقة في القريب العاجل . ذلك ما حدا بي لان أعاني ما نيتته من المتاعب والمشقات في درس الكتب السماوية والاطلاع على أهم التواريخ الارضية قديمها وحديثها خصوصا الكتب العصرية تلك التي كانت كلها عوناً لي بل أعظم نصير على تأليف كتابي هذا الذي أخرجته للناس أجمعين أملا في أن اكون قد قمت بخدمة تصادف قبولاً لدى عموم الناس بل الناطقين بالضاد خصوصا كي بالاقلة يكون ذلك سبباً لتشجيع مثلي فيثابر على هذا العمل النافع والمقصد الشريف . ولست أطلب من القارئ أن أجرا أو شكراً انما أطلب منهم واليهم الهداية والتوفيق كي يغفر الله لي ولهم ذنوبنا ويتوب عنا انه هو التواب الرحيم

على أحمد الشهيدى  
المؤلف

## الفصل الاول

### الكون

قبل أن نبحث في أمر الانسان ومتعلقاته من جهة نشأته وأحواله زماناً ومكاناً يهمنا كثيراً أن نكون على بصيرة من أصل هذا الكون الشامل لهذه الارض وما حولها من فضاء وهواء وماء وأجرام سماوية . ذلك الذي شغل الناس عموماً من عهد نوح وإبراهيم وموسى في استكشاف حقيقته ووقوف على كيفية وجوده لان الانسان كلما وقع نظره ولو على جزئي من الجزئيات سواء كان جماداً أو نباتاً أو حيواناً سمي من نفسه بحكم الطبيعة وراء استكشاف حقيقته واستقصاء تاريخه باذلاً في ذلك جهد الاستطاعة مهما عانى من المتاعب

والمشقات أملا في استنتاج نتيجة أو ظهور فائدة تعود عليه وعلى النوع الانساني بالخبر والفلاح والنجاح . فاذا كان ذلك شأن الانسان في الجزئيات فما بالك بالكليات التي أهمها ما كان له به علاقة كبرى كالكون ومشمولاته من أرض وماء وهواء وسماء

على انه كان للامم القديمة في البحث عن أصل هذا الكون أفكار مختلفة وآراء متباينة ما بين خرافية ودينية وعلمية قد كانت سببا لتنبية أفكار الامم الحديثة تنبها حملهم على الخوض في عباب هذا الموضوع فحاضوا عيابه وجابوا سهوله وحلوا عويصه حتى انهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة مما يشاهدونه في هذا الكون مشاهدة حسية أو مضموية الا وحللوها تحليلا عقليا وكماويا حتى استخلصوا من ذلك رأيا علميا دعوه ( الرأي السديمي ) اي يقضى بان مشتملات هذا الكون كانت في إبان أمرها عبارة عن أجسام غازية مائعة منيرة حارة شاغلة لهذا الفضاء الذي لانهاية له على الاطلاق ثم لما أخذت تلك الاجسام تشع حرارتها صارت تتكاثف شيئا فشيئا بمعنى أن بعض الغازات استحالت الى سوائل والسوائل الى جوامد والجوامد أخذت عناصرها المولدة منها تتلاصق ببعضها على هيئة كتل مختلفة الحجم والشكل ساجدة فيما يحاطن من هذا الفضاء كي تمضي عمرها ما بين النبوية والكهولة والشيخوخة والهرم حتى يقضى الله بها أمرا كان مفعولا إما عودة للتجديد أو فناء في فناء

### ﴿ العالم الشمسي ﴾

قد علمنا مما تقدم أن الكون مؤلف من تلك الكتل أو بالحرى من تلك الاجرام التي تختلف عنها النظام الشمسي الموجود الآن حيث كان سديما كما أوضحنا فتكاثف الى كتل كثيرة مختلفة الحجم والشكل والحرارة أكبرها سموه الشمس التي لزيادة جاذبيتها تغلبت على الكتل الاخرى فأهقفت جزأها

بدون حركة وسموها الكواكب الثابتة • أما الجزء الآخر فبعضه دار حولها  
وبعضه حول نفسه وحول بعضه وجميعها سموها الكواكب السيارة • ومن بين  
هذه الكواكب ما هو غير صالح للحياة كالقمر وما هو صالح لها كالارض التي  
عند ما تجرد ظاهرها من الحرارة اكتسب بقشور أخذت تتعاطم شيئاً فشيئاً بتأثيرات  
الجو وتقلباته حتى صارت صالحة للحياة النباتية والحيوانية التي من ضمنها  
الانسان

ويظهر ان أول شيء ألفت أنظار الباحثين للتنبؤ بان أصل الكون كان  
بتلك الصفة هو ما رآه الآن بأعيننا في السماء عند ما ننظر اليها في ليلة صافية الجو  
حيث تتجلى لنا كافة الاجرام الظاهرة مختلفة الحجم والشكل واللون واللمعان  
وفي احدى حوالب الفضاء يرى الانسان شكلاً ممتداً من الشمال الى الجنوب  
بغير انتظام يتخيل لنا انه ضباب خفيف يسمونه العرب ( أم السماء ) وعلماء  
الهيئة اتفقوا على تسميته باسم ( السديم ) الذي هو في الحقيقة مكون من أجسام  
غازية مائعة منيرة حارة مختلفة الاشكال والاوزاع كما تحقّقها الباحثون بالنظارات  
الكبيرة وبالانحص كافة المراصد الفلكية التي أشهرها مرصد ( ايدنبرج ) ومرصد  
( هيدلبرج ) ومرصد ( كيبل ) ومرصد ( يركس بشيكاءو ) ومرصد ( هرفرد  
الامريكاني ) فلما كلها أجمعت على ان ذلك السديم هو بالصفة البادية ذكرها  
ويحتوى فعلا على اجرام كثيرة مشابهة للاجرام الشمسية  
العالم الفرسانوسى الجديد

تلك هي النظرية التي بني عليها علماء الهيئة ذلك الرأى السديمى الذي كان  
أصلاً لعالمنا الشمسى الذي نحن فيه الآن كما يقولون • وزادوا على ذلك بأنه  
سيظهر عالم آخر خلاف العالم الشمسى مصدره تلك السدم المتجمعة في هذا  
الفضاء حيث ان أغلب الفلكيين أخذوا يباشرون حركاتها وسكناتها من وقت

لآخر حتى في أثناء شهر فبراير سنة ١٩٠١ استكشفوا كتلة كبيرة ذات  
تغيرات عظيمة سموها ( فرساوس ) نسبة لاول مرصد رآها فراقبوها المراقبة  
الشديدة الى أن ظهرت لهم كتل أخرى متكاثفة تدور حولها من الشرق الى  
الجنوب بسرعة زائدة لم يروا لها مثيلاً للآن

ولما كانت كل أنبأهم مبنية على القياس العقلي والنظري حكموا لاول  
وهلة بان تلك السدم ستتحول بتوالي الازمان الى أجرام تدور حول فرساوس  
المذكور كما تدور كواكبنا الآن حول الشمس فيصبح الكون مشتملاً على عالمين  
: عالم شمسي وعالم فرساوسي . وان كانوا لم يهتدوا لتعيين المدة الباقية على  
هذا الانقلاب الهائل الا انه ليس على الله بعزيز

وعبي العموم فأننا كلما نظرنا لذلك بعين العقل والتأني والروية استراح  
له فكرنا لكونه مبنياً على العلم الصحيح . ذلك الذي دعانا للتصديق بما ذكرناه  
غير هيايين ما يعتورنا من معارضة المعارضين وتبجج الجاهلين المدعين بأن  
ذلك ينافي ما جاءت به الاديان السماوية كما جاهر به بعض بسطاء اللاهوتيين بناء  
على ماسرى في شرايينهم من التعصب الاعمى الذي لم يتمكن منهم في الغالب الا  
لنقص في الفهم أو تفاوت في التفسير أو اختلاف في العقائد والمشارب . والحقيقة  
ان ما نزل الله وما أتى به العلم الصحيح هما توعمان مولودان من أب واحد وأم  
واحدة لا فرق بينهما مهما اختلفت أحوالهما زماناً ومكاناً . فذلك لاننا لو نظرنا  
لما جاءت به الاديان وما فسره المفسرون وما أبداه المتقدمون والمتأخرون من  
جهابذة اللاهوتيين والسنيين وتأملنا في كل ذلك بعين العقل والروية لعلمنا  
بان الله سبحانه وتعالى كونه الا كوان تدريجاً مبتدئاً بخلقه النور أولاً ثم بعد  
ذلك خلق الشمس والقمر وباقي الكواكب ثم الحيوان والطيور والانسان . أما  
الرأي السديمي فأوري بان الكون أصله مادة منيرة كانت موجودة أولاً ثم

تكونت منها الشمس وباقي الكواكب السماوية . ولعمري فهذان التعبيران متطابقان  
لا يختلفان مهما كبر المسكرون الذين يهرفون بما لا يبرفون

### عمر الكون

إذا كان الانسان قد عرف كيف صار الكون بالصفة التي هو عليها فيهمه  
كثيراً أن يعرف مبدأ تكوينه كي يتسنى له تعيين تاريخه بالضبط ولكن للأسف  
دون الوصول لذلك خرط القتاد لان البحث في أمره من أعمق المباحث التي  
تعب فيها الاولون والآخرون فذهب بعضهم أدراج الرياح كما أشار الى ذلك  
ملك حماه أبو الفدا اسماعيل المؤرخ الشهير بقوله : « ان مسألة مبدأ الكون  
هي مسألة خلافية حيث لم يحصل فيها لغاية الآن الوقوف على قول ثابت  
صحيح » . ذلك لان الانسان كان متوحشاً في بدء نشأته فلم يكن له عقل يؤهله  
للسير على مقتضى ما كان عليه أباًؤنا سائرون من توريج الحوادث وتخطيط البلدان  
ونشر ذلك في كل زمان ومكان غير أنهم قد اعتمدوا أخيراً على ما أنبأنا به  
التاريخ المقدس كما هو وارد بسفر التكوين الذي هو في الحقيقة أقدم تاريخ وجد  
على سطح الارض يمكن للمؤرخين أن يعتمدوا على ما فيه لانه اشتمل على  
بعض مواليد ووفيات البشر وعلى مدد ولايات وأعمار بعض الانبياء والملوك  
وغيرهم من رؤساء الاسرات ومشاهير الرجال من عهد آدم وحواء ولكنه فضلاً  
عن ذلك فقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى قد تنوف عن المائتي مذهب عند  
ما أرادوا استخراج المدة الكائنة بين نشوء الكون ويوم ميلاد المسيح الا ان  
مذهب المؤرخ الشهير ( أوسيريوس الارلندي ) هو الأرجح حيث اتضح انه  
أقرب للحقيقة بشهادة كثير من أشهر المؤرخين للفرنساويين مثل ( بوسوه  
ورولان ودانو ) . ومذهب أوسيريوس المذكور يثبت ان الله خالق الكون في  
شهر نوفمبر سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح فلو أضفنا الى ذلك تلك المدة الكائنة

بين ميلاد المسيح وسنتها هذه ( سنة ١٩٠٦ ) فيكون عمر الكون هكذا :  
 $4004 + 1906 = 5910$  سنة على الأرجح . ولكنهم لم يزالوا متمسكين  
 بأن عمر الكون أقدم من ذلك بكثير مدعين بأن تلك المدة بالنسبة لعمر الكون  
 أو على الأقل بالنسبة لعمر الأرض ماهي اللحظة يسيرة بالنظر لما سبقها من  
 السنين الكثيرة والدهور الطويلة خصوصاً أصحاب الرأي السديمي ومن جاراتهم  
 من العلماء والمؤرخين الذين جاهروا بأن تلك المدة وإن كانت مستخرجة من  
 أقدم التواريخ الموجودة فإنها على ما يرون لا تكفي لتكوين الأرض حتى صارت  
 على الحالة التي هي عليها الآن من جهة صلاحيتها للحياة النباتية والحيوانية  
 لأنها تحتاج لممد طويلة تفوق هاتيك المدة بآلاف من القرون بل زادوا على  
 ذلك بقولهم : إن عمر الأرض ليس الا صفراً أو هو العدم بالنسبة إلى عمر  
 الكون . وقد شجعهم على التمسك بذلك ما جاء بالتاريخ المقدس عند ما كان  
 الله يقاضى قابيل بن آدم وقتل أخاه هابيل فضلاً عما اعتمدوا عليه مما تحدث  
 به بعض الأنبياء وأئمة الأديان وبالأخص صاحب الشريعة الإسلامية نبينا  
 ( محمد صلى الله عليه وسلم ) كما ستجد ذلك كله واضحاً ضمن ما سنشرحه فيما  
 بعد عن عمر الانسان

ومن غرائب الصينيين أنهم قد ادعوا أن أمتهم كانت كلها عمرت جيلاً  
 ترمز اليه بنصف عامود من الرخام حتى بتوالي القرون أخذوا في حصر ما تجمع  
 من تلك الرموز فوجدوا أن أمتهم عمرت ( ٩٦٠٠٠٠٠٠ سنة ) أعني ستة  
 وتسعين مليوناً من السنين . وهنا يقف الانسان باهتاً لا يدري ماذا يقول في  
 عمر الكون اذا كان عمر تلك الامة كما يقولون

وليست الامة الصينية هي التي انفردت بذلك بل شاركها فيه تلك الامة

المصرية القديمة التي لم يزل التاريخ يتباهى بما كانت عليه من التمدن والتقدم  
والعمران حيث كان قدامواؤها يعتقدون بان ديارهم كانت في سالف الزمان آهلة  
بآلهة وأرواح اناس من الاموات . . . قبل ان يحكمها آدم وبنوه الواردون  
بالكتب الدينية وكان أول القائلين بذلك هو القسيس العالم والمؤرخ المصري  
الشهير ( مانيتون ) الذي أثبت ان تلك الآلهة وهاتيك الارواح مكثت حاكمة  
بديار مصر مسافه من الزمن تبلغ ٥٧٣٠ سنة قبل الملك ( مينيس ) الذي كان  
أول من تولى مصر من البشر في سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حيث بهذا  
القول يكون الانسان قد وجد قبل ميلاد المسيح بمدة من الزمن تبلغ ( ١١٥٠٣  
سنة ) • ولم يكن هو الذي استقل بذلك الرأي بل وافقه عليه كثير من  
المؤرخين المتأخرين فضلا عما تقولته أمم اليابان والفرس والعراق مما لم يخرج  
عن القول بأقدمية الكون بكثير عما قد ورد بالتاريخ المقدس المذكور • كما  
وقد ذكر العلامة الشيخ علاء الدين على البسنوي في كتابه ( محاضرة  
الاول ) الذي فرغ من تأليفه سنة ١٩٨ هجرية انه : « ورد في الخبر ان  
آدم لما خلق قالت الارض له : يا آدم قد جئني بعد ما ذهبت جدتي ونضرتي  
وشبابي وقد بليت وفنيت »

نعم ربما يداخلنا الشك في صدق هاتيك الافكار التي يعتبرها بعضنا من  
قبيل الخرافات ولكن هل أوحى إلينا أو أنبأنا العلم الصحيح بما يهزج جانبنا  
ويدحض تلك الافاويل حتى نهزأ بها ونسخر بقائلها ونسعى في محاربتها لمحوها  
من عالم الوجود •

على ان البحث في هذه المسألة قد باغ مبلغاً لا نؤمل بعده شيئاً جديداً  
يستحق ما نعانى في سبيله من الشقاء الذي في الحقيقة لا يعود علينا الا بالخيبة

وسوء المآل حيث لا يكون مثلنا في ذلك الا كمثل من يستفتى نفسه عما عناه  
ورآه ولاقاه • وعما سمعته أذناه وصنعتة يده • وعما نطق به لسانه وهما  
اليه جنانه وهو في المهمل صيباً لا يدري شيئاً يكون • ذلك الذي اعتبره أبلغ  
تمثيل يلقي على مسمع من يوالون البحث في هذه المسألة عليهم يكفون فيرجعوا  
ويكتفوا من الغنيمة بالاياب حيث لم أفهم ولن أفهم ولا أريد ان أفهم كيفية  
وصولنا لمعرفة عمر الكون الذي خلقه الله قبل ان يخلق الانسان الذي في  
الحقيقة لم يعلم شيئاً عن بداية نفسه سوى بعض أفكار أملاها عليه العقل وأنباه  
عنها بعض الآثار التي لم تنزل لهذا المهمل معرصة للشك والارتباب كما سيتضح  
لنا ذلك فيما سيأتى عن الانسان

### ﴿ فناء الكون ﴾

كأني بك أيها المطلع وقد استراح ضميرك وتغذى لبك بما شرحناه عن  
عمر الكون ثم أصغيت لي بسمعك وشخصت لي ببصرك تنتظر مني شيئاً عن  
فناء الكون

فبناء الكون لا بد وأن يكون حيث مامن شيء الا وله آخر كما انفتحت على  
ذلك كافة الاديان سماوية كانت أو أرضية غير أن الاولى في الغالب قد بنت  
الفناء المعبر عنه بالآخرة على نظريات دينية مختصة بالانسان وسيره وعمله وفعله  
لا محل لذكرها الآن وانما العلماء الفلكيون الذين بحثوا الكون وما اشتمل  
عليه من كل شيء تراهم أعيننا وتسمع به آذاننا خصوصاً الافلاك السماوية التي فضلاً  
عن كونهم توصلوا لتعيين مراحلها ومعرفة حركاتها وسكناتها بالثانية والدقيقة  
والساعة واليوم والشهر والسنة والقرن فانهم ايضاً التمسوا من وراء ذلك كشف  
شيء من حقيقة تاريخ ذلك الفناء الذي كانوا يتوقعونه عند ما يلاحظون في  
سير الافلاك خللاً أو أي تغيير حتى وان بعض اولئك الفلكيين كانوا يتنبأون

في أغلب الاعصار بحادث ذي شأن هائل ينبت عليه فناء الكون أو بالحرى فناء الارض وما عليها من الكائنات إما بطوفان عموى يسخره الله فيجرف ما على سطح الأرض من حي وجماد • وإما ببرد قارس يوقظ الحركة الدموية فيجمد الدماء في العروق جهوداً مقروناً بذهاب الحياة • وإما بنيران تتأجج من البراكين الأرضية فتلتهم ما على الأرض من الكائنات • وإما أن ينقض على الأرض كوكب ذو ذنب أو شهاب ثاقب فيبيدها بالاحتراق في طرفه عين

ولو أن كل هذه الروايات قد كانت تتناقلها السنة الفلكيين من قديم الازل حتى أخذت أدواراً مهمة بين الناس في تلك الاعصار الا ان بعضها ظهرت له آثار لم تكن نتيجتها الفناء المزعوم والبعض اختفى عن الاعين فلم تظهر له آثار على الإطلاق كما حصل أيام أبى تمام الشاعر الطائر الصيت حيث تنبأ القوم وقتها بقرب ظهور نجم ذى ذنب سيكون سبباً لخراب السلاسل وفناء الكون فآثر ذلك على عقول الناس جميعاً حتى خافوا شره واعتقدوا اعتقاداً صحيحاً بأن الحياة قد كسدت بضاعتها ودالت دولتها باقتراب الساعة فاستعد الكل ليوم القيامة وهو ذلك اليوم الذى تشيب لاجله الولدان ولا ينفع فيه مال ولا بنون • الا ان الله لم يحقق دعوى أولئك الفلكيين ففضى الميعاد المضروب للنجم المزعوم دون أن يتحقق ذلك النبأ الخفيف فانقلب الناس بعد ذلك من احزانهم الى أفراحهم الاولى مستهزئين بالفلكيين ومن جاراهم على نشر تنبؤاتهم المدهشة في كل عصر من الاعصار كما أشار الى ذلك أبو تمام بقوله :

أين الرواية بل أين النجوم وما \* صاغوه من زخرف ومن كذب  
تخرصاً وأحاديثاً مافسقة \* لبست بنبع اذا عدت ولا غرب  
عجائباً زعموا الايام مجفلة \* عنهن في صفر الاصفار أو رجب

وخوفوا الناس من دهيا مظلمة \* اذا بدا الكوكب الغربى ذوالذنب  
على أن ماعده ابو تمام من قبيل التعرّص والاحاديث الملفة عدة علماء  
العصر الحديث أمراً محتمل الوقوع حيث اتفقوا على ان انقراض الارض بل  
فناء الكون أمر لابد من حصوله مهما تعددت الخوارق الطبيعية \* وقد تشبه  
هذه الرواية رواية حديثة العهد تداولتها السنة العالم بكافة أرجاء الدنيا في آخر  
القرن التاسع عشر مغزاها ان الفلكى الشهير المدعو (قالب الجرمانى) أورى  
ان الكون سيفنى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ بسبب احتكاك الارض بأحد  
الكواكب السيارة الكبيرة ذوات الاذنان نظراً لكون ذلك الكوكب سيتحرك  
حركة غير معتادة \* ذلك الذى ذاع وشاع حتى ملأ الاصقاع وملته الاسماع  
فاهتم به الفلكيون اهتماماً زائداً فى كل بقعة من بقاع الارض ويحثوه بحثاً دقيقاً  
قوافقوا أخيراً على ان ذلك الكوكب سيتحرك حقيقة الا أنهم لم يتنبأوا عن  
نتيجة هذا التحرك إن كان خيراً أو شراً \* ذلك الذى جعلنا وقتها بل جعل  
سكان الارض قاطبة فى خوف ورعب وهرج ومرج شأن الانسان عند ما يتوقع  
لنفسه مصيبة لم تكن فى الحسبان خصوصاً فى مثل هذا الامر الذى سيكون وراءه  
الخراب العام والموت الطويل حتى وأن منا من كان يتأسف وقتها على هذا  
الفناء قبل أن يتمتع بما أعده لنفسه من ملاذ الحياة الدنيا حالا واستقبالا \* ومنا  
من كان يقاب صفحات تاريخه فيراها مسودة فيندم على ما فات وانهضى طالباً من  
الله التوبة والغفران \* ومنا من ترك الامور تجرى مجراها الى أن تحرك ذلك  
الكوكب وتساقطت شهب كثيرة دون أن يحصل ما كان فى الافكار فانقضت  
ذلك اليوم على أحسن حال وأصبح كل منا يهتئ الآخر كأنه مولود من جديد  
وقد كان قالب الجرمانى المذكور سبباً لتجديد البحث فى فناء الكون حتى  
تعبد فى ذلك كثير من العلماء المصريين الذين بعضهم تنبأوا بأن الكون سيفنى

يوم ٢ مايو سنة ١٩٢٩ والبعض قالوا باحتمال فئاته يوم ٩ ابريل سنة ١٩٣٠ كما ورد بمجريدة الاهرام عدد ٨٥٤٦ رقم ٢٢ مايو سنة ١٩٠٦ • لذلك نحن نطالب من الله أن يطيل عمرنا فنتحقق من صدق هذا التنبؤ أو كذبه وما ذلك على الله بعزيز

على ان كل هذه التنبؤات ليست أول ما سمعه الانسان بل طالما تنبأ الفلكيون بمثل ذلك من قديم الزمان بناء على ما يحصل من التغيرات الجوية التي معظمها يكون حقيقياً إنما لا يعود على الكون بأى ضرر يكون • وفي الغالب أن أزمته هذه الخوارق الطبيعية تحدث في الكون كل ٣٣ سنة وبضعة شهور كما قرره بعض العلماء الذين أكثروا من مراقبة الحوادث واختبارها في كل زمان ومكان

وعلى العموم فإن خلاصة ما قيل في هذا الموضوع بل القول الراجح الذي يفوق كل الظنون والأقاويل هو ما وصل اليه بعض الفلكيين الذين يروى لهم البحث في أسرار الغيب من ان الأرض ستبرد في زمن من الأزمان من جهة طرفيها اللذين يصيران وقتها غير صالحين للحياة البشرية لتجردهما من الحرارة التي عليها مدار الحياة فيلتجئ الانسان لأن ينزح منهما ويتجه نحو خط الاستواء • وبسبب هذا الانقلاب العظيم سينقلب الانسان في شككه وسيره ومعاشه وكل مستلزماته الداخلية والخارجية الى أن يؤول أمره لمغالبة مع الأرض بأن يأكل نباتها ويشرب ماءها وكذلك هي تأكل لحمه وتمتص دماءه الى أن تشع حرارتها فتكون غير صالحة للحياة • ولمناسبة ذلك نقول :

إن السلامة ( فلا ماريون ) صاحب المباحث الكثيرة في مستقبل الغيب لما وصل في مباحثه الى أن الأرض سينتابها البرد الشديد في زمن من الأزمان أوري بأن آخر نقطة على سطح الأرض تكون صالحة للحياة وقتها هي النقطة

التي فيها الاهرامات المصرية لأن هذه النقطة ستكون أدفاً النقطة على وجه  
العموم حتى اذا انمحت الحرارة بأكلها من الأرض تموت الكائنات ويصبح  
كل من عليها فان ولم يبق الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام  
وفضلاً عن ذلك فان بعض الطبيعيين يقولون ان الابخرة المتصاعدة من  
البحار هي في الغالب أبخرة نقية لأملاح فيها ولا تراب ولا أى شئ يكون . تلك  
التي عند ما تصاعد في الجو تتحول الى أمطار ثم تسقط على سطح الأرض  
فتسيل وتجرف ما يصادفها من تراب وحبارة وغيرها من الجوامد التي تتحول  
معها الى قاع البحار . قالوا وبتوالي الايام والسنين والقرون والدهور يتحول  
ما على البر الى البحار فيصبح سطح الأرض سهلاً واحداً ليس فيه شئ من  
التلال والودى والجبال فيرتفع ماء البحار الى أن يعم جميع ما على سطح الأرض  
فيكون الطوفان الاخير . وقد قدر بعضهم المدة الكافية لحصول ذلك فكانت  
خمس وأربعين ألف قرن والله أعلم بتحقيق ذلك لفناء الكون وفوق كل ذى  
علم علیم

### الكواكب السماوية

مما تقدم علمنا ان الشمس اصبحت مركزاً لدائرة الكون أو محوراً تحيط به  
كافة الكواكب صغيرها وكبيرها بقوة مجهولة لم يستكشفها أحد للآن ولوان  
اللاهوتيين يعتبرون عنها بالقوة الالهية الا أن الفلكيين يدعون انها لا بد وأن  
تكون من ضمن عالم الاسرار التي مازالوا ولن يزالوا يوالون السعي وراء كشف  
حقيقتها بما أوتوه من العقل الراجح والعلم الصحيح  
نعم هم نسبوها للجاذبية الطبيعية ولكنهم ليسوا على علم تام من تلك الجاذبية  
وما هيته ولذلك يلزمنا أن نعتبرها سرّاً لم يزل من ضمن أعماق الاسرار كما أشار  
الى ذلك (نيوتون) أحد الفلاسفة البعائين اذ قال : « اننى أعرف شريعة

الجازبية ولكننى أجهل كل الجهل ماهية الجاذبية »

تعدادها - . وكان مقدار تلك الكواكب ومعرفة حركاتها وسكناتها من ضمن مجهولات القرون الاولى ولكن لما رصدها الكلدانيون والمصريون واليونانيون وغيرهم من الامم القديمة والحديثة توصلوا لمعرفة أسكناتها وأزمنتها وسموها باسمائها ثم قدروها بما ينوف عن الثلاثين مليوناً تقريباً كما يتضح ذلك من الخريطة السماوية التى وضعها أخيراً مرصد باريس . وقد قسموها الى قسمين أحدهما سموه بالقسم الثابت والآخر سموه بالقسم السيار كما أوضحنا أولاً

منافعها - . لا يتحقق من منافع الكواكب الا من كان على سفر طويل حيث تكون له سراجاً منيراً ورفيقاً أنيساً بل مرشداً أميناً يهديه الطريق المستقيم فلا يفضل عما يريد . خصوصاً وان الملاحين والرحل فى الصحارى والبرارى قد اعتسوا بها كثيراً فكانوا أول العارفين بمراكزها وحركاتها وسكناتها وكل ما يطرأ عليها من تغير أو تبديل بطريق الفراسة والمشاهدة الى أن هان عليهم السفر براً وبحراً فى أصعب الطرق وأوعر المسالك فعماد ذلك عليهم بالمنفعة الكثيرة وعلى بنهم من بعدهم أجمعين

### الهواء

أما الهواء الذى نراه سابحاً فى الجوى ومحاطاً بالكائنات من كل مكان فهو نتيجة التفاعلات الكيماوية الناتجة من استعالة تلك السدم الى الصلابة البادى ذكرها . وهو مكون من عنصر الحياة أعنى الاوكسيجين الذى هو فى الحقيقة أكبر سبب لحياة النباتات وكل الطيور والحيوانات

طبقاته - . وللعلماء بحث طويل فى الهواء قد استخلص منه أحد علماء المانيا المدعو ( هنريكس ) خلاصة تقريبية تشير الى أن الهواء الجوى مؤلف

من خمس طبقات مختلفة الثقل والعناصر والارتفاع أخفها ما كان أبعدا عن سطح الارض

فالطبقة الاولى تعلو سطح الارض باثني عشر ميلا وفيها أوكسيجين الحياة بكمية عظيمة • والثانية تعلو الاولى بثلاثين ميلا وأوكسيجينها نصف ما في الطبقة الاولى • والثالثة تعلو الثانية بستين ميلا • وبعدها الطبقة الرابعة ثم الخامسة وتعلوها مائة ميل • وبعدها هذه الطبقة يتألف الهواء من الايدروجين الخالي من أوكسيجين الحياة أعني انه بعد الطبقة الخامسة لا يعيش شئ من نبات وطيور وحيوان

تحرركاته • وللحواء تحركات غير منتظمة تارة تكون من الشمال وطورا من الجنوب وأخرى من الشرق أو الغرب • كما انها تتحرك بقوة مختلفة يخشى منها في بعض الاحيان من هدم البيوت وتقايع الاشجار وتمطيل الاعمال وتأخير الاسفار • وما ذلك الا نتيجة تأثير حرارة الشمس على الارض وعلى ما فوق سطحها من الكائنات كالنبات والاحجار والرمال المنتشرة في نقط مختلفة الاتساع والانخفاض والارتفاع

فاذا كانت الحرارة متساوية على نقطة متسعة بعضها رملي قاحل والبعض ذات اشجار ونبات فتتأثر الحرارة تسخن الرمال فيسخن الهواء الملاصق لها فيتمدد ويصير خفيفا فيرتفع الاعلا فيكون محله خاليا فيأتي فيه الهواء المجاور له ثم يكون محل هذا خاليا أيضا فيأتي فيه الهواء الآخر الذي يجاوره وهكذا حتى بهذه الكيفية يتولد مجرى هوائي يعم تلك النقطة وما جاورها من النقط الاخرى وتكون حركته مختلفة في القوة باختلاف قوة تأثير حرارة الشمس على تلك الكائنات حتى اذا كانت الحرارة شديدة كانت تلك الحركة كذلك والعكس بالعكس

منافع حر كته . . وكان لحرارة الهواء في الازمنة الغابرة منفعة عظيمة ذات أهمية كبرى خصوصاً في تسيير المراكب الشراعية في البحار حيث كانت تقرب البعيد وتسهل المواصلات وتنشر التجارة في كل صقع من الاصقاع . ولو أن تلك الأهمية قد قلت كثيراً في الازمنة الأخيرة بسبب اختراع السفن التجارية والسكك الحديدية التي حلت محل تلك المراكب الشراعية فزادت المنفعة أضعاف الاضعاف إلا أنها لم تزل على حالتها الأولى في البحار والأنهر الصغيرة خصوصاً بين كافة الفقراء

### ﴿ الأرض ﴾

قد علمنا مما أوضعهنا سابقاً أن الأرض هي من ضمن تلك الكواكب السيارة التي بعد أن تخلفت من النظام الشمسي وشعت حرارتها الظاهرية اكتست بقشور تعاضمت بحكم الطبيعة فأصبحت صالحة للحياة النباتية والحيوانية ولما كنا من ضمن تلك الحيوانات رأينا أن الأرض هي مهبط وجودنا ومنبت قوتنا ودار سعادتنا وشقاتنا منها أحيانا الله وفيها يعيدنا ومنها يخرجنا تارة أخرى . ذلك الذي لأجله ينبغي للإنسان أن يكون خبيراً بها علماً بما اشتعل عليه سطحها من مهر ونهيرات وأبحر وبحيرات وجبال ووديان ومدن وسكان وعشائر وقبائل ودول وحكومات وغير ذلك مما أوجده الطبيعة ثم أوجده الإنسان

وإنه ليحزني والله أن يوجد شخص على قيد الحياة له عينان تنظران ويدان تعملان ورجلان تسيران وعقل يقود الجميع ثم أراه لا يدري شيئاً عن هذا الكون وبالأخص عن الأرض وما وجد على سطحها من التقسيمات الطبيعية والوضعية التي وضعها الإنسان باختلاف الدول والزمان والمكان مما كان سبباً لتسهيل معيشتنا في هذه الحياة الدنيا

ولم يرى فان الارض تستحق هذه العناية العظيمة لالكونتنا مخلوقين منها فقط أو لكونها منبع قوتنا بل لأنها في منزلة دارنا وعار علينا أن نكون في دار تقبنا شر طوارئ الحدثن ثم لاننى من أمرها شيئاً • فمثلاً لو سئل أحدنا عن مساحة داره وحسبودها وطبقاتها ومشتملاتها وعن مجاوريه في القرب والبعد لكان بالطبع أسرع للجواب قبل إتمام السؤال • فهل حرام عليه أن يكون كذلك فيما لو سئل عن الارض وما اشتمل عليه سطحها مما هو في الحقيقة أحوج الانسان من فلسفته فيما لا يجديه نفعاً ولا يمنع عنه شراً أو ضرراً على اتنى لا اقصد بذلك أن يكون الانسان فقيهاً في هذا الموضوع بل أطلبه بأن يكون ذا إلمام ولو بمجمل المسائل التي تنفعه بالأقل عند التنقل من مكان أو عند ما يسمع ببلاذ (موزمبيق والهوتنتوت وسيام وأزريجان والسويد والنرويج وأستراليا والبرازيل وزيلانده) فلا يتخيل أنها كلام في أحلام أو هي بلاد الجن والعفاريت التي يتسلى بذكرها البسطاء والحملاء ضمن الحكايات والقصص الخرافية التي ظنها بعض القوم تاريخاً صحيحاً يمثل حقائق من سلف من الغابرين • ذلك ما حدى بي لان أوضح ماسيأتى عن الارض كي نستعين به على فهم ما سنشرحه فيما بعد عن الانسان

شكلها - . كان للامم القديمة اعتقادات كثيرة في شكل الارض أشهرها اعتقادات بعض اليونانيين القدماء التي كانت أقرب للعقل منها للخرافات فضلاً عن كونها كانت سلماً لما وصل اليه بحث العلماء القائلين بأن شكل الارض كالكرة أو هو كالكرة التي سموها باسمها فأطلقوا عليها اسم (الكرة الارضية) وطرفاها الشمالى والجنوبى فقط مبطلان قليلاً بحالة لا تؤثر على كرويتها نظراً لجسامتها العظيمة مثبتين ذلك ببراهين عامية عملية اختبروها بما أوتوه من العلم الثابت الصحيح • ولو أنهم قد عانوا في سبيل نشر ذلك ما عانوه من اضطهاد

اللاهوتيين ومن جارا هم من الجاهلين الذين كانوا يستحسنون إبقاء القديم على قدمه قولا منهم ان ذلك ينافي ما جاءت به الكتب السماوية الا أن نطاحل المفسرين قد أثبتوا أخيراً ان الذي ورد فيها غير كاف لعدم ثبوت كروية الارض ولذلك أقر أولئك جميعاً على ما أتاه ذلك العلم الصحيح خصوصاً علماء المسلمين الذين أخص بالذكر منهم الامام لغزالي الذي ذكر بكتابيه (تهافت الفلاسفة) ما يفيد تخطئة الذين يعارضون فيما جاء به العلم مادامت نتائجه مؤسسة على طرق علمية هندسية حسابية وزاد على ذلك بأن كل ما يأتيه ذلك العلم من هذا القبيل لا ينافي الدين في شيء . قال القزويني : « والذي يعتمد عليه جماهير الفلاسفة ان الارض مدورة كالكرة موضوعة في جوف الفلك كاللحة في جوف البيضة وانها في الوسط على مقدار واحد من جميع الجوانب »

دورانها - . وكما حصل الاختلاف في كروية الارض حصل أيضاً في دورانها حيث كان بعض قدماء اليونان يعتقدون ان الارض عبارة عن قرص ثابت مركز على أعمدة لا يعرفون حقيقة كما قرب ذلك اعتقاد عامة الشرقيين خصوصاً المصريين الذين يعتقدون بأنها مركزة على قرن نور ثم تدرج البعض الآخر الاعتقاد بأن ذلك القرص سابح في الماء كسفينة تذررها الرياح ذات اليمين وذات الشمال . وكان زعيم هذا الاعتقاد هو العالم الشهير (هوميروس) الا أن الفلاسفة الآخرين مثل أرسططاليس وسقراط وأفلاطون خالفوا ذلك أخيراً فقررُوا ان الارض كروية دائرة فيما حولنا من الفضاء وقد وافق المتأخرون على ذلك كما يؤخذ من عبارة القزويني المذكورة آنفاً

النهار والليل - . وزادوا عليه بأن للارض حركتين : حركة رحوية حول نفسها وحركة حول الشمس . وأثبتوا ان النور الذي ينتشر على سطح الارض هو مستمد من ضوء الشمس التي سبق فأوضحنا بانها لم تزل كتلة نارية مائعة

منيرة تشع حرارتها في الكون فتعكس على سطح كافة ما في السماء من الكواكب التي من ضمنها الارض فتسطع فوق سطحها الأنوار . ونظرا لكون الارض كروية فدورتها حول نفسها مرة واحدة تجاه نور الشمس تجعل نصفها مغموراً بذلك النور لكونه متجهاً للشمس وبالطبع يكون النصف الآخر مظلماً وبهذه الصفة يتكون الليل والنهار

السنة وأيامها . - خرجنا من ذلك بأن حركة الارض حول نفسها تجاه الشمس مرة واحدة عبارة عن يوم وليلة وقد قسمها الفلكيون الى ٢٤ ساعة واعتبروا الساعة ٦٠ دقيقة والدقيقة ٦٠ ثانية والثانية ٦٠ ثالثة وهكذا حتى توصلوا بهذا التقسيم الى حصر أيام حركة الارض حول الشمس مرة واحدة فوجدوها ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية وسموا مجموع ذلك كله سنة . ولكن بتوالي حركة الارض يحصل هناك اختلاف في مجموع السنين نظراً لتكوين تلك لساعات والدقائق والثواني . ولذلك قد اصطلمحوا على اعتبار السنة ٣٦٥ يوماً وسموها السنة البسيطة وكل أربعة سنين يضمنون لتلك الايام يوماً واحداً وهو ما تجمع من تلك الكسور فتكون أيام السنة ٣٦٦ وسموها بالسنة الكبيسة

الاشهر . - ثم قسموا السنة الى ٣٦٠ درجة وهذه قسموها أيضاً الى ١٢ قسماً كل قسم سموه شهراً والشهر الى ٣٠ يوماً واليوم عبارة عن دورة الارض حول نفسها امام الشمس مرة واحدة كما سبق الايضاح

### ﴿ أقسام الارض ﴾

والارض تنقسم الى قسمين عظيمين أحدهما ماء والآخر يابس . وهي على العموم من ماء ويابس تنقسم الى خمسة أقسام عظيمة فأقسام اليابس تسمى بأقسام الدنيا الخمس أو القارات وأقسام الماء تسمى بالمحيطات أو الأوقيانوسات

بناء على ذلك تكون قارات الدنيا الخمس هي : قارة آسيا وقارة أفريقيا وقارة  
أوروبا وقارة أمريكا وقارة أستراليا

أما المحيطات والاوقيانوسات الخمس فهي :

أولاً - المحيط الأكبر ويسمى أيضاً المحيط الهادى وهو فى شرق آسيا  
وغرب أمريكا ويشغل نصف الماء الموجود على سطح الأرض تقريباً  
ثانياً - المحيط الاثلاثى ويسمى أيضاً بحر الظلمات وهو فى شرق أمريكا  
وفى غرب أوروبا وأفريقيا ويشغل ربع ذلك الماء تقريباً  
ثالثاً - المحيط الهندى وهو فى جنوب آسيا وشرق أفريقيا وغرب أستراليا  
ويشغل خمس الماء

رابعاً - المحيط المتجمد الشمالى وهو فى شمال أوروبا وآسيا وأمريكا  
خامساً - المحيط المتجمد الجنوبى وهو جنوب أفريقيا وأمريكا وأستراليا  
وهذان الاخيران يشغلان الخمس الباقى من الماء  
وقد اشتغل كثير من العلماء فى معرفة مقدار ما فى هذه المحيطات من المياه  
فقدروا للمحيط الأكبر ٦٨ ألف ألف ميل مربع وبالنسبة التى توضحته أعلاه  
تكون مقادير مياه المحيط الاثلاثى ٣٤ ألف ألف ميل مربع والمحيط  
الهندى ١٧ ألف ألف ميل مربع والمحيطين الشمالى والجنوبى ١٧ ألف ألف  
ميل مربع تقريباً . وقد قرروا بان مياه كافة المحيطات المذكورة لو تكونت  
وانسكبت من شلال واحد كشلال ( نيا كارا بأمريكا ) فلا تنهى من انسكابها  
قبل مرور عشرين ألف قرن



إذا علمنا تماماً كيف استحال الكون الى الصفة التى هو عليها هان علينا  
كثيراً ان نفهم كيف تكونت هاتيك المياه التى امتلأت بها تلك المحيطات حيث

مما أوضحناه في بادئ الامر نفهم جيداً أن المياه نتجت من التفاعلات السكيمياوية التي حصلت بين عناصر الكون عند ما استحال من حالتها الاولى الى الحالة التي هي عليها الآن

### المطر

ولما ان تساطت حرارة الشمس على سطح المياه سخن جزء منه فاستحال الى بخار ارتفع وانتشر في الفضاء لكونه صار خفيفاً حتى اذا خفت الحرارة وبرد الجو تكاثف ذلك البخار فصار ضباباً وسيحاً ثم بعد ذلك استحال الى ماء كما كان فتساقط ونزل على هيئة نقط مائية مختلفة الشكل والحجم والقوة بحسب اختلاف قلاته وكثرته . وهذا ما يمبر عنه بالمطر الذي هو في الحقيقة أصل ما تواجد على سطح الارض من البحار والبحيرات والانهر والتهيرات والينابيع التي ساعدت الانسان على حفر الترع والخلاجان والجداول وغيرها مما هو منتشر في المدن والبلدان فكان اعظم سبباً للسعادة في هذه الحياة الدنيا حيث عند ما تمطرنا السماء تربو الارض فتنبت من كل زوج بهيج . وقد توصل بعض العلماء لحصر مقادير الامطار التي تساقط على سطح الارض في السنة الواحدة فبلغت الثلاثين الف ميل مكعب

### المطر البللوري أو البرد

وفي بعض الاحيان تشتد البرودة على تلك النقط المائية قبل وصولها لسطح الارض فتتجمد وتساقط على أشكال كروية الا انها تكون على أشكال هندسية مسدسة عند ما يكون الهواء هادئاً ليس فيه شيء من التقلبات الجوية

### المطر الملون

وقد شوهد كثيراً نزول المطر بألوان مختلفة ألقت الانسان في حيرة عظيمة من قديم الازل الى ان اتضح أخيراً من كثرة البحث والتنقيب ان المطر

كثيراً ما يلاقى في سيره بعض طبقات هوائية مشتملة على شئ من الملونات أو على غبار من بعض الانواع التي أكثرها (البلن) وهو اللقاح الذي يتطاير في الهواء فيختلط بالسحاب الذي يتلون بلونه فيسقط المطر على سطح الارض مختلف الالوان . وأقرب شاهد على ذلك هو ما أمطرته السماء في بلدة بايطاليا اسمها (سينيادي) بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٠٠ حيث كان المطر دماً أحمر أدهش سكانها إدهاشاً عظيماً بل أدهش ايطاليا بأسرها عند ماشاع الخبر بأن السماء أمطرتهم مياهها دموية الا ان الاستاذ (بالانسو) العالم الايطالي الشهير اهتم كثيراً بفحص ذلك المطر فحسباً كيأويا فاتضح له ان الدم الذي سقط مع المطر هو من دماء الطيور ناسباً حصول ذلك لاحتمال وجود اسراب كثيرة من الطيور كانت محاصرة في الجو فصدمتها بعض الزوابع الشديدة فهضرت بعضها حتى تقطر دمها فسقط مع المطر على الارض فأوجد ما أوجده من ذلك الاندهاش

### المطر السمكي

والاغرب من ذلك ان جريدة الاختراع نقلت عن احدى الجرائد المحلية في (كرولك من أعمال فرنسا) بما يشير لان السماء أمطرتهم هناك سمكاً طياراً اصطاده بعض أهاليها وأكلوه هنيئاً مريئاً . الا ان تلك الجريدة ربما ان تكون قد ذكرت هذه الرواية على سبيل التسلية والفكاهة بناء على ما فهم عليه الفرنسيون من التفتن في أساليب المجون والغلو في ذكر الاخبار الغريبة الا ان العقل من جهة أخرى ربما يجعل لها نصيباً من الصدق لانه من المتسلوم أن السمك يخنق ويعيش ويتناسل ويموت في الماء ولربما ان البخار الذي يتصاعد من مياه البحار كان مشتملاً على بعض بويضات السمك حتى بعد ان ارتفعت مع البخار واتخذت لها مركزاً في الفضاء آتاها الله تعالى ما يلزمها من الاحتياطات كما يؤتيها وهي في المياه فتولد السمك وصار حياً فتمى وعاش الى ان

حصل هناك اختلاف في التوازن بين ثقله والثقل الجوي فسقط من السماء مع المطر فخار له الفكر وانذهل لاجله الناس أجمعون  
﴿ المطر الحجري ﴾

ومما زاد الناس اندهاشاً وانزعاجاً هو ما تمطره السماء في بعض الاحيان من أحجار تتساقط تساقط الامطار سموها (الرجم) حتى أولوا ذلك بتأويلات مناسبة لعقولهم ومعارفهم ومشاربهم خصوصاً الكهنة والدجالون الذين يدعون علم الغيب زوراً وبهتاناً فانهم يتهزون فرصة نزول المطر على غير طبيعته سواء كان ملوناً أو سمكاً أو حجراً فيعززون ذلك لسخط من الله أو غضب منهم على من حولهم من البسطاء الجاهلاء مشبتين لهم ذلك بأساليب وهمية ما أنزل الله بها من سلطان حيث بواسطتها يحصلون على ما يريدون ويتقنون من المطاعم الدنيوية مع ان هذه الرجم على الدوام تتساقط من الجو كتساقط النيازك (الشهب) الا ان هذه تتفرقع وتستحيل الى دخان يذهب هباء اما تلك فانها حجارة تتساقط فتستقر على سطح الارض

وتساقط هذه الرجم قديم جداً ولكن لم ياتفت اليه أحد الا في القرن التاسع عشر حيث في سنة ١٨٠٣ سقط منها نحو الثلاثة آلاف في (لايجل بسويسرا) ثم سقط منها في سنة ١٨٦٨ نحو المئة ألف في (باتوسك ببولندا) وبلغ وزنه اربعمائة رطل \* وكذلك تساقط منها سنة ١٨٧٩ في (استرفيل في بووا) ما بلغ وزنه ٧٥٠ رطلاً وتكرر حصوله هناك ايضاً سنة ١٨٩٠

وعلى العموم فان معظم هذه الرجم يتساقط صغيراً الا ان اكبـر الذي تساقط الآن هو حجر موجود (في فيينا) بلغ وزنه سبعة أطنان وكذلك يوجد حجر آخر في (الاسكيمو بأمريكا) وزنه ٤٥ طناً قد ابتاعه رجل انكليزي لينقله لبلاد الانكليز كما روت ذلك مجلة الهلال في سنتها السادسة

### ✽ الرعد ✽

والاغلب في الامطار انها لا تساقط الا بعد تقلبات جوية كثيرة ناتجة من وجود قوة غير محسوسة منتشرة بمقادير مختلفة في الطبقات الهوائية سماها علماء البحث باسم (الكهربائية) التي قسموها الى قسمين أحدهما سالب والآخر موجب • وقالوا بأن الطبقة الهوائية التي يكون سالبها أكثر من موجبها تسمى كهربائيتها سالبه والعكس بالعكس • ثم تحققتوا من أن هذين القسمين على الدوام يتجاذبان ويتحدان مع بعضهما بقوة شديدة ذات صوت مزعج وزجرجة تصم الآذان بل تحاكي صوت المقلدوفات النارية التي تهزلأجائها الجبال الراسيات • وحينما يتغير الجو وتتحرك الارياح يتجاذب سالبها بموجبها تجاذباً يعقبه اتحاد ذو قوة شديدة مع صوت يختلف باختلاف قوة ذلك الاتحاد • وهذا الصوت هو ما يسمى بالرعد اصطلاحاً ومشهور عند العامة بصوت (ميكائيل) نسبة لاحد الملائكة السماوية حيث يقال عند العامه بان الله عند ما يقضى بنزول الامطار يأمر ملاكه ميكائيل الذي يضرب في الجو بصوته فيتساقط المطر

### ✽ البرق ✽

وقبل وصول الرعد لآذاننا ترى أعيننا نورا يضيء ويزول في أقل من لمح البصر ثم يعقبه الرعد فالمطر • فذلك النور هو البرق الذي يتولد في الحقيقة من شرارة نارية تحصل عند اتحاد الكهرباء السالبة بالكهربائية الموجبة

### ✽ الصاعقة ✽

وحينما تكون تلك الشرارة بعيدة وضعيفة لا ينجم عنها أى ضرر كان اما اذا كانت على مقربة من شئ فلا بد من أن تضره ولو كانت قوتها زائدة لأهلكته في الحال • وهذه هي الصاعقة التي أفنت كثيراً من الطير والحيوان وأحرقت الاشجار والغابات وهدمت المعاقل وشققت الارض والصخور وبعثت الحصا

والرمال • تلك هي التي تطلب في الغالب الرؤوس كأعلى الجبال ورؤوس الاشجار  
والمنازل المرتفعة • لذلك نجد مساكن كافة البلاد التي تكثر فيها الامطار لها  
مجارى مخصوصة موضوعة بأعلى سطحها سموها ( مانعة الصواعق ) بحيث لو  
نزلت صاعقة على المنزل تطلقها مانعة الصواعق المذكورة فتتصرف منها فينجو  
المنزل من الخطار هو وساكنوه

وأكثر البلاد تعرضاً للصواعق هي بالتدريج : جاوه وفيها تحصل الصواعق  
٩٧ يوماً في السنة ثم الهند ثم بورنيو ثم سواحل الذهب فالبرازيل فايطاليا  
ففرنسا فجنوب روسيا فانكلترا فسويسرا فنروج التي هي أقل الجميع حيث  
تحصل فيها الصواعق أربعة أيام في السنة أما القطر المصري ففيه الصواعق  
نادرة جداً

هذا ما شرحنه عن المحيطات وما يتعاقب بها بغاية الايجاز والآن سنتكلم  
عن أقسام اليابس وهي أقسام الدنيا الخمس قسماً قسماً مبتدئين بالقارة الاولى  
التي هي :

### ﴿قارة آسيا﴾

هذه القارة هي أقدم قارات الدنيا الخمس عمراً لأنها أول مهد تواجد فيه  
الانسان كما هو مشهور من قديم الازل فضلاء عن أنها مصدر الديانات ومهبط  
الواصر السماوية ومنبت الانبياء والمرسلين والصالحين ومنبع العلوم والمعارف  
خصوصاً وانها أكبر القارات اتساعاً وسكاناً وثروة حتى بذلك استحققت أن  
تكون سيدة القارات على وجه المموم • وهي تنقسم الى أربعة أقاليم :  
الاقليم الشمالي والاقليم الغربي والاقليم الشرقي والاقليم الجنوبي نذكرها كالاتي  
بغاية الايجاز

### ﴿الاقليم الشمالي﴾

هذا الاقليم يشتمل على قسمين أحدهما بلاد سيبيريا الروسية الكائنة في

الجهة الشمالية من نفس القارة العمومية ومساحتها أكبر من مساحة أوروبا إلا أن سكانها لا يزيدون عن الخمسة ملايين نفس وأشهر مدنها : تومسك وبولسك وايركوتسك وياكوتسك • وأشهر ميناء فيها هي فلاديفوستك الكائنة على بحر اليابان

ثانيهما - بلاد التركستان الغربية الروسية التي تسمى طوران وعدد سكانها ٣٥ مليوناً تقريباً ومسكونه بقبائل من التركان والنتار معظمهم من المسلمين • ومن مدنها الشهيرة : تشقند وخوقند وسمرقند وبخارى وجنوه ومرو

### ﴿ الاقليم الغربي ﴾

هذا الاقليم يشتمل على أربعة أقسام :

أولاً - بلاد الجركس وتسمى بلاد القوقاز أو قوه قاف أو روسيا الغربية • وعدد سكانها ٦ ملايين تقريباً عاصمتها تفليس وأشهر مدنها باكو وهي ميناء على بحر الخزر ثم مدينة باطوم وهي ميناء على البحر الاسود  
ثانياً - تركيا آسيا التابعة للدولة العثمانية وعدد سكانها خمسة عشر مليوناً تقريباً مختلفوا الجنس والدين واللغة إلا أن ثلثهم مسلمون والثلث الباقي بين أرمن وأروام من المسيحيين واليهود • واللغة المنتشرة بينهم هي التركية والعربية وعلى العموم فإن هذه البلاد تنقسم الى ستة أقسام طبيعية وهي :

١ - آسيا الصغرى أو الاناضول وأشهر مدنها طرابزون وسينوب وبروسه ثم مدينة أزمير الكائنة على البحر الابيض المتوسط التي هي أشهر ميناء تجارية لهذا القسم

٢ - ارمينيا العثمانية وأشهر مدنها سيواس وطوقات ثم مدينة أرضروم المشهورة بعمل الاسلحة البيضاء

٣ - الكرديستان وأشهر مدنها ديار بكر والموصل وكر كوك

٤ - بلاد الجزيرة المسماة عند اليونانيين ميزوپوتاميا وعند العرب ما بين النهرين

( أعنى نهري الدجلة والفرات ) • وأشهر مدنها بغداد وكر بلاء وهى التى  
استشهد فيها الحسين بن على أبى طالب فى زمن خلافة يزيد بن معاوية ولذلك  
شهرت باسم مشهد

٥ - بلاد العراق العربى وأشهر مدنها البصرة التى كان لها المقام الاول فى  
الازمنة السالفة

٦ - بلاد الشام وأشهر مدنها حاب ومرعش واسكندرونه وانطاكيه ودمشق  
التى يقال لها الشام الكبيرة ثم يافا وبيت المقدس الذى يحججون اليه المسيحيون •  
ثم نابلس والناصره التى سكن فيها المسيح بن مريم عند عودته من مصر حتى  
بلغ من العمر ثلاثين سنة ومنها اشتق اسم النصارى كما سيتضح لنا ذلك عند  
الكلام على الامة السامية انشاء الله

ثالثاً - بلاد الفرس أو بلاد العجم المشهورة بایران وعدد سكانها ثمانية ملايين  
تقريباً كلهم مسلمون الا قليل جداً ممن يعدون بمشركات الالوف يعبدون النار  
والمسيحية • وحكومة هذه البلاد هى حكومة اسلامية محضه مستقلة تماماً  
وعاصمتها مدينة طهران وأشهر مدنها أصفهان التى كانت عاصمتها سابقاً ثم شيراز  
وبوشهر وبندر عباس وكرمان

رابعاً - الافغانستان أو حكومة كابل وهى مستقلة وعدد سكانها أربعة  
ملايين تقريباً كلهم مسلمون أهل بادية يسكنون الجبال والوديان وعاصمتها كابل  
وأشهر مدنها هيرات

### ﴿ الاقليم الشرقى ﴾

هذا الاقليم يشتمل على قسمين عظيمين وهما :

أولاً - مملكة الصين وعدد سكانها أربعمائة مليوناً تقريباً كلهم وثنىون إلا  
أربعون مليوناً أصلهم من العساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين فى عهد

الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث كانت رعاياه قد ثارت عليه فاستنجد بذلك الخليفة على أن يؤدي إليه شيئاً معلوماً فاتجده بأربعة آلاف من صناديد المسلمين الذين أبلوا بالصينيين بلاء حسناً حتى أخذوا الفتن والثورات الداخلية فجازاهم ملك الصين على ذلك بجواز الإقامة ببلادهم والتزويج بينات الاهالي ومصاهرة الاعيان وأعطاهم وقتها كافة ما احتاجوا اليه

على أن هذه المملكة هي أكثر ممالك الدنيا سكاناً وأعظمها اتساعاً ولو أنها مستقلة الا انها للأسف أضعف من الضعف حتى أصبحت مطمحاً لانظار كافة الدول خصوصاً في هذا العصر • ولولا مطامع الدول الاشعبية ومناظراتها لبعضها لذهبت تلك المملكة عن آخرها فريسة في أقل من امح البصر الا ان الله قد أوقع مأوقعه بين تلك الدول فأصبحت هي في معزل رغماً عما هو ساري في شرايينها من الانحطاط والضعف العظيم

نعم قد كان لهذه المملكة شأن كبير في سالف الازمان الا اننا لانفهم سبباً لما حل بها الآن من الجمود المتناهي والتقهقر الزائد مع أن موقعها الطبيعي ووحدة جنسياتها ولغتها وديانتها مما يجعلها في مقدمة الدول مالياً وأدياً بل سيدة العالم أجمعين في كل زمان ومكان

ثانياً - مملكة اليابان وعدد سكانها أربعون مليوناً وهي حكومة مستقلة عبارة من جملة جزائر متقاربة تتوف عن الأربعة آلاف جزيرة أكبرها جزائر نيفون ويزو وسيكوك وكيوسيو وليوكيو • وعاصمة هذه المملكة هي طوكيو وأشهر مدنها كيوتو ويوكوهاما • تلك المملكة التي أوجدت لها مركزاً سامياً بين الممالك العظمى عقب ما قامت به وحازته من النصر والفخر في الحرب التي انتشبت بينها وبين روسيا حوالي سنة ١٩٠٥ مسيحية

## ﴿ الاقليم الجنوبي ﴾

هذا الاقليم يشتمل على أربعة أقسام وهي :

أولاً - الهند الصينية وعدد سكانها ستة وعشرون مليوناً تقريباً بينهم كثير

من المسلمين وهي تشتمل على ستة مستعمرات :

اثنان انكليزيتان وهما مستعمرة برمانيا وعاصمتها رنجون ثم مستعمرة بوغاز

ملقا وأشهر مدنها سنغافورة

واثنان فرنساويتان وهما مستعمرة الكوشين أو الكوشنشين وعاصمتها سايجون

ثم مستعمرة التونكين وعاصمتها هانوي

والخامسة مستعمرة برمانيا وهي تحت حماية الانكليز وعاصمتها منداي

والسادسة مستعمرة مملكة سيام وهي تحت حماية فرنسا وعاصمتها بنكوك

ثانياً - مملكة الهند وسكانها ٢٥٠ مليوناً منهم ٦٠ مليوناً من المسلمين

تقريباً وهي مستعمرة انكليزية عظيمة الثروة كثيرة الحاصلات والتجارة وتشتمل

على مملكتين مستقلتين متحالفتين وهما نيول وبوتان في جبال هيماليا وخمسة بلاد

تابعة لفرنسا وبلدتان تابعتان للبرتغال

ثالثاً - البلوخستان أو البالخ وهي وان كانت بلدة صغيرة لا يتعدى سكانها

الخمسة ألاف نسمة تقريباً الا أنها مستقلة وعاصمتها كيلات والديانة الغالبة فيها

هي الديانة الاسلامية

رابعاً - بلاد العرب أو شبه جزيرة العرب سكانها ثمانية ملايين تقريباً

وتنقسم الى ستة أقسام وهي :

١ - الحجاز ومركزها مكة المشرفة التي فيها بيت الله الحرام يؤمها المسلمون

سنوياً من أبعد الاقطار وأشهر المسافات بمقدار ينوف عن المائتي ألف نفس

تقريباً . وهي مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومينأؤها على البحر الاحمر

تسمى جده • وأشهر مدن هذه البلاد المدينة المنورة التي دفن فيها النبي عليه الصلاة والسلام وميناؤها على ذاك البحر أيضاً وتسمى ينبع

٢ - اليمن ومركزها صنعاء وأشهر مدنها مخا الشهيرة بتجارة البن وحديد وبقنفه ثم مأرب . وذلك بخلاف مدينة عدن وجزيرة قران ثم جزيرة بريم بيونغاز باب المندب الموجودة على سواحل بلاد اليمن فانها الثلاثة تابعة لبلاد الانكليز

٣ - قسم الحسا والبحرين وأشهر مدنه الهفوف والقطيف على بحر عمان وبها الأولو الجيد

٤ - حضرموت وهي تنقسم الى جملة أقسام مستقلة وأشهر مدنها تريم وبروم

٥ عمان ومركزها مسقط وأشهر مدنها نزقة ورسته وصحار

٦ - نجد وهي في وسط بلاد العرب وأشهر مدنها الرياض والهائل

هذه هي أقسام بلاد العرب فالثلاثة الاولى تابعة للدولة العلية العثمانية والثلاثة الاخيرة مستقلة الا ان هذه البلاد ليس فيها ما يستحق الذكر لانها كلها صحارى وجبال ووديان واهلها يعيشون عيشة البداوة الاصلية التي هي الفطرة الحقيقية الأولى للانسان

### ﴿ قارة أفريقيا ﴾

قد ذكرنا ما ذكرناه بناية الايجاز عن قارة آسيا التي هي في العمران والمدنية والثروة أقدم القارات بل سيمتها على الاطلاق والآن سنتكلم على تاليها وهي أفريقيا التي قضى عليها سوء البخت ونكد الطالع بأن تكون مطمحاً للمطامع الخارجية ومرتباً للفتن والثورات الداخلية حتى صارت أم العجائب والغرائب كما قضى الله بذلك على أبنائها المتناسلين من حام بن نوح الذين ضربت عليهم المذلة والمسكنة فلم تنفك عنهم قيود العبودية فضلاً عن التأخير الهائل والأخطا العظيم

هذه القارة تضاهي القارة الاولى في الاتساع والثروة الطبيعية الا انها لا تبلغ نصفها في السكان وهي تنقسم الى ستة عشر قسماً نذكرها كالآتي :

أولاً - الحكومة المصرية وعدد سكانها ينوف عن اثني عشر مليوناً كلهم مسلمون الا سبعمائة ألف تقريباً معظمهم أقباط والباقي ما بين أرمن ويهود وقايل من الافرنج خليط من الانكليز والاروام والفرنساويين وعاصمتها القاهرة الكائنة تحت سفح جبل المقطم على النيل من الجهة الشرقية وفيها خمسة محافظات وستة مديريات في الوجه البحري وثمانية مديريات في الوجه القبلي نذكرها كالآتي :

المحافظات هي : مصر واسكندرية ودمياط والقنال والسويس ومديريات الوجه البحري هي : مديرية القايمويه وبندرها بنها ومديرية الشرقية وبندرها الزقازيق ومديرية الدقهلية وبندرها المنصورة ومديرية الغربية وبندرها طنطا ومديرية المنوفية وبندرها شبين الكوم ومديرية البحيرة وبندرها دمنهور اما مديريات الوجه القبلي فهي : مديرية الجيزة وبندرها الجيزة ومديرية الفيوم وبندرها الفيوم ومديرية بني سويف وبندرها بني سويف ومديرية المنيا وبندرها المنيا ومديرية اسيوط وبندرها اسيوط ومديرية جرجا وبندرها جرجا ومديرية قنا وبندرها قنا ومديرية اوصان وبندرها اوصان

هنا بخلاف محافظتين صغيرتين اولاهما محافظة العريش والثانية محافظة القصير فضلاً عن الواحات الداخلة التابعة لمديرية اسيوط والواحات الخارجة التابعة لمديرية المنيا وواحات سيوه التابعة لمديرية البحيرة . وهذه الحكومة هي خديوية تابعة للدولة العثمانية ولها شأن عظيم في التاريخ وفي الثروة الطبيعية نظراً لمركزها الطبيعي وطقسها اللطيف

وهناك أبلغ ما قيل عن هذه البلاد ضمن المحاورات التي دارت بين أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب وبين عمرو بن العاص الذي افتتح البلاد المصرية

ثم كتب الاول بناء على طلبه يقول :

« اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر قرية غبراء • وشجرة خضراء • طولها شهر • وعرضها عشر • يكتنفها جبل أغبر • ورمل أعفر • يخط وسطها النيل المبارك الغادات • ميمون الروحات • تجري فيه الزيادة والنقصان • تجارى الشمس والنمر • له أوان يدر حلاله ويكثر عجاجه • وتعظم أمواجه • فيفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا فى صغار المراكب • وخفاف القوارب • وذوارق كأنهن الخيايل • ورق الاصايل • فاذا تكامل فى زيادته نكص على عقبه كأول ما بدا فى جريته • وطى فى درته • فتمت ذلك تخرج ملة محقورة • وذمة مخقورة • يحرقون بطون الارض ويندرون بها الحب • يرجعون بذلك النماء من الرب • لقيمهم ماسعوا من كدهم • فناله منهم بشير جدهم • فاذا أحرق الزرع وأشرق سقاء الندى • وغداه من تحت الثرى

فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء • إذ هى عنبرة سوداء • فاذا هى زمردة خضراء • فاذا هى دياجة زرقاء • فتبارك الله الخالق لما يشاء • والذي يصلح هذه البلاد وينيرها • ويقر قاطناتها فيها أن لا يقبل قول خسيسها فى رئيسها • وان لا يستأدى خراج الثمرة الا فى أوانها • وان يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وتراعها • فاذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الاحوال تضاعف ارتفاع المال • والله تعالى يوفق الملك والمآل »

ثانياً - السودان وقد كان أولاً تابعاً للحكومة المصرية ولكن ادارته الآن مشتركة بينها وبين الانكليز ولم يعمل له تعداد حتى يمكننا ان نحصر سكانه الا أنهم يبالغون بوجه التقريب نحو العشرة ملايين أغلبهم من المسلمين الذين يعيشون عيشة البداوة الاصلية • وهو ينقسم الى مديريات ومحافظات • ناصمته الخرطوم واشهر مدنه حلغا ومروى وسواكن وبربروكسلاومدني والخرطوم بحرى

وأمّ درماز والابيض والتوفيقية وكديوك

ثالثاً - الحبشة وعدد سكانها سبعة ملايين تقريباً أغلبهم أقباط من المسيحيين المستقلين عاصمتها غندار وأشهر مدنها عدوه وميناؤها التجارية مصوع . وفي شرقها يوجد مستعمرة أوبك وتاجوره الفرنسية وفي شمالها الشرقى بلاد الأرتيرة التابعة الى ايطاليا

وهذه الثلاثة أقسام موجودة على ساحل البحر الأحمر

رابعاً - طرابلس الغرب وعدد سكانها مليون ونصف تقريباً وهى ولاية اسلامية تابعة للحكومة العثمانية وعاصمتها طرابلس وأشهر مدنها بنى غازى ثم مرزوق وهى مركز قسم قزان

خامساً - تونس وهى بلاد اسلامية عدد سكانها مايونان تقريباً تحت حماية فرنسا وعاصمتها تونس التى كان اسمها قديماً ( قرطاجه ) وأشهر مدنها القيروان التى كانت عاصمة هذه البلاد فى زمن نشأتها ولم تزل الآن محترمة عند المسلمين كما كانت أولاً

سادساً - الجزائر وهى بلاد اسلامية تحت حماية فرنسا وسكانها أربعة ملايين تقريباً وعاصمتها الجزائر وأشهر مدنها دهران وقسطنطين وبونه

سابعاً - مراكش وتسمى بالمغرب الأقصى وعدد سكانها عشرة ملايين تقريباً كلهم مسلمون مستقلون الا انه فى أوائل سنة ١٩٠٦ م اشتغلت بداخليتها الفتن والثورات وانتهى أمرها بعمل مؤتمر دولى كان مركزه فى بلاد اسبانيا وانتهى تقريباً بنوع حق المداخلة الاجنبية فى الادارة الداخلية . عاصمتها فاس وأشهر مدنها مراكش ومكناسه وطنجه . وفى هذه البلاد مدينة سبتة وبعض قلاع على البحر الابيض المتوسط تابعة لحكومة اسبانيا وكل الاربعة بلاد المذكورة موجودة فى شمال القارة على ساحل البحر الابيض المتوسط

ثامناً - الصحراء أو البادية الكبرى التي هي أكبر صحارى الدنيا بأجمعها  
تتشأها رمال والثلث الباقي مكون من هضبات صخرية ومروج خضراء وبعض  
غابات فيها النخيل والأشجار الطبيعية وبها كثير من الواحات التي أشهرها واحات  
الادرار وواحات الاحجار وواحات بتسي . سكانها كلهم مسلمون من العرب  
الرحل لا يمكن معرفة مقدارهم الا انهم ربما ينوفون عن العشرة ملايين  
تاسعاً - سنغيبيا وهي مستعمرة فرنسية عند سكانها ثمانية ملايين تقريباً  
أكثرهم مسلمون وعاصمتها سنت لويز (لويز المقدس) وأشهر مدنها واكار .  
وفي هذه البلاد قسم اسمه غمبيا منقسم ثلاثة بين فرنسا وانكلترا والبرتغال  
وأشهر مدنها بانورست وهي تابعة للانكلز

عاشراً - غينيا الشمالية وكلها مستعمرات كثيرة مشتركة بين الدول الأجنبية .  
وسكان هذه البلاد أربعة ملايين تقريباً كلهم متوحشون من عبدة الاوثان  
وأشهر مدنها فرى تاون وميزوفيا وقوماسيه وأبومى

الحادى عشر - غينيا الجنوبية وهي عبارة عن ثلاثة مستعمرات تابعة الى  
فرنسا والبرتغال وبلجيكا . وعدد سكانها أربعة ملايين تقريباً كلهم متوحشون  
يعبدون الاوثان . وأشهر مدنها ليرفيل (أعنى المدينة الحرة) ثم مدينة فرانس  
الثانى عشر - الهوتوتوت وهي مسكونة بأمم مختلفة الاجناس متوحشين

وتابعين الى المانيا وفتط فيها مستعمرة خليج الحوت فانها تابعة للانكلز  
الثالث عشر - الكاب وعدد سكانها خمسة ملايين معظمهم وثنيون متوحشون

ماعد قليل من المسيحيين والمسلمين

ومن ضمن هذه البلاد جمهوريتا أورنجية الحره والترنسفال حيث كانتا  
مستقلتين استقلالاً تاماً الا انهما تتبعتا للبلاد الانكليزية سنة ١٩٠٢ م عقب حرب  
هائلة قامت بينها وبين الانكلز ولم تنته الا فى يونيه سنة ١٩٠٢ م . وهذه البلاد  
مشهورة بمناجم الالماس وعاصمتها الكاب

وكل الستة البلاد المذكورة موجودة على ساحل المحيط الاطلسي  
الرابع عشر - موزمبيق وهي مستعمرة برتغالية سكانها لا يزيدون عن مليون  
ونصف تقريباً فيهم كثير من المسامين عاصمتها موزمبيق وأشهر مدنها سوفالا وكليمانه  
الخامس عشر - الزنجبار وهي عبارة عن مستعمرة ألمانية وأخرى انكليزية  
عدد سكانها نحو الاربع مائة ملايين كلهم مسامون وأشهر مدنها كلوه ومباساشم  
مدينة زنجبار ولها سلطان مسلم كان أصله من مسقط الموجودة ببلاد العرب بآسيا  
وهاتان المملكتان موجودتان على المحيط الهندي بخلاف بلاد الصومال الموجودة  
شمال زنجبار وليس فيها ما يستحق الذكر

السادس عشر - قد ذكرنا من ممالك أفريقيا ما يستحق الذكر الا انه هناك  
ممالك أخرى بعضها معلوم والآخر مجهول في أواسط افريقيا يبلغ سكانها نحو الاربعين  
مليوناً كلهم مسامون ومنقسمون الى جملة قبائل وولايات وممالك صغيرة بعضها  
تابع للبلاد الاجنبية والبعض مستقل لا يهتم بشيء في البحث عن بلادهم لانهم  
كلهم على حالة البداوة الاصلية

### ✽ قارة أوروبا ✽

هذه هي القارة التي استوطنها الياقيون المتناسلون من ولد يافث بن نوح  
فأصبح لهم الشأن الاكبر في هذا العصر بل لهم السيادة العظمى على كافة أرجاء  
المسكونة قاصيها ودانيها بعد ان كانوا عكس ذلك في العصر القديمة ولله في خلقه شؤون  
هذه القارة تضاهي ربع أفريقيا في الاتساع ونصف آسيا في السكان تقريباً  
وتنقسم الى تسعة عشر مملكة نذكرها كالاتي :

أولاً - الجزائر البريطانية أو بلاد الانكليز عدد سكانها ٣٨ مليوناً تقريباً  
وهي أعظم بلاد الدنيا صناعة وتجارة وملاحة فضلاً عما لها من النفوذ المالي في  
كافة أرجاء المعمورة نظراً لما لها فيها من المستعمرات الكثيرة التي جعلتها أكبر  
مملكة في الكون تحكم ربع الدنيا بأسرها • عاصمتها لندن على نهر التيمس التي

هى أكبر مدن الدنيا عمراناً لانها تشتمل على خمسة ملايين تقريباً • وأشهر مدنها  
ليفربول ومنشستر وشيفيلد وايدمبورغ التى هى عاصمة إيقوسيا ثم دولين وهى  
عاصمة جزيرة إيرلند

ثانياً - الدانماركه وعدد سكانها مليونان تقريباً عاصمتها كوبنهاجن • وهى  
بلاد زراعية متركة من حلة جزائر

ثالثاً ورابعاً - مملكتا اسوج وزوج وهما عبارة عن مملكتين الاولى مشهورة  
بالسويد وعاصمتها استنخلم والثانية بالنرويج وعاصمتها كريستيانيا وعدد سكانها معاً  
سنة ملايين تقريباً وأشهر مدنها أوسلا

خامساً - الروسية أو بلاد المسكوف عدد سكانها مائة مليون تقريباً وعاصمتها  
بطرسبورغ وأشهر مدنها موسكو التى كانت عاصمة المملكة قديماً ثم أودسا •  
وعلى العموم فان هذه المملكة متسعة جداً حتى وانها تشغل أكثر من نصف  
مسطح قارة أوروبا فضلاً عن أنها أعظم بلاد الدنيا فى محصول القمح بعد الولايات  
المتحدة بأمريكا

سادساً - فرنسا عدد سكانها ٣٨ مليوناً وهى بلاد زراعية من أشهر بلاد  
أوروبا فى التجارة والصناعة والملاحة بعد الانكليز وعاصمتها باريس وفيها من  
السكان مليونان ونصف • وفضلاً عن شهرة هذه البلاد بتقدمها فى المدنية فان  
اهاليها ذوو طيش زائد وحماسة شديدة متمتعين بالحرية الزائدة التى تغالوا فيها  
غلوأ كبيراً حتى جعلتهم يبنون الديانات السماوية ويميلون للشهوات النفسانية •  
وأشهر مدنها مرسيليا وطولون

سابعاً - بلجيكا وعدد سكانها ستة ملايين تقريباً وهى بلاد كثيرة الصناعة  
والتجارة والسكان على قلة اتساعها وعاصمتها بروكسل وأشهر مدنها أنفرس  
ثامناً - هولند وتسمى البلاد الواطية لانها عبارة عن سهل كثير المستنقعات

محافظة منخفضة عن سطح البحر • عدد سكانها أربعة ملايين ونصف تقريباً  
وهي بلاد زراعية ذات تجارة شهيرة خصوصاً ببرى الناس • وعاصمتها الرسمية  
لاهى أو لاهاى أو الهاى وأشهر مدنها أمستردام المعتبرة عند الألمانى بالعاصمة الحقيقية  
تاسعاً - ألمانيا وعدد سكانها ٤٧ مليوناً تقريباً ومكونة من ٢٢ مملكة متعاهدة  
تحت إمرة ملك البروسيا الذى هو امبراطور ألمانيا وهي أعظم بلاد الدنيا فى  
استخراج الحديد بعد انكلترا والولايات المتحدة • وهي آخذة فى مزاحمة فرنسا  
وانكلترا فى الصناعة والتجارة والملاحة والاستعمار كبيرة قد لا يحسن مغبتها  
فى المستقبل الآتى وعاصمتها برلين وأشهر مدنها مونيخ وهامبورج

عاشراً - بلاد النمسا والمجر ويقال للأولى استريا والثانية هنكاري • وعدد  
سكانها ٣٨ مليوناً ويوجد بها كثير من معدن الحديد والغابات وزراعة القمح •  
عاصمتها فيينا وأشهر مدنها تريسته

الحادى عشر - سويسرا ولو أنها مستقلة بنفسها إلا أنها تعاهدية مع كافة  
الممالك ومكونة من ٢٢ جمهورية صغيرة تابعة كلها لحكومة واحدة مركزها  
مدينة برن عاصمة البلاد وأشهر مدنها جنيف الشهيرة بعمل الساعات المتقونة  
والحلى العظيم

الثانى عشر - البرتغال عدد سكانها خمسة ملايين ولو أنها زراعية إلا أنها  
متأخرة فى التجارة والصناعة واسمها يدل على أنها شهيرة بزراعة البرتقال •  
عاصمتها لشبونة أو اشبونه وأشهر مدنها بورتو الشهيرة بتجارة النبيذ

الثالث عشر - إسبانيا عدد سكانها ١٧ مليوناً وفيها الجزء المسمى بالاندلس  
مذ كانت بها الديانة الإسلامية • وهي متأخرة فى الصناعة والتجارة مع أن  
ثروتها الطبيعية عظيمة جداً حيث يوجد بها كثير من المعادن المهمة الاستخراج •  
عاصمتها مدريد وأشهر مدنها قرطاجنة وغرناطة وقرطبة وبها مدينة جبل

طارق التي هي مفتاح بوغاز جبل طارق وتابعة للانكليز

الرابع عشر - ايطاليا - عدد سكانها ٣٠ مليوناً وهي مشهورة بالتجارة البحرية ولو أنها ضعيفة الثروة إلا أنها مبالغة لكثرة الاستثمار • عاصمتها روم و هي مقر البابا رئيس الديانة الكاثوليكية وأشهر مدنها نابلي وبالرمه وجنوه وبرندزي ثم فينيسيا ( البندقية )

الخامس عشر - اليونان - عدد سكانها مليونان ونصف تقريباً وهي مملكة صغيرة ذات تجارة مهمة ولكنها عديمة الصناعة تقريباً وأهلها ذوو قدرة على الصبر والجلد والغربة وتحمل المشقات سراً وراء طيب الارتزاق • عاصمتها أثينا الشهيرة بآثارها القديمة

السادس عشر - المملكة العثمانية ويقال لها تركية أوربا عدد سكانها تسعة ملايين تقريباً مختلفو الاجناس من أتراك وأرناؤوط وأرمن وأروام ويهود • الدين السائد فيها هو الدين الاسلامي وسلطانها هو خليفة المسلمين وعاصمتها القسطنطينية أو اسلابول التي يسكنها ٨٠٠ ألف نسمة • وأشهر مدنها أدرنه وسلاطيك وقوله ويانبا وخلاف ذلك من المدن والولايات التي تدفع خراجاً سنوياً للدولة ولكنها مستقلة تقريباً في ادراتها الداخلية والخارجية

السابع عشر - رومانيا وعاصمتها بوخارست

الثامن عشر - الصرب وعاصمتها بلغراد

التاسع عشر - الجبل الاسود وعاصمته ستينيه

كل هذه الممالك الصغيرة كانت تابعة للدولة العثمانية أولاً حتى سنة ١٨٧٨ م ميلادية خرجت من حكمها واستقلت بنفسها عقب الحرب العثمانية الروسية التي وقعت سنة ١٨٧٦ م

## ﴿ قارة أمريكا ﴾

هذه هي القارة الحديثة التي يعبرون عنها بالدنيا الجديدة التي استكشفها كريستوف كولومب وقد قيل بسابقة استكشافها قبله الا ان هذا هو القول المشهور الآن . وهي توازي قارة أفريقيا في الاتساع وأقل منها بقليل في عدد السكان . وتنقسم الى ثلاثة أقسام : أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية

### ﴿ أمريكا الشمالية ﴾

هذا القسم يشتمل على أربعة ممالك عظيمة :  
 أولاً - جرونلند وهي اقليم كثير البرودة لم تعلم حدوده الآن . سكانها يعرفون بالاسكيمو ذوو قامة قصيرة جداً وعلى شواطئها مستعمرات تابعة للدانيمركه وأشهر مدنها جوليا نسيهاب وجودهاب  
 ثانياً - كندا وتسمى أيضاً بريطانيا الجديدة لتبعتها الانكاز عدد سكانها خمسة ملايين تقريباً وهي بلاد زراعية فيها كثير من معادن الفحم الحجري والحديد والفضة وغيرها . عاصمتها أوتاوا وأشهر مدنها كيبك ومنتريال وتورنتو  
 ثالثاً - الولايات المتحدة . عدد سكانها ٦٣ مليوناً تقريباً وهي مملكة متمدة للغاية ذات تجارة وصناعة وزراعة لا يفوقها في ذلك أعظم دولة في الدنيا فضلاً عما فيها من الغابات الواسعة ومعادن الفحم والذهب والفضة والزئبق وينابيع عابده من الزيت الارضى الذي هو البترول . وعلى العموم فهي الثانية بعد المملكة الانكليزية في التقدم والتمدن والقوة

ويتبعها قسم السكا الواقع في الشمال الغربي من أمريكا الشمالية عاصمته واشنطن وأشهر مدنها نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وسنت لويز  
 رابعاً - مكسيك عدد سكانها ١١ مليوناً ونصفاً تقريباً وهي جمهورية وبها كثير

من المعادن والزراعة إذ أن الصناعة قد تكون معدومة فيها تقريباً • عاصمتها  
مكسيكو وأشهر مدنها فيرا كوز وبويبلا أو أكاباكو  
﴿ أمريكا الوسطى ﴾

هذا القسم يشتمل على خمسة جمهوريات صغيرة مستقلة وهي :

- ١ - جواتيمالا وعاصمتها جواتيمالا
  - ٢ - هوندوراس وعاصمتها تيجوسيغالبا
  - ٣ - سلوادور وعاصمتها سان سلوادور
  - ٤ - نيكاراغوا وعاصمتها ماناجوا
  - ٥ - كوستاريكا وعاصمتها سان خوزي وأشهر مدنها پونتاريناس
- ﴿ أمريكا الجنوبية ﴾

هذا القسم يشتمل على عشرة ممالك مستقلة كالاتي :

- أولاً - جمهورية فنزويلا عدد سكانها ٢ مليوناً ونصفاً تقريباً وعاصمتها  
كاراكاس
- ثانياً - جمهورية كولمبيه عدد سكانها ٣ مليوناً ونصفاً تقريباً وعاصمتها بوجوتا  
وأشهر مدنها كولون
- ثالثاً - جمهورية خط الاستواء عدد سكانها ١ مليوناً ونصفاً وعاصمتها كيتو  
وأشهر مدنها جوييا كيل
- رابعاً - جمهورية بير وعاصمتها ليا وأشهر مدنها  
كلادو
- خامساً - جمهورية تشيلي عدد سكانها ٢ مليوناً ونصفاً وعاصمتها سانتياجو  
وأشهر مدنها فلپاويز وميناء سانتياجو
- سادساً - جمهورية لابلاتا المسماة أرجننتين أو بلاد الفضة عدد سكانها ٣ مليوناً

وعاصمتها بيونوزير

سابعاً - جمهورية أوراجوى عدد سكانها ٧٠٠ ألف تقريباً وعاصمتها

مونتيديو

ثامناً - جمهورية باراجوى عدد سكانها ٣٥٠ ألف تقريباً وعاصمتها

أسونسيون

تاسعاً - جمهورية بوليفيا عدد سكانها ٢ مليوناً وعاصمتها شيكيزاكا أو السكر

وأشهر مدنها لاباز

عاشراً - البرازيل عدد سكانها ١١ مليوناً تقريباً وعاصمتها ريو دوجانيرو

وأشهر مدنها باهيا

### ﴿ قارة أستراليا ﴾

هذه هي القارة التي كانت معتبرة أولاً جزيرة كاحدى جزائر الدنيا الا

انها من ابتداء القرن التاسع عشر اعتبرت قارة قائمة بنفسها وتنقسم الى ثلاثة

اقسام تابعة للممالك الاوروبية كالآتى :

أولاً - قسم ماليزيا وهو يشتمل على مجمع جزائر الصوندالذى يحتوى على

جزيرة جاوا التابعة لهولنده وعاصمتها باتافيا ومعظم اهلها مسالمون

ثانياً - قسم ميلانيزيا واشهر مدنه ملبورن وسدنى

ثالثاً - قسم بولينزيا الذى فيه ثلاثة جهات مستقلة وهى جزائر سندويز

التي أشهر مدنها هاواى • وجزائر صاموا أو الملاحين • وجزائر طنجه أو

الاحباب • أما باقى جزائر القسم المذكور فتابع لانكلترا وفرنسا واسبانيا

والى هنا انتهى بنا الكلام عن أقسام الدنيا بعد أن تحاشينا التطويل

واقصرنا على ما يحتاج اليه الانسان

## الكواكب المسكونة

قد أوجزنا المقال عن الارض باعتبار أنها كوكب سيار خلق الله فيه النبات والطيور والحیوان وجعله لهم مستقراً و متاعاً الى حين الا أنه من جهة أخرى يهمنا كثيراً ان نكون على بصيرة مما اذا كان هو الكوكب الوحيد الذي اختص بالحياة النباتية والحيوانية أم هناك كواكب أخرى شاركته في ذلك . ولعمري فهذه مسألة أخذت دوراً مهماً في كل عصر من الاعصار القديمة والحديثة حتى وان بعض العلماء اعتقدوا بوجود عوالم حية في كواكب أخرى غير الارض كالمریخ والزهرة وعطارد وأخذوا في ثبوت ذلك ثبوتاً عقلياً يرتاح اليه الضمير . والبعض أنكروا ذلك كل الانكار ومعظم الناس أصبح متردداً بين هؤلاء وبين هؤلاء

أما أصحاب الرأي الاول الذين يعتقدون بوجود كواكب أخرى مثل الارض فيها يحيى النبات ويعيش الطير ويتناسل الحيوان من أعجم وانسان فانهم معذورون لان الشواهد العقلية والحسية والقياسية التي تجلت لهم أثناء البحث قد ساعدتهم مساعدة جعلت ذاك الاعتقاد يرسخ في أذهانهم رسوخاً متيناً رغماً عما لا قوه من معارضة المعارضين واستهزاء المستهزئين . قال أصحاب هذا الرأي ان العقل لا يقبل ان تكون الارض هي الكوكب الوحيد الذي دبت فيه الحياة دون باقى الكواكب التي لا يمكن تمييز أحدها عن الكواكب الاخرى السابحة في هذا الفضاء اللانهائية له على الاطلاق . ثم قالوا ان الحياة في الكواكب الاخرى لا تتوقف على ما عندنا من الهواء والماء والمعادن والنباتات والحرارة الارضية التي اعتقدناها روحاً لحياتنا في هذه الدنيا حيث ربما ان تكون المخلوقات فيها ليست على شاكلتنا في تركيب الجسم وترتيب الاعضاء وكافة ما يستلزمه ذلك من التنوعات والاختلافات . ذلك لان المخلوقات الأرضية قد اوجدها الله تبعاً لتركيب الارض وما فيها من حرارة وماء وهواء ومعدن ونبات

والواقع ان هذا الفكر لا يخلو من الصواب مهما كانت الحقيقة لانه ليس بعزيز على الله سبحانه وتعالى ان يكون قد خلق مخلوقات أخرى في كوكب آخر أو جملة كواكب خلاف الارض وأوجد هناك مناسبة لحياتها كما أوجدها في الارض . نعم تد أنكر ذلك أصحاب الرأي الثانی واعترضوا عليه نظراً لخلو تلك الكواكب من مواد الحياة مع أننا لانعلم من أسرار الكون بل أسرار الحياة الا النذر اليسير

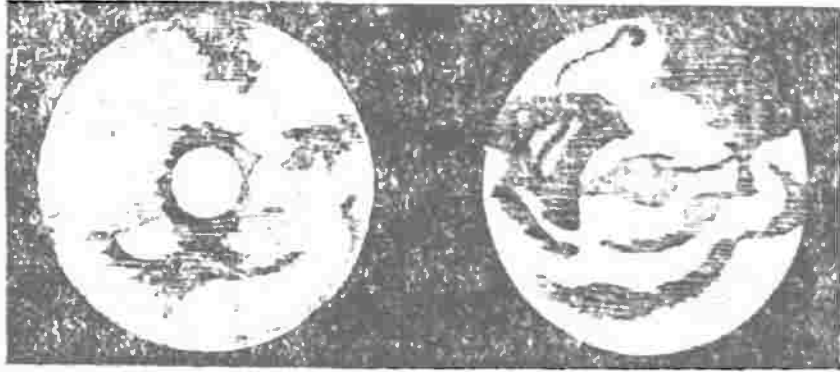
على أن مثل الفريقين في ذلك كمثل سمكتين كانتا في غدير من الماء فاقتربت أولاهما للشاطئ فانبرت اليها الثانية ناضجة إياها من ذلك الاقتراب خوفاً من وقوعها في شبكة الصيادين الواقفين خارج الماء فنظرت اليها الاولى شذراً وقالت لها مستهزئة :

« إنك تهرفين بما لاتعرفين حيث لا يمكن للمخلوقات أن تعيش خارج الماء وما قصدت بنصيحك لي الا تظاهراً بالملم وحباً في الشهرة ورغبة في الظهور بالافكار الجديدة » . وما كادت تنتهي من الكلمة الاخيرة حتى اصطادها الصيا وأخرجها من الشبكة وصارت بين يديه فنظرت اليه السمكة ورأته حياً خارج الماء فندمت على عدم سماعها نصيحة السمكة الاخرى وتحققت من أنه ليس على الله بعزيز أن يخلق المخلوقات كما شاء وأراد تحقيقاً لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

### المرج

وأول كوكب اعتقدوا بصلاحيته للحياة النباتية والحيوانية هو المرج الذي بعد أن رصدوه وراقبوا حركته وسكناته تحقّقوا من أن جرمه وجوه وشكله ومشمّلاته وحركاته وسكناته مشابهة كل المشابهة لمثيلها في الارض فضلاً عن اشتماله على بقع هندسية الشكل تشابه ما على سطح الأرض من الترع والشلجان

والمجاري وغيرها مما لا يتأتى صنعه الا بفكر وعقل وقوة حكمة كما هو واضح  
بالشكل نمرة ١



(الهلال)

شكل نمرة ١

قال أحد أنصار هذا الرأي المدعو ( برسيغال لويل ) : « إن للمريخ جواً  
مثل جونا وفيه مياه مثل مياهنا وهما العنصران الضروريان للحياة - ثم قال :  
وعلى سطحه بقع منتظمة الشكل لا توجد الا بتداخل العقل في اصطنائها »  
فمن ذلك توهموا أن ذاك الكوكب لا يخلو قطعياً من العوالم الحية التي  
وجهت دفة أفكارهم نحو إيجاد الطريق الذي يوصلهم لها تلك العوالم مهما كلفهم  
ذلك من العناء وطول الانتظار ، فاشتغلوا أولاً في كيفية مخاطبتهم حتى بعد  
ذلك يسهل عليهم التزاور والانتقال الا أن هذه المسألة قد جعلت أصحاب هذا  
الرأي مضغة في الافواه حتى وأن كثيراً من العلماء اعتبروا هذه الافكار من قبيل  
لاحلام بل من قبيل الهوس والجنون فتمادى الناس في الاستهزاء بهم والاستخفاف  
بعقولهم متمثلين بقول أبي العلاء الممرى :

إذا كان في العيان خلاف \* كيف بالغيب يستبين الخفاء

وبالينهم انتهوا لهذا الحد بل تعدوه للمعاملة القاسية الوحشية التي تذكرنا  
بالاضطهاد العظيم الذي حل بقطاع حل العلماء في كل عصر من الأعصار وأقربهم

الفيلسوف الايتالى الشهير ( لبرونو ) حيث كان يعتقد بوجود سكان فى كواكب  
أخرى خلاف الارض فقام عليه رجال الدين واتصدوه ثم زجوه أخيراً فى اعماق  
السجون وأذاقوه مر العذاب مدة سنتين ثم دعوه لتغيير معتقده فأبى فحكموه  
عليه بالحرق حياً وفعلاً حرقوه فى رومة سنة ٦٠٠ ميلادية

تلك مسألة وان كانت قد حصلت من نحو ثلاثة قرون الا أن بطور  
التواريخ قد حفظتها لتكون فى يوم من الايام حجة للعقلاء فى الحكم على هؤلاء  
الظالمين بفساد أفكارهم وطيش عقولهم وجود قلوبهم • ذلك اليوم الذى فيه  
سيرهم الله آياته فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه خالق مالا يعلمون وأوجد  
فى الكون مالا يفقهون من علوم مبهومة وأسرار مجهولة سيكشفها الحداث  
بتوالى الايام وكرور الاعوام

من كان فى الازمنة الغابرة يفكر فى الكهرباء التى أنارت لنا الظلمات  
وسيرت المركبات فسهلت المواصلات حتى استعنا بها على اختراع التلغراف الذى  
ينقل لنا أخبار الدنيا بأسرها فى أقل من لمح البصر فضلاً عن التليفون الذى  
يحفظ الكلام وينطق به كما ينطق الانسان كأن الله آتاه العقل والصوت واللسان  
من كان فى القرون الاولى يفكر فى المركبات الهوائية التى تنقل فى الجو من  
مكان لى مكان كالقباى الطيارة التى بين أيدينا الآن

من كان ممن سلف من الامم يفكر فى وجود أشعة تخرق الاجسام المظلمة  
بل الاجسام الكثيفة فترينا ما وراء الجساد بل ما بداخل جسم الانسان من  
الاحشاء والعضلات كأشعة ( رنتجن ) التى خدمتنا بل خدمت النوع الانسانى  
على الاطلاق

هذا هو أهم ما لو كان الاوائل قد سمعوه فى أزمانهم استخروا به وهزأوا  
بمن يسعون وراء استكشافه واختراعه وقالوا عنه انه : « حديث خرافة

يا أمم عمرو • بل عاملوه تلك المعاملات الوحشية التي تمجها الاذواق وتأبها  
النفس الأتية بل ينهى عنها العقل والدين • لذلك نحن على يقين من أن العلم  
الصحيح سيحقق للأصحاب الرأي الأول من الآمال بتوالي الايام حتى يأتي  
الوقت الذي فيه نجعل الهواء مسكناً لنا ومنزهاً لرياضتنا وساماً للتنقل من  
كوكب لا آخر كما تنتقل الآن من بلد لبلد ومن جزيرة لجزيرة ومن قارة لقارة  
تصبح بين قوم نقبس ما عندهم من الصالح ونتقد ما لديهم من الطالح وتزاحم  
مع بعض في الاشغال كما كانت تزاحم أجدادنا في سالف الأزمان وكما نحن تزاحم  
مع بعضنا الآن

الا أن سكان ذلك الكوكب أقدم منا حياةً على ما يظهر انظراً لكونه أطول  
عمرأً من الارض التي نحن عليها • لذلك يكونون من باب الاحتمال أرقى منا بدناً  
وعقلاً وتقدماً في المدنية الشرعية والسياسية • قال العلامة (هوف) أحد أساتذة  
الجامعة بأمریکا : « ولما أن كان المريخ أكبر سناً من الأرض وقد جمد وبرد  
قبل الأرض بأزمان فالإنسان وجد قبل وجوده على الأرض وأرتقى أكثر  
من ارتقاها فيها »

فما ترى هل خلق الله أباهم هؤلاء السكان مثل ما خلق أبانا آدم من  
صالح من حمأ مسنون

وهل خلق أمهم مثل ما خلق أمنا حواء من ضلع آدم وقما كان غريقاً في

النوم

وهل لهم جنة مثل جنتنا وإبليس مثل إبليسنا تسبب في أن أهبطهم الله  
من جنتهم لأرض جعل لهم فيها مستقراً ومتاعاً الى حين حيث فيها يحبون  
فيشقون ويسعدون ثم فيها يموتون ومنها يخرجون كما قضى علينا بذلك نحن  
الآخرون

وهل تلك الارض كأرضنا فيها هواء وماء وحجارة وتراب وزرع ونبت  
وشرب وأكل فموت ثم بعث فنعيم وجحيم  
وهل لهم أعين مثل أعيننا وأيد مثل أيدينا وأرجل مثل أرجلنا وعقل مثل  
عقلنا يقود الجميع

وهل لهم شهوة بهيمية مثل شهوتنا بها يتناسلون وبها يتحابون فيتماشقون  
فيسلبون أعراض بعضهم بعضاً فيتباغضون فيتنزعون فيقتتلون الى أن يتقاضوا  
جميعاً دنيوياً وأخروياً كما نحن نتقاضى الآن وسنتقاضى في الآخرة أمام رب  
العالمين

وهل هم مثلنا أقوياء هم يغتالون ضعفاء هم وأغنياء هم يهتقرون فقراء هم  
على أقل شيء يكون

وهل نشأ من بينهم قواد كقوادنا خاضوا عباب الحروب بقوة بعثتهم  
وقساوة قلبهم فسفكوا الدماء ونهبوا الديار وسبوا الاعراض وشتوا النساء  
والاطفال والرجال

وهل عندهم امتيازات كالامتيازات الاجنبية التي قصمت ظهورنا وحلت  
عرانا أم الكل في الحياة هناك سواء بسواء كما يقضى بذلك العدل والشرف في  
كل زمان ومكان

وهل قام من بينهم مثل من قام بيننا من الكهنة والحكماء والانبياء والرسل  
فسنوا لهم القوانين والشرائع كي يهتدوا سواء السبيل فيكونوا سعداء الدارين \*  
أم تجلى الله لهم جهاراً وهداهم بنفسه فأغناهم عن كل ذلك خصوصاً عن الوحي  
والتنزيل الذي يحتاج للتأويل والتفسير وكثرة القول والقليل كما نحن واقعون  
فيه الآن

وهل هم ياترى علمون بنا متشوقون للقائنا باحثون في أمرنا ملاقون في

سبيل ذلك شقاء مثل شقائنا الذي نجشمناء وسنتجشمه في مستقبل الايام  
تلك أسئلة ألقينها بناء على ما أوحته الينا سماء التخيلات والنصورات التي  
ربما سينكشف عنها غطاء الحفاء في القريب العاجل

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

### ﴿ الانسان ﴾

الانسان وما دراك ماهو : هو ذلك الحيوان الذي امتاز عن باقي المخلوقات  
بما آتاه الله من المواهب السامية والامتيازات العالية التي ساعدته على الانتفاع  
بغيره من حيوان وجماد فأتخذ البعض غذاء والآخر لقضاء حاجياته واستخدم  
كل شئ خلقه الله في هذه الدنيا بطرق غريبة كان أكبر مدير لها هو ذلك  
الجوهر النمين أعني به العقل الذي هو السلطان لتلك المواهب وهاتيك الامتيازات  
نعم قد امتاز عن جميع المخلوقات على وجه العموم يسيرها ويستخدمها  
ويتصرف فيها تصرف المالك طبق ما يشتهي نظراً لما يراه في نفسه من السيادة  
والامارة والسلطان إلا انه من جهة أخرى لا يكون انساناً حقيقياً إلا اذا كان  
على علم مما يتعلق بنفسه كي يخرج من دائرة الجلود الضيق الى دائرة القضاء  
الواسع الذي ليس له نهاية بل ليس فيه أحسن من حصول الانسان على معرفة  
أعظم حكمة في انتظام هذا الكون • تلك الحكمة التي تقضى عليه ان يكون مع  
أمثاله القريبين والبعيد بن سواء بسواء لأنه ان لم يكن كذلك فلا تكون وجهته  
إلا السعي وراء حب نفسه والاستئثار بحاجياته والاجحاف بحقوق غيره من  
الناس أجمعين

واذا كان مبالغ علمنا بأنفسنا هو الجهل ومنتهى غايتنا في حياتنا هي الأكل  
والشرب والضرب والحرب والقتل والسباب وقضاء الشهوة البهيمية ثم ينتهي ذلك

بنا الى الموت فوالله لا يكون مثلنا في هذه الدنيا إلا كمثل أقل الحيوانات المخلوقة  
التي نعلم جميعاً أنها بعد أن نخلق لا يكون همها في حياتها إلا ادخار قوتها حالاً  
واسبقاً حتى آخر لحظة من حياتها . ذلك الذي يجعل دائماً آسفين متألين  
فلا حول ولا قوة الا بالله

على أنه لو لم يكن من مستلزمات الانسان أن يعرف ولو قليلاً من متعلقات  
نفسه قديماً وحديثاً لما جعل الله لذلك أهمية في كل كتاب أنزله على رسله أجمعين .  
اذ ما من كتاب أنزله الله الا وهو مشتمل على كل ما يتعلق بالاولين والآخرين .  
لذلك جميعه يجدر بالانسان بل يلزمه ان يصرف جزءاً من وقته في درس المواضع  
التي تختص به ليميز عن غيره من الكائنات فيعرف حينئذ مقدار نفسه فتتجلى  
له الحقيقة وتظهر أمامه العبرة بكل معانيها فتكون مزدجراً له ورادعاً لشخصه  
فيعود ذلك عليه وعلى الناس أجمعين بالخير والسعادة والفلاح

على ان البعض طالما أجهد قواه وأتعب نفسه وحارب أفكاره سعياً منه وراء  
معرفة ذات الله وصفاته ومكانه وأعماله وأفعاله وكل ما يتعلق به كأن الانسان  
يريد أن يصل الى كنه الله سبحانه وتعالى وهو أصعب عليه من خراط القناديل  
فن باب أولى أن يتجه الانسان قبل الخوض في ذلك الى معرفة نفسه ودراسة  
تاريخه وما يتعلق به بل جميع ما يحيطه من الكائنات فيستفيد ويفيد غيره  
ليكون ذلك مطابقاً لمفهوم قوله صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في خلق  
الله ولا تفكروا في ذات الله »

ولما ان كان أفضل تلك المخلوقات هو الانسان فيهمنا كثيراً أن نعرف كيف  
كان أصله فتكون فصار بشراً سوياً . وما هو عقله الذي امتاز به عن كافة  
المخلوقات . وكيف كانت عيشته الاولى فتدرج منها الى ما وصل اليه الآن .  
وكيف نطق فتكلم فأوجد له لغة تفرعت منها اللغات العديدة المنتشرة في بقاع

الارض • وماهى أول لغة تكلم بها • وماهو عمره من عهد أن خلقه الله • وكيف تناسل آدم أبو البشر فانتشر نسله على سطح الكرة الارضية فطغى وتجر وفسد وتكبر وارتكب ما ترتكبه أسافل الحيوانات  
تلك المواضع التي فضلا عن لزومها للانسان فانها لما تستريح له جوارحنا وتتغذى منه حواسنا وتتسلى به قلوبنا وترقص لأجله أفئدتنا فنعيش بسيرتنا وسيرة آبائنا سكارى وما نحن بسكارى ولكن الموضوع في الحقيقة لذيد الطعم  
حلو المذاق

### ﴿ أصل الانسان ﴾

أما البحث عن أصل الانسان وكيفية وجوده حتى صار بشراً سوياً فهو من المسائل العويصة التي تعب فيها فطاحل العلماء خصوصاً علماء الاعصار الحديثة الذين اعتنوا بها اعتناء عظيم فذهبوا مذاهب شتى أشهرها مذهبان :  
أولهما هو الذي كان أكثر الباحثين فيه من علماء الطبيعة مثل ( أناسى • وديمولان • ومورتون ) الذين قالوا بأن جميع الناس ليسوا متناسلين في الاصل من نوع واحد بل من أنواع متنوعة • وأكبر برهان أقاموه على ذلك ما رأوه في عموم الناس من تنوع نسلهم وتباين تقاطيع وجوههم واختلاف تركيب بنيتهم وطباعهم وتغاير ألوانهم حيث منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر الى غير ذلك من الاختلافات العظيمة التي لا تتواجد الا من تعدد أنواع الانسان في الاصل كما يدعون

أما المذهب الثاني الذي ابتدأ فيه أولاً العلماء ( دوماييه الفرنساوى • وشلغر • ولينيه السويدي • ولا مارك ) فهم يقولون عكس ذلك على خط مستقيم حيث يؤكدون ان النوع البشرى على الاطلاق متناسل من نوع واحد مثبتين ان اختلاف الانسان في التناسل والتقاطيع والبنية والطباع والصفات والالوان

من أبيض لا سود لا صفر لا أحمر ليس برهاناً على أن الناس متناسلون في الأصل من أنواع متنوعة لأن كل تلك الاختلافات ناشئة في الغالب من اختلاف أحوال الأكل كوان المعبر عنها عندهم بالأحوال الجوية والوسائل المعيشية والعوائد المدنية التي يكون عليها الإنسان بحسب الزمان والمكان . لذلك كان أصحاب هذا القسم هم الكفة الراجحة فجنحت اليهم أرباب العقول السليمة فازدادوا جهاداً في بحثهم هذا بعد أن صرفوا في سبيله كل مرتخص وغال ثم وضعوا لنا أخيراً منهجاً جديراً بالتأمل دعوه منهج ( النشؤ والارتقاء ) حيث بحثه الكثير من أساطين العلم المجتهدين مثل ( هربرت سبنسر وداروين ) خصوصاً الأخير الذي كانت أبحاثه كلها مبنية على المشاهدة والاختبار كما أوضح ذلك في مؤلفاته الشهيرة التي أفرغ فيها من الآراء الفلسفية عن أصل الإنسان ما تستلذ لسامعه الآذان وتميل لتلاوته القلوب

وختلاصة تلك الآراء أن الإنسان أصله متناسل من أرقى الحيوانات التي خلقها الله حيث كانت حالتها الأصلية خلاف ما نراها اليوم في الإنسان من القوام المعتدل والشكل المناسب والفكر العالي بل كان أصله حيواناً شجرياً أي يتسلق الأشجار ويدب بأربعه ثم ترقى تدريجياً بحسب ما طرأ عليه من الطوارئ الجوية وبالاخص الطوارئ المعيشية حتى عندما بلغ أشده في العقل سعى في تمييز نفسه عما حوله من تلك الحيوانات فسمى نفسه إنساناً . ولو أردنا أن نتوسع في الكلام على هذا المذهب لضاق بنا المقام غير أننا نكتفي بالنظر لثلاثة أنواع من القروود تسمى ( الغورييل والشمبانزي والأورانج ) حيث نراها أقرب المخلوقات للإنسان خصوصاً الشمبانزي المذكور فانه يمشي منتصباً ويتسلق الأشجار كما تتسلقها نحن ويتفاهم بسرعة كما نحن تفاهم ويستعمل يديه وأصابعه مثل ما نستعملها . وعلى العموم فانه هو والإنسان متقاربان في مشابهة الخلقة والحركات والسكنات والأفعال والأعمال

ومن قروود الشمبازى هذه قرد موجود بحديقة حيوانات ( لندره )  
كانوا اصطادوه من أعلى نهر النيجر بأفريقيا الغربية وزنه ٥٦ رطلا وإذا  
رفع يديه بلغ طول قامته أربعة أقدام . وهو حديث السن لا يتجاوز الحادية  
عشر سنة من عمره ذو نباهة زائدة وبراعة فائقة في التقليد حتى وإنه لا يرى  
أحدأ يصنع أمامه شيئا إلا ويعمله من نفسه . فلما آتسوا منه ذلك البسوة  
نيابا وعاملوه معاملةهم فأصبح يأكل على المائدة بالشوكة والسكينة والملعقة  
ويشرب الكاس ويدخن التبغ ويشعل السيكارة بنفسه ويمسك القلم ويكتب  
بأنامله . ومن الغريب أنه ذو ولع شديد بركوب عجلة ليسيكل حتى وإنه يزيئها  
بيديه ويمشي بها أميالا خصوصا وإنه يميل لمداغمة الاولاد والسيدات حتى في



بعض الاحيان يطاردهم  
وييده قضيب ولكنه لا يصيب  
أحدأ بأذى كأنه يفرق بين  
الجد واللعب فضلا عن أنه  
يمشط شعره ويفرشه ويفسل  
وجهه ويديه ورجليه بللاء  
والصابون . كل ذلك قد  
حبب اليهم أن يخصصوا له  
رجالا يخدمه . بلاعبه  
ويقضى له كل ما فيه راحته  
على الدوام كما هو واضح في  
الشكل نمرة ٢

وعلاوة على ذلك فقد ورد بجريدة ( ثروت فنون التركية ) التي تطبع في الاستانة عدد ٤٨١ سنة ١٩٠٢ م ما يفيد ان أحد الصيادين اصطاد حيوانا من احدى جبال ( حملايا ) بأعلى الهند وأتى به الى أوروبا لعرضه على المتفرجين الذين كان من بينهم العلماء والفلاسفة فرأوا ان هذا الحيوان ذو أنف وعين وحاجب ورأس واستدارة وجه كما في نفس الانسان ولكنه يخالفه في غزارة الشعر وعدم النطق وهما أمران ليسا من الاهمية بمكان في جانب ما فيه من تلك الصفات التي تجعله أقرب للانسان منه الى القروود حتى وأن مجلة الهلال قالت عنه : « إذا لم يكن في هذا الحيوان علامات أخرى تثبت قرديته فما هو الا انسان غزير الشعر بليد العقل فاقد النطق لعلة عصبية أو عضوية » . كما هو واضح في الشكل نمرة ٣



( هلال )

شكل نمرة ٣

ومع كل هذا لنا ولذلك وبين أيدينا الآن سكان أواسط أفريقيا وبعض متوحشي المكسيك بأمر يكاد يثبتهم على أقبح صورة وأرذل شكل وأنه العيون حيث لو أخذنا أحدهم ووضعناه بجانب قرد من قروود الشمبانزي لما وجدنا هناك كبير فرق سوى

النطق وخفة الشعر واعتدال القامة مع انه الآن معتبر معنا انساناً حتى وان بعض التجار جاب لأوروبا جماعة من أولئك المتوحشين على سبيل الفرجة فكانوا هناك محل اندهاش الاوروبين عموماً حيث لا يفرقون عن القروء في شئ .  
وفضلاً عن هذه المشابهة الظاهرية فان القروء بأنواعها تشاركنا في التراكيب الباطنية حتى واننا اذا استحضرننا هيكل انسانياً وآخر قردياً وقارنا بينهما مقارنة تشريحية بالتدقيق لما وجدنا بينهما فرقاً ظاهراً سيما اذا كان الهيكل الانساني من أحط الطبقات البشرية كسكان اواسط أفريقيا وأمريكا . هذا علاوة على انها تشاركنا في الامراض التي تنتبنا كالزكام والصداع والتهاب الامعاء والحمى وكثرة العين وعلى العموم تشاركنا في كل شئ خصوصاً في ناموس التناسل ولو ان ذلك مشترك بيننا وبين بعض الحيوانات الاخرى ذوات الثدي الا انه في الشمبانزى أقرب مشابهة لنا من تلك الحيوانات . ثم وان العقاقير الطبية التي يتعاطاها تفعل فيه فعلها في الانسان

والاغرب من ذلك ان جريدة الجورنال الاميركانية روت خبراً أكثر غرابة مما ذكرناه مقتضاه ان أحد الاميركانيين اقتنى قرداً من جنس الشمبانزى وتصادف انه كان ذا نباهة فائقة فهمه ( امبراطور ) حتى ان صاحبه اعتنى به اعتناء زائداً وأخذ في تربيته وتعليمه الى ان صار يلبس الملابس ويقلعها كالاولاد ويشرب ويأكل بالشوكة والسكينة وينام ثم يقوم بمشط شعره بالمشط والفرشاة أمام المرأة ويفهم اللغة الانكليزية بسرعة الا انه لا يتكلم بها وعلى العموم فانه يقوم ويقعد ويغدو ويروح ويأتمر بالوامر كأنه طفل من الاطفال

وأحسن ساعات هذا الامبراطور ما كان يقضيها مع إحدى بنات صاحبه الذي كان قد اقتناه لها كعبية ناعب بها حتى وانه من كثرة معاشرته لها كان يحبها حباً شديداً ويحن اليها حنان الوالدين بحيث لو رآها ساكتة لاعبها وداعبها

وإذا رآها تبكي اقترب منها ومسح دموعها بيديه أو تناول منديله الصغير من جيبه ومسح به عينيها • ذلك الذي تعلمه الامبراطور المذكور في بضعة شهور وهو حديث السن لا يتجاوز الثالثة من عمره فكيف به اذا بلغ وشده وعاشر الانسان

هذا والمناسبة ذلك أذكر أنني كنت موجوداً سنة ١٩٠٢ م في (الايض) عاصمة مديرية كردفان بالسودان تصادف ان أحد سلاطين الجبال التابعة لتلك المديرية حضر مدعواً من قبل حكومة السودان مع غفير من رعاياه الذين فضلا عن كونهم عراة حفاة فان تركيب وجوههم لا يختلف في شئ عن تركيب وجه الشمبانزى المذكور سوى أن لون هذا بين الأصفر والأحمر أما لون ذلكم فمائل للسواد حتى واننى لما رأيتهم وتمنعت اردأهم خلة رابى أمره حيث خلته قرداً سودانياً في شكل انسان • ذلك الذى شوقنى لان أتقرب من احدهم كي أتحدث معه حديثاً ربما يخفف ما أنا فيه من الذهول والدهشة والاستغراب أخذت أسعى وأجتهد الى ان وقعت الصدفة على نفس سلطانهم الذى جالسته ويابئسها مجالسة قد زادتني استغراباً على استغرابى حيث تحققت من انه قاضى الوطاب فارغ الجراب بل هو حيوان فى زى انسان • فتذكرت لوقتها ذلك القرد وأعنى به الشمبانزى الذى لو تهيات له الاحوال التى نشأ فيها ذلك السلطان ورعاياه ومن شا كلهم من تلك الامم المتوحشة فلا بدواً بتوالى الدهور يتحول من حالته الى الحالة التى رأيت أولئك عاينها فى ذلك اليوم

ولقد كان أمير (موناكو بفرنسا) ذا شغف زائد بالبحث والتنقيب عن الآثار المدفونة بباطن الارض والمخارات والكهوف فوجد هناك جثتين متحاذيتين مدفونتين على عمق عشرين قدماً تبين من البحث أنهما لأم عجوز وابنها • وقد زعم بعض علماء الآثار ان تركيب الجسم فيهما أحط منزلة من جسم الانسان

وفيه مشابهة لأجسام القروء

وهكذا لو تتبعنا المقال في مثل ذلك لانتهى بنا الأمر لمذهب أولئك الفلاسفة وهو مذهب (النشؤ والارتقاء) القاضى بأن الانسان أصله متسلسل من حيوان آخر أحط منه جسماً وعقلاً فتدرج الى ما تدرج اليه الآن بحكم الطبيعة والتقلبات المعيشية • ذلك الذى شاع وذاع بين طبقات كثيرة من الامم القديمة والحديثة وبالاخص بين الامريكانيين الذين تقدموا تقدماً عظيماً فى المدنية الحديثة حتى صار يضرب بهم المثل فى حرية الفكر واستقلال الضمير والمساواة بين الصغير والكبير والغنى والفقير الى ان بلغ الامر من بعضهم انهم حنوا الى القروء حنانهم الى ذوى قرباهم اعتماداً على ما جاش بفكرهم مما سمعوه بأذهنهم ورأوه بنظرهم وأختبروه بأنفسهم • ولم يصل الامر بهم لهذا الحد بل تعدوه لاعتبار القروء أبناء اعمامهم فأصبحوا يحزنون لحزنهم ويفرحون لفرحهم غير مباينين بانتقاد المنتقدين واستهزاء المستهزئين • ذلك انه كان يوجد قرد بأحد فنادق مدينة (جبل الكرمل - بولاية أليوى بأمریکا) ونظراً لما كان عليه من النباهة الزائدة فأهالى تلك المدينة سموه (البرنس بسمارك) ولما بلغ أشده ارادوا ان يختاروا له عروساً تشاركه السراء والضراء مدة حياته طبقاً لسنة الله ورسله أجمعين فوقعت الصدفة على قرودة من شكله كانوا سموها (النشؤ والارتقاء) فأخذ القوم فى تجهيز الجهاز وإعداد المعدات ثم وزعوا رقاع الدعوة فاجتمعوا واحتفلوا بالعروس التى كانت وقتها لابسة من الحرير ثوباً ضافى الذبول ثم جاؤا بها فى بهو مخصوص فى قطر من قطورات السكة الحديدية واصلوها فى موكب عظيم الى ذلك الفندق حيث كان العريس فى انتظارها لابساً حلة من الثياب الفاخرة مفصلة له حتى انه عندما دخلت اليه عروسه قام قاضى المدينة بعقد الزواج بينهما ثم تأبط عمدة البلدة ذراع العروس وسار بها حتى اوقفها بجانب

عريسها وسلمها اليه حسب عادتهم الجارية • وفي الصباح التالي صنعوا للعروسين طعاماً فاخراً أكلوا منه مريثاً وشرباً هنيئاً حتى صارت المائدة بمشتملاتها أنظف من البلاط ••

تلك رواية واقعة قد تناقلها جرائد كثيرة من ضمنها جريدة المقطم التي ذكرت بعددها ٥١١٦ رقم ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م جملة اختتامية لما أوضحته عن هذا المهرجان فقالت : « وأعلنوا في الجرائد أن العروسين يستقبلان الزائرين من ١٥ يناير سنة ٩٠٦ م فصاعداً »

هذا ما ذكرناه فان لم يكن فيه ما يشير لشيء مما أوضحناه عن مذهب المنشؤ والارتقاء فانه لا يخلو من التفككة والتسلية خصوصاً في مثل هذا الموضوع على أن داروين المذكور لم يقطع باقواله وآرائه مدعياً السداد في البحث والعصمة في القول بل أظهر أنها تخمينية تحتاج للتمحيص والتدقيق كي يتبين غتها من سميتها بتوالي الايام الا انه لو كان وصله خبر ذلك القرد الموجود بمحديقة حيوانات لندسدره وذلك الحيوان الذي اصطادوه من جبال حماليا خصوصاً الامبراطور الموجود عند ذلك الامير كافي ورآها بعيني رأسه واختبرها بنفسه وتحقق من أشكالها وأفعالها فربما كان يستحب نسبة أفكاره هذه للتخمين ويستعيبها بالتحقيق • وعلى العموم فان الانسان كلما استجلى تاريخ حياته ووقف على سامر عليه من الادوار والاطوار • وما أودع في الارض من الآثار • وما اكتشف فيها من القوى والاسرار • وما اهتدى اليه بالفطرة من مكنونات العلم وكنوز الحكمة • وما أقامه من الحجب الباذخ • ومنار الملا الشامخ • لداخله الكبرياء • وشمخ بأنفه نحو السماء • مستعظماً أن يكون أصله متسلسلاً من حيوان أحط منه في الدرجة شكلاً وعقلاً وتربية حيث يرى هناك بوناً شاسعاً بل بينه وبين تلك النسبة هاوية ليس لها قرار • الا أن تلك الكبرياء وذلك الشموخ

وذلك الاستعظام لا ثابت جميعها الا ان تذهب أدراج الرياح عند ما يقام الانسان عن مقارنة القرد بالانسان الأرقى بل يجعل تلك المقارنة بالانسان الأدنى أعنى به الانسان المتوحش العائش في الفلوات معيشة الهاجرات من الحيوانات • هنالك يرى أن القرد أسمى منه عقلاً وأبعد منه نظراً في الاحوال المعيشية ويتحقق من أن المدنية التي اكتسبها الانسان ليست موجودة وجوداً طبيعياً بل هي صفة مكتسبة مثل كافة الصفات الموجودة بالانسان الذي اكتسبها بالمسقل والعلم والاختبار بمرور الأيام والسنين وتوالى الاجيال والقرون

وقد كان لفيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغانى جملة مقالات في هذا الموضوع نشرت بعضها بمجلة المنار في سنتها التاسعة حيث يؤخذ منها ان الانسان لم يخرج عن كونه نوعاً من أنواع الحيوانات الارضية وانه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على شاكلتها وعلى مقربة منها ينشأ نشأتها ويسير في عيشته عيشتها بأن يتفياً ظلال الاشجار • ويستكن في الحجرة والاوكر • بدون شعاع أو دنار • ذلك لانه كان في بدء نشأته ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً ثم تدرج في الكليات حسبما استلزمته حاجياته وضرورياته الداخلية والخارجية • تلك التي سار فيها سيراً تارة كان بطيئاً وأخرى كان سريعاً كما اقتضته السنن الطبيعية من بقاء الانسب بحسب الزمان والمكان • ذلك الذي يرجع بنا لمذهب النشوء والارتقاء الذي بحثه كثير من العلماء في كل عصر من الاعصار فوافقوا عليه وأثبتوا ان هذا المذهب لا ينافي الدين في شيء ولا يناقض هبوط الوحى على الانسان بعد أن صار إنساناً عاقلاً متميزاً عن كافة المخلوقات • ومن نظر لمضمون قوله تعالى القاضى بأن الله خلق الانسان من صلصال من حمأ مسنون ثم نفخ فيه من روحه يتخيل له انه سبحانه وتعالى ذو فم مثلنا ينفخ به وذو روح كروحنا قابلة للتغيير والتنقل من حال الى حال مع ان الله بعيد عن ذلك الذي ما استعمله وما استعمل ما عايناه في كتبه المنزلة الامن قبيل المجاز والمعجاز خلاف الحقيقة والحقيقة

بنت البحث والبحث يوصل لما ذكرناه الا أن ما تقولته قدماء المصريين  
والكلدانيين (العراقيين) والصينيين والهنود وكافة الأمم القديمة في هذا الموضوع  
من الآراء والأفكار التاريخية والخرافية - والدينية على ما يقولون - قد أوجدت  
تأثيراً عمومياً فجعلت العقول غير مستعدة لقبول ذلك المذهب فأجمع أغلب  
العلماء أخيراً على قفل هذا الباب مكتفين الآن بما أنبأهم به الأديان السماوية .  
قال المؤرخ الفرنساوي الشهير فرنسيس لونورمان : « لانعرف في شأن أصل  
النوع البشري كيف كان غير ما أفادنا به الكتاب المقدس » . نظراً لكونه أقدم  
تاريخ مستوفى ظهر على سطح الأرض

ونحن نضم صوتنا لصوته ونجاهر بما نعتقد على وجه العموم من أننا  
لانعرف شيئاً عن أصل الإنسان سوى أنه متسلسل من أب واحد لا يعلم حقيقة  
غير الله حيث ذلك هو الأقرب للعقل لان الدين يقول به والتاريخ يساعد والعلم  
يؤيده والعقل يرنح اليه والاكتشافات الحديثة لاتناقضه

### عقل الإنسان

لما أن خلق الله الإنسان أراد أن يميزه عن غيره من كافة المخلوقات فأعطاه  
قوة مدركة وجودنا ووجود ما حولنا وتحكم على أعمالنا وأعمال غيرنا  
من شر وخير وتميز من الأمور فأسدها وصححها وتستخرج الكليات من  
الجزئيات وترد عنا عما يكون فيه شر لأنفسنا . وعلى العموم فتلك القوة هي  
السلطان المدير لحركة الإنسان التي أطاقنا عليها كثيراً من الاسماء : كالعقل  
واللب والحيجا والحجر والنهي والوجدان والضمير والمنطق والارادة وغير ذلك  
من الاسماء التي أشهرها الاسم الاول وهو العقل

والعقل يولد مع الجسم ويلزمه حتى يموت الإنسان وكذلك يتنقل  
بالتناسل من الآباء للأبناء . ويزعم بعض العلماء أنه جوهر لطيف يفصل بين

حقائق المعلومات ويفرق بين الامور المشتهات ولكننا لا نعترف بذلك لهاعى أن  
 الجوهر هو الذى يقوم بنفسه كالجسم مثلاً ولو كان أقل الاجسام مع ان العقل  
 فى الحقيقة لا يكون جسماً على الاطلاق بل هو عرض تحمله نفس الانسان فتقوم  
 بتلك الوظائف التى أوردناها أولاً وهى المحصورة فى إدراك وجودنا والحكم  
 على أعمالنا وتمييز فاسدنا من صحيحنا واستخراج كليتنا من جزئياتنا وردعنا عن  
 شرونا فى أفعالنا وأعمالنا . وقال فريق : ان العقل هو معرفة موجودة فى  
 الانسان تنقص وتزيد بحسب ما يكتسبه من العلوم النظرية والعقلية وتذهب  
 وتعود بحسب ما يطرأ عليها من الطوارئ الجوية . وهكذا من تلك الاقاويل  
 التى توسعت فيها الافكار فى كل زمان ومكان الا أن أقربها للحقيقة ما أجمع عليه  
 أخيراً بعض فطاحل العلماء الذين عبروا عن العقل بأنه نور فى الانسان غير  
 محسوس ولا منظور كنور البصر فى العين . وذلك النور ينقص ويزيد ويذهب  
 ويعود والجسم على حالته الاولى كما أن نور البصر يفقد من العين دون أن يتغير  
 فى شكلها شئ يكون أو كما شبهه بعضهم من أنه فى الجسم كالنور فى البيت فاذا بقى  
 النور فيه استضاء فاستنارت جوانبه وإن طفى النور بقى البيت مظلماً لا ينتفع به  
 تماماً كما يكون جسم الانسان عديم النفع بدون العقل . وعلى العموم فإن العلماء  
 الماديين برون هذا الرأى بعينه حيث يقولون ان العقل عبارة عن قوة غير  
 عاقلة كالنور أو الحرارة أو الكهرباء أو مائى ذلك من القوى الطبيعية ثم  
 صارت عاقلة عند تكون الانسان . ذلك الذى فى اعتقادنا لانراه مخالفاً قطعياً  
 لما ارتأه اللاهوتيون من ان العقل هبة من الله وهبها للانسان عند ما خلقه  
 تمييزاً له عن كافة المخلوقات . ولو أن فلاسفتهم قد أطلقوا عنان تصوراتهم فى  
 هذا الموضوع الى درجة أوجدت فى الازهان تخليطاً عاماً قضى باحتياج الحقيقة  
 التى يقصدونها الا انهم معذورون فى ذلك نظراً لكون كافة أبحاثهم التى ملأوا

بها المجلدات بل المدن والامصار هي مبنية على الالفاظ والتصورات الوهمية وليس فيها شئ من المعاني والحقائق الطبيعية حتى ان الانسان ربما يقرأ مجلداً ضخماً في العقل أو في مايمثله فيخرج منه كما دخل فيه دون أن تظهر له نتيجة مفيدة أو شئ جديد

مركز العقل - وكما اختلف العلماء البعثون في كنه العقل وماهيته كذلك خبطوا خبط عشواء في تعيين مركزه ففريق يقول انه في الدماغ وفريق يقول انه في القلب حتى التبس الامر علينا جميعاً فاعتقد كل منا بما يهديه اليه شعوره واحتساسه

أما أصحاب الفريق الاول فاعتمدواهم على دعواهم هو أن الدماغ مشرف على الجسم حيث فيه تجتمع الاعصاب وتستقر الحواس فضلاً عن انه متى حدث حادث في الدماغ أصبح غير صالح لوجود العقل فيه فاما أن يزول من الدماغ دفعة واحدة أو يتناقص منه تدريجاً بنسبة ما عليه ذلك الحادث من التأثير حتى من كثرة البحوثهم قالوا ان العقل محصور في الجهة الخلفية من الدماغ بمعنى انه مستقر وراء الجمجمة . ثم ذهب بعضهم الى أن الدماغ ينقسم الى قسمين أحدهما جهة اليمين والآخر جهة اليسار فالقسم اليمين يتسلط على الشطر الايسر من الجسم والقسم الايسر على اليمين . ثم قالوا ان معظم العقل كائن في القسم الايسر لانهم رأوا بان تجارب ان القسم اليمين حينما يصاب بعمهات كثيرة لا يحصل للعقل أدنى تأثير بخلاف ما لو أصيب القسم الايسر من الدماغ

أما أصحاب الفريق الثاني فبحثوا ذلك بحثاً دقيقاً حتى قالوا أخيراً ان الدماغ لو كان مستقراً للعقل لكان يتأثر كله بتأثيره ويتغير بزواله ولكن من المشاهد المحسوس ان من يفقد عقله بسبب مصاب عظيم أو خطب جسيم كضياح المال وفقد الحبيب والافراط في الحب والتغير الفجائي في المعيشة أو بسبب رؤية

منظر فظيع كالصلب والاعدام بالسيف أو الرصاص والتمثيل بقطع الاوصال  
وتغل الاعين وخلع الاسن فان العقل يذهب دون أن يحصل للدماغ تأثير أو  
تغيير . ذلك ما لجأهم لعدم الموافقة على رأى الفريق الاول وقضى عليهم بموالاته  
البحث والاستقصاء حتى أقروا أخيراً على ان القلب هو مستودع الدم والمتصرف  
على الجسم فيعطيه دماً نقياً فيه الحياة ويأخذ منه دماً فاسداً فيه الموت الدوام  
بل هو سلطان الجسم لانه حينما يضرب ضرباته تجاوبه العروق بنبضها والاورام  
بتفتحها والآلام بطرقها . وما ذلك الا لتابعها كلها للقلب الذي بهذه الصفة يليق  
لأن يكون مسكناً للعقل على الدوام ذلك الذي حسن فيه التأويل ووافق عليه  
اللاهوتيون والسنيون قال تعالى : « ألم يسروا في الاوض فتكون لهم قلوب  
يعقلون بها » . ثم قال : « ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب  
لا يفقهون بها » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى ان  
اللبس يتعجب الى بالتوافق حتى أحبه فاذا أحبته كنت رجله التي يمشى بها  
ويده التي يبطش بها ولسانه الذي يتكلم به وقلبه الذي يعقل به . . الخ » . وغير  
ذلك من الآيات الينيات والاحاديث الشريفة التي تعزز ما ارتأه الفريق الثاني  
من ان القلب هو بيت العقل ليس إلا

على ان العقل قسمان قسم طبيعي وقسم اكتسابي : فالاول هو العقل  
الصحيح الذي عبرنا عنه بنور غير محسوس ولا منظور وهو لا يكون كاملاً الا  
بالقسم الثاني وهو الاكتسابي الذي يحصل عليه الانسان من كثرة الاختلاط  
والتجارب والاعمال ومرور الايام واللبالي بسرّاتها وضرّاتها . وعلى العموم  
فانه يتولد من التوسع والتفنن في الاحوال المعيشية . قال بعض الحكماء :  
« أصل الامور العقل وفرعها التجارب » أو كما قال علي بن أبي طالب رضي  
الله تعالى عنه :

رأيت العقل عقليين \* فطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع \* اذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس \* وضوء العين ممنوع

عقل الحيوان - ولما كان الشيء بالشيء يذكر فيمكننا انما اوضحناه ان نستنتج استنتاجاً عقلياً يؤيد مذهب اليه بعض العلماء من أن كافة المخلوقات سواء كانت طيراً أو حيواناً لا بد وأن يكون لها عقل طبيعي مناسب لها فلو لم يكن لذلك صحة لما وجدناها على شيء من العقل الا كتسابي الذي هو السبب في قيامها بمعيشتها خير قيام

علي ان هذه المسألة فضلاً عن كونها خلافية للغاية فان العلماء لا يزالون يبحثون فيها بحثاً دقيقاً معتمدين على اختبار الطيور والحيوانات وموالاة أحوالها المعيشية . فبعضهم ذهب الى أن أفعالها كلها صادرة منها عن سايقة أو غريزة فيها لا عن عقل من نوع عقل الانسان . وبعضهم ذهب لعكس ذلك حيث يقولون ان لها عقلاً مثل مالنا من العقل المناسب خصوصاً اصحاب مذهب النشوء والارتقاء الذين يشبتون قطعياً ان لتلك الحيوانات قوة عاقلة من نوع عقل الانسان ولكنها أقل منه في الدرجة . وفي الحقيقة اننا لو نظرنا لأعمال الطيور والحيوانات بكافة أنواعها لانصعنا لأقوال هذا الفريق فربق النشوء والارتقاء . قالت جريدة ( الساندرد ) بأحد أعدادها الصادر في سنة ١٩٠٠ م : « ان لبعض أنواع الحيوانات مواقف معينة تتناول فيها طعامها فإذا جاء ميقات الطعام لا تتقدم عنه لحظة ولا تتأخر . وان العقرب اذا تحققت وقوعها في خطر الموت قتلت نفسها . وان خيول جند الفرسان لا تخطئ في تمييز الملابس الخاصة بفرقتها . وان الافعال اذا حى وطيس الحرب لا تخطئ في التمييز بين اصحابها وجند العدو . وطيور الزاغ والنسر والباز تفرق بين من كان مسلحاً وبينه وبينه أو غير مسلح .

ومن أنواع القروء ما يستخدم في ما لا يستطيعه غير الانسان : فهي بارعة في الخدمة على الموائد ( سفر جيه ) وإشعال النار وفي المطبخ والكنس ومساعدة الفران بالناء الوقود في الافران وفي تنظيف الاحذية بالفرشة • وهي تحمل الاحمال الخفيفة كالشياطين وتحفر المنازل فلا تؤذن لغريب بالدخول اليها • وتحمل الرسائل فتعمل عمل السماعة وقد تعمل عمل المربيات في تدبير الاحداث • واذا ذهب القرد الى فراشه أصبح وسادته وتغطي باللعاف »

هذا الذي ذكرته تلك الجريدة وهو في الحقيقة مشاهد أمامنا على الدوام فضلاً عما نراه من البيئات التي تتكلم كما نتكلم والكاب الذي يخدم الخدمة المنزلية فأئمنه الانسان فمما الخادم الامين حتى في قضاء الماء كولات سواء كانت من الاحوم أو ماشاهها • ذلك ما قضى على كثير من العلماء بالاستغفال في درس هذا الموضوع زمناً طويلاً الى أن وجدوا أخيراً أن أرقى الحيوانات هي الفرس والقرد والكب والهر والفيل • تلك التي تمتاز عن أصناف جميع الحيوانات بالانعطاف الى الاحياء التي هي أرقى منها كما ننعطف نحن الى المعبودات العليا التي هي أرقى منا • وقد ذكرت جرائد برلين رواية دوى صوتها في الخافقين ليس لأنها حدث جديد بل لأنها أعظم برهان يؤيد مذهب النشوء والارتقاء من جهة عقل الحيوانات التي تأتي أعمالها عن تعقل لا عن سنيقة أو غريزة كما ذهب اليه بعض العلماء • ومقتضى تلك الرواية انه يوجد رجل الماني يسمى ( هرفون اوسن ) مقيم في شمال برلين تفرغ لدراسة طبائع الحيوانات منذ أربعة عشر سنة حتى لاحظ على أحد أفراسه نباهة زائفة فأخذ في العناية به وتعليمه وتشقيقه على أحدث طرق التعليم اندسى بأوروبا حتى وأنه يجيب على كل مسألة تطرح عليه جواباً لا سبيل الى الشك في انه صادر عن رويه وتفكير • وهو يقرأ الخط ويعرف قيمة النقود والاعداد أو نحوهما • واذا نظر الساعة عرف الوقت تماماً • واذا أريته صورة أحد الاشخاص الذين يعرفهم عرفه حالاً

ولكن لا يظهر معرفته بالنطق بل بجواب على ما يطرح عليه من الاسئلة بتحريك  
 الرأس فان أراد ( نعم ) حتى رأسه أو أراد ( لا ) هزه . أما الاسئلة الحسابية  
 فانه يجيب عليها بالنقر على الارض بحافره الايمن واذا أراد تأكيد جواب عما  
 ينوب عنه رفع الصوت عند الاممين رفس الارض بحافره الايسر رفساً شديداً .  
 والى غير ذلك من التعاليم التي أهلتها لمساواة تلاميذ المدرسة الابتدائية ممن بلغ  
 سنهم الثالثة عشر من عمرهم ولذلك سماه صاحبه باسم ( حنا النبيه ) . قالت  
 مجلة الهلال وقتها : وساع أمر هذا الفرس في برلين وتألفت لجنة من علماء  
 الحيوان لمشاهدته وامتحانه على مرآى من المتفرجين الكثيرين رجالاً ونساء  
 فتحقق عندهم انه يفعل ذلك عن نباهة وتفكير لا عن سلبية أو عادة . ومن ضمن  
 اسئلة اللجنة المذكورة أنهم سألوه على سيدل المزاج عن عدد الحضور وعن  
 عدد الذين يتقنون النظارات منهم وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء  
 فأجاب أجوبة سديدة حتي اندهش الحضور اندهاشاً أدهم لسوء الظن بصاحبه  
 والمتنحن فأخرجوهما من مكان اللجنة وامتنحوه فلم يتأخر عن أى إجابة كانت .  
 ومن النكت اللطيفة ان احد الحضور تقدم اليه وأفهمه بانه اذا نظف معلفه  
 بخرقة كافاه على ذلك بزيادة علفه فتلفت حنا المذكور يمينا وشمالا حتى وقع  
 نظره على خرقة بين يدي أحد الحضور فالتقطها بفمه وأسرع الى اسطبله  
 وأخذ ينظف معلفه بتلك الخرقة حتى نظفه تماماً ثم بعد ذلك أعاد الخرقة الى  
 صاحبها الاصلى فاندش الحضور اندهاشاً عظيماً واشتهر امره حتى تسابقت  
 الاغنياء لمشتراء بالمبالغ الطائلة الى ان وصل ثمنه ٧٥٠٧ جنيتهاً ولكن صاحبه  
 أبى بيعه مهما بلغ ثمنه قولاً منه انه لا يطيق فراقه . قال المراسل لجريدة  
 ( وورلد وورك الانكليزية ) : « وقد يظهر ذلك غريباً ولكننى رأيت به بعينى  
 يفعل ذلك . ورأيت فيه نباهة غريبة لتمييز الالوان فوضعوا أمامه أحد عشر  
 لوناً متحاذية وأخذ استاذ به يسأله عن كل لون منها وهو يدل عليها بحافره . »

وله مهارة غريبة في آداء الالحان الصغيرة حتى قد يميز بين النغمة وأجزائها «  
تلك هي الرواية التي وصلت عنان السماء فأوجدت تغييراً كبيراً في أفكار  
عموم العلماء من جهة عقل الحيوانات فانصاعوا للاعتقاد بوجود عقل فيها مناسب  
لها من نوع عقل الانسان المناسب اليه . وغاية ما نلاحظه ان عقل الحيوانات  
محصور بمحصر لا يقوى معه على السعة واطهار المدارك مادامت الحيوانات مقيدة  
باحوالها المعيشية الحالية

### المعيشة الاولى للانسان

أما معرفة ما كان عليه الانسان من المعيشة الاولى فرغمًا عما ذكرناه عن  
أصله وكيفية وجوده فان بعض العلماء قرروا عدم امكان معرفة عيشته الاولى  
لانه كان متوحشاً جاهلاً لا يعرف قراءة ولا كتابة ولا شيئاً من مستلزمات  
حفظ تاريخ حياته كما فعل نحن الآن حتى قال ( بلكراف ) أحد أولئك العلماء :  
« ان أخبار الاوائل سواء كان خرافة أو حقيقة أو تاريخاً أو آداباً في أوروبا  
وآسيا وأفريقيا وأمريكا في طيبة أو بليهة أو غيرها فانها قد صاعت وانمحت  
آثارها الى الأبد »

غير ان كثيراً من أولئك العلماء لم يرجعوا القهقري بل واصلوا اليهم بنهارهم  
سعيًا وراء الحصول على ما يباطن الارض من متروكات تلك الامم الغابرة فاستكشفوا  
الصور والتماثيل والادوات التي كانوا يستخدمونها ثم عانوا المشقات في فك طلاسمها  
واستنطاقها واستفتوها عن أمر أولئك الاولين فأفتتهم بشيء لا يشفي غليلاً ولا  
يغني قتيلاً الا انهم قرأوا من حالتها ومما على بعضها من الرموز والارصاد  
والكتابة أنهم كانوا في بدء خلقهم على أقبح حالات التوحش وأرذل صنوف  
الهمجية لا يعرفون صناعة بالكلية ولا زراعة الارض ولا رعاية المواشي ولا بناء  
المساكن بل كانوا يهيمون على وجوههم في الغابات ويقتاتون مما في الارض من

الخبرات ومما تيسر لهم من الصيد والقتص • وعلى العموم فانهم ما كانوا يعرفون شيئاً في ترتيب أحوالهم الداخلية والخارجية سوى انهم كانوا يسكنون الكهوف الجبلية انحاءاً لحر الهجير وتحفظاً من قارص الزمهرير الذي كانوا يكافحونه باستعمال جلود الحيوانات التي يفترسونها • وكانوا يعاملون بعضهم بعضاً معاملة لا أساس لها فيما بينهم ولا هي قانون اوحى اليهم أو وضعوه من بناب افكارهم بل كان مثلهم في ذلك كمثل ما بين ايدينا الآن من الحيوانات والحشرات والطيور تلك الحالة قد لبثوا عليها من بدايتهم حتى بتوا الى الازمان وكثرة الاحتكاكات وقابلية العقل الارتقاء اخذوا يتدرجون بحكم الطبيعة فانتقلوا مما هم فيه الى أحسن منه نوعاً حيث استعملوا حراهم ونصالهم وسكاكينهم وادواتهم المنزلية من الصخور والاحجار حتى مضى عليهم وقت كانوا فيه يقطعون اشجارهم بمنشير من حجر • ويصطادون فريستهم بسهام من حجر • ويهيئون ما كلهم بسكاكين من حجر • ويحاربون اعداءهم بحراب من حجر • وعلى العموم كانت ادواتهم المنزلية كلها من الاحجار الخام ثم تدرجوا بعدها في الاعتناء بصنعها وصقلها بنسب مختلفة حيث كانت تتفاوت ثقلاً وخفة وشكلاً واتقاناً في الصقل واللمعان بحسب ما أوتوه من العناية في ذلك الوقت • ثم بعد ذلك اخذوا بحكم الطبيعة يزادون خبرة وعلماً بمعيشتهم فانتقلوا من العصر الحجري للعصر البرنزي ومنه للعصر الحديدي الذي كانوا فيه على شئ من المدنية والصنائع فاستخدموا الحيوان وزرعوا الارض ورعوا الماشية وهكذا كانوا ينتقلون من دور لدور بل لادوار عديدة سماها العلماء ( ادوار الانسان قبل التاريخ ) لانهم استنتجوها من الآثار القديمة والاطلال البالية والتماثيل العتيقة التي اندثرت بباطن الارض ولم نعلم ان كان الاوائل قد دثروها عفواً أم قصداً لنستكشفها نحن من بعدهم فنكون على بصيرة من أمرهم ونقف

على تاريخ آباءنا وما كانوا عليه من المعيشة الاولى في الحياة الدنيا

### لغة الانسان

لما ان تكونت الاكوان وخلقت الطيور والحوانات ألهمها الله ما يناسبها من العقل فصارت تتفاهم تفاهماً مناسباً لذلك الالهام الذي وصل عند بعضها لحد محدود كاطوام والطيور وبعض الحيوانات التي ربما كانت في الاصل مستعمدة لذلك أو كان بها نفس في تركيبها أو هناك أسباب أخرى لا يعاينها الا الله أما البعض الآخر فعند ما خلقه الله قضت عليه أحوال معيشته بان ينتقل من سكون الحركة ومن حركة لاشارة ومن إشارة لعلامة ومن مجموع ذلك لصوت ومن صوت لنطق حيث من كل ذلك نتجت اللغة الاولى للانسان التي كانت طفلاً رضيعاً نمي وترعرع وبلغ أشده بحكم الطبيعة والتقلبات المعيشية ثم لما ان تناسل الانسان وكثر نسله واتسع نطاق بنييه واختلعت طرق معيشتهم بتباعدهم عن بعضهم تفرعت تلك اللغة الى لغات كثيرة حصرها بعضهم فباغت الآن ٣٧٥٠ لغة في الكون . ولكن اللاهوتيين يقولون ان ذرية نوح لما ان كثروا وازدحموا خاف القوم وقتها على أنفسهم من طوفان يأتهم فينفر قهرهم أجمعين كما أغرق آباؤهم الاولين فتمردوا على الله وظنوا انهم قادرون على عصمة أنفسهم من أي طوفان يأتهم فشادوا لهم حصناً عالياً في ( بابل ) ليكونوا به في مأمن على أنفسهم من الطوفان فعاقبهم الله على ذلك ببليلة ألسنتهم حيث صاروا لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً ثم تفرقوا وقتها في أنحاء الارض وأخذ كل فريق يتكلم بلغة غير لغة الآخر فنتج عن ذلك كثرة اللغات البشرية التي في الغالب قد مرت على ثلاثة أحوال دورية كما قال بذلك علماء اشتقاق اللغات واليك البيان :

الدور الاول - وهو حالة اللغة المقطعية - بمعنى ان اللغات البشرية كانت مركبة في الاصل من كلمات ساذجة بسيطة غير متحمة ببعضها ولا متصرفة ولا متغيرة الآخر بل كان الانسان ينطق بها دفعة واحدة . وكانت تلك الكلمات اسماء

وأفعلاً في آن واحد بحيث تدل على معناها بقطع النظر عن كيفية استعمالها والذي يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية إنما هو كيفية اتحادها مع غيرها من الكلمات المستعملة في الجملة الكلامية . وهذه هي حالة أغلب لغات المرتبة الأهلية الصغرى المعبر عنها باللغات النوراتية ( أى التتارية ولغات أهل الصين والهند الصينى على العموم ولغات المتوحشين من زنج أفريقا وأمريكا ولغات البرابره واللغات التركية الأصلية قبل أن تترقى بما اكتسبته من اللغة العربية واللغة الفارسية )

الدور الثانى - وهو الحالة الاتحامية - أعنى اللغات التى ينضم فيها الى اصل بنية الكلمات الأصلية حروف زوائد للدلالة على اختلاف الاحوال المرادة منها وهى وان كانت متصرفة متغيرة الاواخر أيضاً كاللغات المتصرفة التالية فى الدور الثالث الآتى بعد ولكنها لم تبلغ من حسن الانتظام ما بلغه ذلك الدور من درجة الكمال

الدور الثالث - وهو الحالة التصريفية - أعنى اللغات ذوات التصريف التى تتغير أواخر كلماتها وتتصرف أفعالها بما تستلزمه انواع الدلالات المتنوعة حسبما يقتضيه اختلاف انواع الاستعمالات المتفرعة من العدد التى أعنى بها الافراد والثنائية والجمع . ومن الجنس ( أى التذكير والتأنيث ) . ومن الزمن ( أى الماضى والحال والمستقبل ) . ومما يتفرع عنه من أحوال الغيبة والشك والخطاب وغير ذلك من الاحوال التى يستلزمها المقال . وهذه هى حالة لغات بنى سام ويافث المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الاوروبية الهندية أو اللغات الآرية ( وهى لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المسميين بالآريين )

ولما ان كان الدور الثالث أعنى اللغات التصريفية هى أكمل اللغات الاخرى فقد توصل علماء اشتقاق اللغات الى تقسيم لغات الدور المذكور لقسمين عظيمين .

أحدها اللغات السامية والثاني اللغات الآرية ومن هذين القسمين اللغويين تفرعت لغات جميع الأمم المتمدنة الشهيرة

أما القسم الأول وهو اللغات السامية فيشتمل على ثمانية لغات كالاتي :

١ - اللغة العبرانية وهي التي كان يتكلم بها بنو إسرائيل والفينيقيون بالتحقيق وسائر قبائل الكنعانيين بطريق الظن والتخمين

٢ - اللغة الآرامية وهي التي كان يتكلم بها في سالف الزمان سكان بلاد

سوريا ( بلاد الشام ) ثم تفرع منها خمسة فروع : أولها ما يعرف باللغة

الآرامية التوراتية وهي التي تألف بها بعض أسفار التوراة في القرن السادس

قبل ميلاد المسيح عليه السلام • ثانيها اللغة الآرامية الترجمية وهي التي كتب

بها ترجمة التوراة أي تفاسيرها التي تحررت في أوائل التاريخ المسيحي • ثالثها

اللغة السورية الكلدانية وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها اليهود ببلاد

فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية في وقت ظهور عيسى وكتبوا بها أيضاً تأليفات

أحبارهم المسماة باسم ( التلمود ) • رابعها اللغة القبطية وهي لغة قدماء سكان الشمال

الغربي من جزيرة العرب • خامساً اللغة السامرية وهي اللغة التي كانت منتشرة

في الجهات الآهلة بأحد أسباط ( أعني قبائل ) بني إسرائيل القديمة المسمى

( سبط افرايم ) بعد أن افتتحها الآشوريون ثم بقيت بعد ذلك بصفة اللغة الأدبية

عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين الذين هم معترلة الديانة اليهودية

٣ - اللغة السبئية - نسبة إلى سبأ وهي اللغة المستعملة لغاية الآن عند

القوة المتوطنين في جنوب الفرات وهم وثنيون يتدينون بدين مخصوص من بقايا

الجاهلية الأولى

٤ - اللغة السورية - وهي اللغة التي كان يكتب بها في ( أورفة وانطاكية )

ببلاد جزيرة العرب في القرن الثاني لغاية القرن السادس من تاريخ ميلاد المسيح

٥ - اللغة السريانية - وهي التي كان يتكلم بها سكان مدينتي ( بابل ونيوى )

٦ - اللغة الحميرية - وهي لغة سكان جنوب جزيرة العرب في سالف الزمان

٧ - اللغة الحبشية - وهي التي كانت منتشرة في بلاد الحبشة وبعض بلاد

أفريقيا في سالف الزمان

٨ - اللغة العربية - وهي لغة قبيلة بني معد وبني اسماعيل التي بعد أن نزل

سها القرآن الشريف انتشرت انتشاراً كبيراً في كافة أقطار العالم . هذا وإنه في تسمية هذه اللغة بالعربية أقوالاً كثيرة أشهرها نسبة إلى يعرب بن قحطان

الذي هو أبو اليمن . وحاء في كتاب ( موسوعات العلوم ) الفرنساوي المطبوع بباريس أن قحطان المذكور هو يقطان بن عابر بن سام المذكور في التوراة

هذه هي جملة اللغات المعبر عنها بالسامية (نسبة لسام بن نوح عليه السلام) وهناك

نوع آخر من اللغات بينه وبين اللغات السامية علائق قرابة وروابط نسب

تقضى بتبعه اليها وهو اللغات الحامية (نسبة لحام بن نوح عليه السلام) حتى

ان بعض اللغويين قالوا بوحدة الاصل في كلا النوعين . وأشهر اللغات الحامية

هي اللغة المصرية القديمة ( أعني الهيروغليفية ) ولغات بعض قبائل بلاد الحبشة

والنوبة وكردفان وجزيرة مداغشقر والامم المتبربرة ببلاد المغرب

أما القسم الثاني وهو اللغات الآرية ( أو الياقسية أو الهندية الأروباوية )

فهي كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى الا انها محصورة في ست لغات أصلية :

١ - اللغة الهندية - وأصلها معروف باسم السنسكريت أعني اللغة الاثلية أو

المقدسة التي كانت مستعملة ببلاد الهند فدونها بها ديانة (البراهميين) وكتبوا

بها كافة علومهم ثم تولد منها جملة لغات تفرعت منها جملة السنة كاهندي

والهندستاني والبنغالي والجوزراني والمهراتي والنيبالي وغير ذلك من الألسنة

التي لأهمية لها في عالم الوجود

٢ - اللغة الإيرانية - وأصلها اللغة الزندية وهي أصل اللغات الفارسية وأشهر

ماتولد منها اللغة الافغانستانية والبيلوتشية والكردية والارمنية

٣ - اللغات اليونانية اللاتينية - فأما اليونانية فهي لغة بلاد اليونان وماجاورهم من الجزائر . أما اللاتينية فهي لغة بلاد ايطاليا القديمة التي منها تفرعت في مدقا القرون المتوسطة معظم اللغات الافرنكية المستعملة الآن ببلاد أوروبا الجنوبية كإيطاليا وفرنسا وبروسيا وإسبانيا والبرتغال وبلاد الجزيرزون وكذلك لغة ولايتي الافلان والبغدان المسماة الآن باللغة الرومية

٤ - اللغة الليتية الاسلاوية - وهي المستعملة في التبعيدات الدينية بكنائس بلاد الروسية وبلغاريا وسربيا والجر وبعض بلاد أخرى

٥ - اللغة الجرمانية أو اللغة الالمانية - وهي على فرعين أحدهما الجوتى أو الغوتى ومنه لغات بلاد الدانيمرك والسويد والنرويج وكذلك اللغة السكسونية التي منها لغات انكلترا والمانيا السفلى . والثانى وهو الفرع الالمانى الاصلى ومنه اللغة الالمانية العليا والنمساوية وغير ذلك

٦ - اللغة الساتية - ومنها جملة لغات منتشرة قليلا ببلاد الانكليز وبعض بلاد افرنساويين

هذا ما أمكننا أن نستنتجه فى أصل لغات البشر من التاريخ الكبير للمؤرخ الفرنساوى الشهير فرنسيس لونورمان

### ﴿ اللغة الاولى للانسان ﴾

للعلماء بحث طويل فى كيفية وضع اللغة الاولى للانسان أعنى بها أم اللغات التى تكلم بها آدم أبو البشر حتى اختلف الامر فيما بينهم لان العلماء الذين يبنون أبحاثهم على العقلية والمشاهدات والاختبارات يزعمون ان لغة الانسان فى الاصل لغة وضعية وضعها الانسان بحسب مأوتيه من القوى العقلية والمزايا المنطقية الخصوصية والاحوال المعيشية المتقلبة التى طرأت عليه . أما اللاهوتيون فينسكرون

ذلك كل الإنكار ويقولون ان تلك اللغة هي من الاوضاع الالهية وليست من  
الايوضاع البشرية . ولكننا لو نظرنا لهذين القولين بالفكر القادح والعقل السليم  
لوجدنا بيت القصيد في كليهما واحد لان نفس العقل في الحقيقة اكبر عامل في  
حركة الانسان سواء كانت تلك الحركة من جهة لغته أو احواله الخصوصية  
والعمومية وما العقل في الاصل الا وضع الهى كثرت فيه الاقوال والظنون  
وحارت في كنهه فطاحل الكون

اما اللغة التي كان يتكلم بها الانسان الاول فبعضهم قال انها السريانية لانها لغة  
بابل التي تلبات فيها اللسنة . والبعض قال انها العبرانية لانها لغة التوراة الذي  
هو أقدم تاريخ في الكون . وفريق قال انها الكلدانية لانها لغة البقعة التي نشأ  
فيها الانسان الاول . وهكذا من تلك الاقوال المبنية على الظن والتخمين حتى  
ان كل أمة من أمم المشرق قد ادعت بان لغتها أقدم لغات الارض بل أشرفها  
على الاطلاق ولم تكتف بذلك بل زادت عليه ان لغتها هي اللغة الاولى للانسان .  
وعلى العموم فأننا بأزاء المضاربات الكثيرة في هذه المسألة لا تعدى القول بان  
تعيين اللغة الاولى التي كان يتكلم بها الانسان الاول أصبح في حكم المحال كما  
أصبح كذلك أصل الانسان سواء كانت تلك اللغة قد فقدت واندثرت  
وأصبحت أثراً بعد عين أو هي لم تزل موجودة ضمن اللغات المنتشرة الآن  
في الكون

### ﴿ عمر الانسان ﴾

أما معرفة عمر الانسان بل تاريخ خاقته فمن الامور التي أصبح تحقيقها  
من رابع المستحيالات . ولو أردنا أن نقاضى من تسبب في ذلك لما وجدنا أمامنا  
سوى اول انسان تناسل منه عموم البشر لان الله خاقه ذاعقل وقلب ولسان  
وألمه النطق والفصاحة والبيان فما كان هناك مانع يمنعه من أن يترك لنفسه تاريخاً

يحفظه بنوه وهم من بعده يضاعفونه لمن يتناسل منهم وهكذا كل جيل يسير على مقتضى ذلك مادام أبوهم قد بدأ فيه أولاً حتى إذا مأتى جيلنا الذي نحن فيه الآن يكون تاريخ آبائنا شمساً منيرة أمامنا وبدراً ساطعاً لا يحتاج للسكران بل لا يحتاج للخبيط والتأويل وكثرة القول والقبول كما وقع فيه أسلافنا وما نحن واقفون فيه الآن . ولكن من يعلمنا أنهم لم يقوموا بذلك خير قيام وخوارق الطبيعة ربما كانت هي السبب في محو كافة مآثر كونه لنا من الآيات البينات

وما مثل تلك الخوارق الا كمثل الطوفان المشهور الذي أغرق الدنيا بأسرها . أو كمثل تبايل الآسرين الذي أنسى الخاق لغتهم الأصلية فشتت شملهم وأصبحوا منتشرين في بقاع الأرض يتفاهمون بإشارات وهمية استنبطوا منها اللغات العديدة التي ربما تكون مغايرة بالمرّة لغتهم الأولى . أو كمثل الريح السوم الذي أهلك الحرث والنسل والمساكن والبيوت فأضاع ما كان مدخراً في ذلك الوقت من الآثار . أو كمثل ما سخره الله للجيش الحبشية التي كانت أرادت هدم الكعبة فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول الى أن هلك الجيش عن آخره

كل ذلك يقضى علينا أن لا نتسرع بنسبة الاهمال لأبي الدنيا وبنيه ونقاضيهم على شيء ربما كانوا قد قاموا به خير قيام فأما تته تلك الخوارق أو ما يماثلها مما لو سخره الله لنا الآن لقضى على ما بين أيدينا مما نفاخر به الدهر ونناطح به السماء ونحارب به بعضنا حتى الشياطين والجنان من عزيز الديار وجليل الاعمال ونفيس الآثار التي تذهب هباء منثوراً فيصبح من سيخلفنا في هذه الأرض واقفاً في الحيرة التي نحن واقفون فيها الآن فيسخط علينا ويسلقنا بالسنة حداد غير عالم بما انتابنا من الخطوب وسخرته لنا الايام كما نسخط نحن الآن على آبائنا الاولين ونسلقهم بالسنة من نار ونحن لا نعلم من أمرهم شيئاً يكون

فاذا علمنا ذلك وجب علينا أن نلتبس العذر للأوائل ونتحقق من عدم

إمكان معرفة عمر أول انسان خلقه الله أو بالحري معرفة تاريخ ميلاده • والله  
در ( بوذا ) صاحب الديانة البوذية ببلاد الهند والصين واليابان وما جاورها من  
تلك البلاد الوثنية حث قال : « ان هجرتنا في هذه الحياة الدنيا بتبدى من  
الازل لا يعرف لها أول بدأت منه ولا أصل نشأت عنه »

صدقت يا بوذا فقد ساعدت الحقيقة وأزنت طريقها لمن ضلّ عن الطريق  
فكابر في مالا فائدة فيه لان أول انسان خلقه الله مجهول بالكلية بحيث لا ندري  
شيئاً عنه ولا نخال ندري بل لانزال نجعل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر •  
إلا ان ذلك لا يمننا من البعث فيما اذا كان آدم الذي نوهت عنه الكتب  
السموية هو أبونا من عهد أن خلق الله الكون أم هناك غيره وغيره وغيره ثم  
ماتوا جميعاً دون أن يصاننا من أخبارهم شيء يكون

تلك مسألة خلافية قد شغلت أفكار عموم الفلاسفة على الاطلاق فجعلوها  
نصب أعينهم وادعوا بها أكثر من اعتنئتهم بأصل الانسان وعمره حتى اتفق  
معظمهم على أن آدم المذكور ليس أول من خلقه الله على سطح الارض بل  
هو من ضمنهم أو آخرهم في بعض الروايات • ومن تأمل فيما أوضاعناه أولاً عن  
عمر الكون وما قيل فيه من الآراء والأفكار سواء كانت خرافية أو تاريخية  
أو دينية منقولة عن المصريين أو الصينيين أو العراقيين أو غيرهم من تلك الامم  
القديمة فإن أغاب العلماء قد انحازوا لجهة القائمين بتعداد الخلق قبل آدم  
المذكور مستندين على ذلك بما ورد بسفر التكوين ( التاريخ المقدس ) من أن  
قايين ( وهو قابيل الوارد في القرآن الشريف ) لما ان استحوذ الشيطان عليه  
وطوعت له نفسه قتل أخيه وقتله استجوبه الله فأنكر ثم اعترف وطلب العفو  
أخيراً وفرّ هارباً فحكم الله عليه بالطارد فقال قاييل : « ذنبي أعظم من أن  
يحتمل • إنك قد طردتني اليوم عن وجه الارض • • • • • فيكون كل من وجدني

يقتلني . . . » ثم بعد ذلك ورد أيضاً بالسفر المذكور ما يأتي : « وخرج قايين من أمام الرب فأقام بأرض نود شرقى عدن وعرف قايين امرأته فحملت وولدت » . حيث يؤخذ من ذلك أن قاييل لما أن أقام بتلك الجهة وجد هناك أناساً آخرين فاتخذ له منهم زوجة مع أنه من سياق الكلام الوارد بذلك السفر معلوم بأن الله لم يخلق أحداً على وجه الأرض في ذلك الوقت خلاف آدم وحواء وهابيل وقاييل فكيف يتخوف من أن يقتله أحد وكيف تزوج من الجهة التي فرّ إليها هارباً مع أنه لم يكن على وجه الأرض وقتها أحد خلاف من ذكرناهم

هذا فضلاً عن أن الله لما شرع في خلق آدم « قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » إشارة لانه تعالى سيخلق آدم ويميزه ويختاره خليفة عنه في الأرض وسلطاناً عليها وعلى ما بها من الكائنات . ذلك الذي وقع لدى الملائكة أسوأ وقوع فأجابوه بقولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . هذه الأجابة التي بالطبع قد صدرت منهم قبل أن يخلق الله آدم المذكور . تلك التي يؤخذ منها أن الله سبحانه وتعالى سبق خلق أناساً آخرين ظهر من بينهم الفساد والميل لسفك الدماء على أحد القولين فلما أن شرع الله في خلق آدم هذا أبدت ملائكته ما في أنفسهم من تلك الملاحظات التي سبق ظهورها بين الناس الأولين حيث لو لم يعاينوها في الإنسان سابقاً لما حكموا عليه بها قبل أن يخلقه الله . ذكر الشيخ علاء الدين على البسنوي في كتابه ( محاضرة الاوائل ) الذي انتهى من تأليفه سنة ٩٩٨ هجرية حيث قال : « ورد في بعض التواريخ أنه كان قبل آدم في الأرض خلق لهم دم ولحم واستدلوا بقوله تعالى : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » فلم يقولوا ذلك إلا عن معينة سابقة . ثم قال : ورد أيضاً أنهم كانوا خلقاً فبعث الله اليهم نبياً اسمه يوسف فقتلوه . ثم قال

ايضاً العلامة المذكور : وما أحسن ما أجاد وأفاد الشيخ الاكبر في الفتوحات  
الملكية في باب حدوث العالم انه قال : لقد طفت الكعبة شرفها الله تعالى مع  
قوم لأعصرهم فأشددوا بيتين حفظت واحداً منهما ونسيت الآخر . وهما هو  
البيت المحفوظ :

لقد طفتم كما طفنا سنينا \* بهذا البيت طراً أجمعونا

فقلت لواحد منهم من أنتم

فقال : نحن من أجدادك الأول

فقلت كم لكم من الزمان والمدة

فقال : بضع وأربعون الف سنة

فقلت ليس لآدم قريب من ذلك من السنين

فقال : عن أي آدم تقول : أعن هذا الأقرب اليك أم عن غيره

ففكرت في ذلك ودهشت هنالك فتذكرت حديثاً روى عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم حيث قال : « ان الله خلق قبل آدم المعلوم عندنا مائة

الف آدم » انتهى . وذكر الشيخ في الفتوحات : « اجتمعت مرة في عالم

الارواح مع ادريس عليه السلام وسألته عن صحة ذلك الكشف والخبر في ذلك

لان كل كشف لا يعضده خبر صحيح لا يعول عليه عند المحققين . فقال ادريس

عليه السلام : صدق الخبر وصدق شهودك ومكاشفتك في ذلك . ونحن معاصر

الانبياء آمننا بحدوث العالم وانقطع علمنا عن مبداء الأعيان والأكوان - ثم قال

الشيخ ايضاً - فالتاريخ لبداية العالم مجهول مع حدوث العالم باتفاق الانبياء والمجتهدين

خلافاً لبعض الفلاسفة من الأوائل والآخر فلا يعول على ما ذكره بعض

جهلة المؤرخين والله واسع عليم بحقيقة الحال »

على ان هذه الافكار اللاهوتية ليست اول افكار قيات في هذا الموضوع

بل هي مبنية على ابحاث كثيرة سبقتها ثم نتج من مجموعها ابحاث عصرية اخرى  
 قد لا تقل اهمية عن تلك الافكار اللاهوتية . منها ان ابحاث علماء مصر في ايام  
 الملك ( بطليموس فيلادلف ) اظهرت ان الانسان كان موجوداً قبل ايام الملك  
 نذكور بمسافة تبلغ ( ٣٥٠٠٠ سنة ) وذلك الملك حكم بمصر قبل الميلاد  
 بنحو قرنين فيكون مدة وجود الانسان قبل الميلاد تبلغ ( ٣٥٢٠٠ سنة ) .  
 وتلك الابحاث قد استنتجوها من الآثار المصرية القديمة حتى ان الجمعية المنوكية  
 الباطنية الانكليزية كلفت العالم الانكليزي ( هورنر ) بدراسة الآثار المصرية  
 درساً دقيقاً كي يستخلص منها حساب عمر الانسان من عهد وجوده بأراضي  
 مصر فأخذ يبحث بحثاً علمياً متوالياً حتى اعتمد أخيراً على تاريخ بناء مسئلة عين  
 شمس التي علم منها أنها اقيمت على الارض قبل الميلاد بمسافة ( ٢٣٠٠ سنة )  
 فرفع الاتربة عن ساق تلك المسلة فرآى ان الارض قد ارتفعت عليها بنحو  
 ( ١١ ) قدماً انكليزياً أعني ( ١٨ و ٣ ) عقدة في كل قرن . ثم أخذ يقارن  
 ذلك بأعمق البقايا الانسانية التي وجدت بباطن الارض الى أن استنتج من هذه  
 الابحاث ان عمر الانسان يبلغ ( ٣٠٠٠٠ سنة ) . كذلك وجدت في امريكا  
 جمجمة قديمة على بعد شائع جداً من باطن الارض بحيث لا تستطيع الرواسب  
 المتوالية أن تفصلها عن سطح الارض بهذا السمك الا في مدة لا تقل عن  
 ( ١٥٨٤٠٠ سنة ) كما حسبها العالم الامريكي ( بونيت دولرن ) . وغير ذلك من  
 الابحاث التي لا تخرج عن أن أشكال أقدم الامم ما بين ايسويه وأفريقيه وأوروبويه  
 وأمريكيه مختلفة في الجاهج والأنوف والشعور واللون واللغة والمعادات اختلافاً  
 يحتاج حدوده لعشرات الالوف من السنين مادامت الامم كلها مشتقة من أبوين  
 اثنين . ذلك الذي يؤخذ منه أقدمية الانسان وأن آدم الذي نحن بصددده ليس  
 أول من خلقهم الله بل هو من ضمنهم أو آخرهم في الغالب . ولما أن كان

تاريخ الاوائل مظاهراً كما يتضح مما ذكرناه من تضارب الاقوال واختلاف الابحاث فلا فائدة لنا من السعي وراء معرفة أحد من أجدادنا الاول بل يلزمنا أن نكتفي بمعرفة تاريخ الانسان من عهد آدم المذکور الذي أقرت كافة العلماء على انه أبو البشر معتمدين في ذلك على ما بين أيدينا من أقدم التواريخ المشتملة على مواليد ووفيات البشر وعلى مدد ولايات وأعمار بعض الانبياء والملوك وغيرهم من رؤساء الاسرات ومشاهير الرجال من عهد آدم وحواء • ولو أن العلماء الذين بحثوا في ذلك قد ذهبوا مذهب شتى الا أن أقربها للحقيقة بالاجماع هو مذهب المؤرخ الفرنسي فرانسيس لونورمان حيث من بحثه ومن بحث بعض معضديه الذين بعد ان قضوا فيه خمسة عشر سنة انضج لديهم ان ميلاد آدم المعلوم لنا الآن كان يوم ١٣ نوفمبر سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح • ولو اضفنا لذلك المدة التي تبتدى من ميلاد المسيح وتنتهى لسنة ١٩٠٦ م لكان عمر الانسان من عهد ان خلقه الله لغاية تلك السنة هو ٥٩١٠ سنة ميلادية على الأرجح

### الفصل الثالث

﴿ آدم أبو البشر عليه السلام ﴾

لقد تركنا الخطب واخلط في ما ذكرناه قبل هذا وجئنا الآن ناتمس شيئاً عن اول انبيان معلوم لنا وهو آدم الذي علمنا من اقصى ما وصل اليه البحث ان الله خلقه يوم ١٣ نوفمبر سنة ٤٠٠٤ قبل ميلاد المسيح اعني سنة ٤٥٧٨ قبل الهجرة ثم بعد ذلك اراد الله له راحة سرمدية مقرونة بالسعادة والرفاهية فأعد له جنة حوت كل ما تشتهي النفس وتلائم الاعين • وبعد ان اسكنه فيها امر فاستعرض امامه كافة الحيوانات والطيور التي خلقها من كل زوجين اثنين • ولما رأى الله ان آدم في الجنة وحيد ليس له من نوعه انيس ولا جليس اراد ان يجعل له سكناً من نفسه فخلق له زوجاً من جنسه سماء (حواء) كي تشاركه

الحياة وتشاطره ما هو فيه من نعيم الجنة التي صارت مسكناً لهما يمرحان فيها طولاً وعرضاً ويشربان منها هنيئاً ويأكلان مريضاً الآمن شجرة حرمها الله عليهما خشية أن يصيبهما بسببها ما يصيبهما من العناسة والشقاء حيث أمرها بقوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » . لذلك حسدهما الشيطان على ما هما فيه من تلك النعمة الكبرى فاحتاط بهما إحاطة الهالة بالقمر والا كما بالثمر ووسوس في آذانهم آناء الليل وأطراف النهار بأن زين لهما الاكل من تلك الشجرة المحرمة حيث زادهما غروراً بقوله لهما : « هي شجرة الخلد وملك لا يبلى وما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا ائخالدين » وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين »

ولما ان كان الانسان بالطبع أميل للشر أكثر منه الى الخير استسلم آدم وحواء لوسوسة الشيطان فوقعا في الخطيئة حيث سوات لهما نفسيهما أن يأكلا من تلك الشجرة سعياً وراء ذلك الملك المزعوم وذلك الخلد الموهوم . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة فقال الله لهما « ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة . قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . فقال لهما وللشيطان : « اهبطوا بهضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين » فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » . كذلك قضى على آدم أن يأكل خبزه بعرق جبينه وعلى الاخرى بمشقات الحمل والولادة فضلاً عن خضوعها لأوامر الاول ونواهيها . الأمر الذي من عهده صارت الرجال قوامين على النساء . وبهذا الترتيب قد تسجل الشقاء على آدم وحواء وذريتهما تسجيلاً أبدياً حيث كان أول شقاء عايناه وكابداه بعد غضب الله عليهما ما حل بهما من التفريق الذي كان نصيب آدم منه أن تواجد على جبل الراهون الموجود بجزيرة سرنديب ببلاد الهند ونصيب

حواء أن تواجدت في جنة ببلاد العرب كما أشار الى ذلك المسعودي في مروج الذهب . ذلك التفريق الذي قضى على آدم أن يتعب ويشقى في السعي وراء البحث عن حواء حتى بعد العناء الشديد تلاقى معها على جبل ببلاد العرب فتعارفا هناك ومن ثم أطلق على ذلك الجبل اسم ( عرفات ) ثم بعد ذلك عاشا مع بعضهما عيشة الزوج مع زوجته فرزقهما الله كثيراً من البنين والبنات بعد ان عاش الاول تسعمائة وثلاثين سنة غير اننا لا نعلم شيئاً الا عن ثلاثة من أولاده الذين أولهم ( قابيل ) المسمى في القرآن الشريف باسم قابيل الذي اتخذ الزراعة لنفسه حرفة . والثاني هابيل الذي اشتغل برعاية المواشي . والثالث شيث الذي هو أحدثهم سناً

### قابيل وهابيل

أما قابيل فكان رجلاً خبيث النية سيئ الضمير حتى ان الله تعالى لم يتقبل منه قربانه بل تقبل قربان أخيه هابيل لانه كان حسن النية صافي السريرة . ذلك ما جعل الاول يحقد على الثاني فنظر اليه نظر الحسد والغيرة والسوء ثم أضمر له الشر الذي أخذ يتضاعف في نفسه حتى تمكن منه تمكناً لم يره منه مناصاً سوى ان اختلى به في الحقل يوماً من الايام وتوعده بالقتل فجأوبه هابيل بما يشف عن الطيبة المتناهية ومكارم الاخلاق العالية حيث قال له : « لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بيأسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين » . ولكن الله قد أعشى قلب قابيل عما بتلك الاجابة من الحكم الباهرة والتواضع الظاهر فاستحوذ الشيطان عايه فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . ولما ان رآه قتيلاً بين يديه اندهش اندهاشاً عظيماً وحر في أمره حيث لم يدر كيف يوارى سوءة أخيه لانه لم يتعود ذلك الذي لم يره على الاطلاق فبعث الله له غراباً ليريه كيف يوارى بها حيث أخذ ينبش في الارض أمامه حتى فهم

وقام على عجل فواراها في السراب وهو يستغرب ويخاطب نفسه بقوله :  
 « ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى » . الا أنه  
 بعد ذلك أخذ يلوم نفسه وبوج ضميره شأن الانسان عند ما يأتي أمراً إذا  
 خصوصاً اذا كان لذلك الامر علاقة بأحد من ذوى قرابه أو من أبناء جلدته والطامة  
 الكبرى اذا كان شقيقاً له كقاييل وهابيل الذى أصبح كأنه ما كان حيث لم يعقب  
 ذرية ولم نعلم عن عمره شيئاً يكون . الا ان قاييل على ما يظهر قد اعتبر نفسه  
 أول انسان فى الكون دس الانسانية بهذمه الرواية التى شخصت الرذيلة أمامه  
 بكافة معانيها فلم ير له بداً الا ان ينصاع لما قضى الله به عليه من أن يترك أسرته  
 ووطنه ويهاجر بمفرده لارض نود شرقى عدن . تلك التى جعلها مسكناً له  
 وتزوج فيها بأحدى بناتها فرزقهما الله ولداً اسمه ( حنوك ) وهذا ولد ولداً  
 اسمه ( عيراد ) وهذا أعقب ولداً اسمه ( محويائيل ) وهذا ولد ولداً اسمه  
 ( متوشائيل ) وهذا أعقب ولداً اسمه ( لامك ) وهو أول من فتح باب تعداد  
 الزوجية حيث اتخذ لنفسه زوجتين إحداهما اسمها ( عادة ) والاخرى اسمها  
 ( صلة ) فرزقه الله من الاولى بولدين يسميان ( يابال . ويوبال ) ومن الثانية  
 بولدين أحدهما ذكر اسمه ( توبال قايين ) والاخر انثى اسمها ( نعمة ) على ان  
 هؤلاء فقط هم المعمولون من ذرية قاييل ولا بد أن يكونوا جميعاً قد أعقبوا  
 ذراري آخرين انتشروا بتلك الارض ولم يفدنا أحد عنهم بشئ غير ان الله  
 سبحانه وتعالى على ما يظهر قد وهب الانسان فى ذلك الوقت هباته العقلية والبدنية  
 فالاجتماعات البشرية وإنشاء الشركات وكل ما يعود عليه بالسعادة والرفاهية .  
 ذلك لانه من التواريخ القديمة وتفسيرها يتضح ان أسرة قاييل المذكورة هى  
 التى ينتسب اليها أولية بناء المدن واختراع الفنون والصنائع لانه مثبت أن  
 قاييل كان يبنى بتلك الارض التى استوطن فيها مدينة سماها باسم أول مولود

أناها وقتها وهو ( حنوك ) ثم ان ( يوبال ) كان مولعاً بضرب العود والمزمار حتى اشتهر بأنه أبو الملحنين المغنيين • وأن أخاه من أبيه المدعو ( توبال قاين ) هو مخترع فن سبك المعادن وصناعتها فضلاً عن أن صناعة غزل صوف المواشي ونسج الأقمشة ينسبان الى ( نعمة ) اختهما

ﷺ شيت عليه السلام

أما شيت فقد كان شبيهاً لأبيه تماماً وكان رجلاً صالحاً تقياً قال له أبوه آدم وأحبه حباً شديداً حتى انه قبل وفاته أوصى له من بعده وحده من أخيه قاين وذريته فقام بالوصية خير قيام حتى خصه الله مع ذريته بالفضيلة والمناقب الجميلة • وقد عاش شيت تسعمائة واثني عشر سنة بعد أن أعقب بنين وبنات أكبرهم اسمه ( أنوش ) • وعاش أنوش تسعمائة وخمسة سنين وأكبر أولاده اسمه ( قينان ) وعاش قينان تسعمائة وعشرة سنين وأكبر أولاده اسمه ( مهالميل ) • وعاش مهالميل ثمانمائة وخمسة وتسعين سنة وأكبر أولاده اسمه ( يارد ) • وعاش يارد تسعمائة واثنين وستين سنة وأكبر أولاده اسمه ( اخنوخ ) • وعاش اخنوخ ثلاثمائة وخمسة وستين سنة قضاه على سطح الارض في التقوى وللصلاح والتمسك بالله على الدوام الى ان اختاره الله فاصطفاه ورفعاه الى السماء بعد تلك المدة التي رزقه الله في بحرها بجملة أولاد أكبرهم اسمه ( متوشاخ ) • وقد قيل انه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبثها حيث كانوا قبلاً يلبسون جلود الحيوانات • وكذلك هو اول من اتخذ السلاح وحارب به الاعداء • وقد ورد بتاريخ ( ابو الفدا اسماعيل ) ان اخنوخ هذا هو ادريس عليه السلام الذي نحن نعلم عنه ان الله رفعه مكاناً عالياً أما ابنه متوشاخ فهو أطول الجميع عمراً حيث عاش تسعمائة وتسعة وستين سنة وأكبر أولاده اسمه ( لامك ) • أو في بعض الروايات اسمه لامخ • وهو

خلاف لامك المتسلسل من ذراري قابيل البادي ذكراً • وعاش لامك  
سبعماية سبعة وسبعين سنة وأعقب ولداً اسمه (نوح) • وعاش نوح تسعمائة  
وخمسين سنة وأعقب كثيراً من الذرية أشهرهم سام وحام ويافث حيث من هؤلاء  
تشعبت كافة الامم على سطح الارض بعد الطوفان كما سيأتي الشرح والبيان

ﷺ نوح عليه السلام

لقد ذكرنا خلاصة ما يلزم أن يقال عن آدم وبنيه المعلومين غير مفرطين  
الافى لا يستحق الذكر لان اكثر المؤرخين كابن الاثير وأبى الفداء وفرنيس  
لو نورمان وغيرهم قد تشعبت آراءهم في ذلك تشعباً أدى لزيادة الخلط وكثرة  
الخلط في مالا فائدة فيه سوى ما يعود على الانسان من تشويش الافكار وتشتيت  
الاذهان • وغاية ما نلاحظه أن ذراري آدم وبنيه لغاية نوح كانوا قد انتشروا على  
سطح الارض انتشار الجراد ففضى ذلك عايهم باختلاف المشارب والاخلاق  
والعادات فتباينت طرق معيشتهم • ذلك الذي استلزم ان تتلاشى الفضيلة وتتضاعف  
الرديلة - شأن الانسان عند ما يأخذ في أسباب العمران - حتى انتشر الفساد فيما  
بينهم انتشاراً عمّ الصغير قبل الكبير فأراد سبحانه وتعالى أن يخفف عنهم ما  
احتاطهم من البغى والطغيان فاختر من بينهم رجلاً اسمه نوح عليه السلام  
كان محافظاً دونهم على التقوى والاستقامة والصلاح فأرسله إليهم كي يهديهم سواء  
السبيل حيث أخذ يثني القوم عما هم فيه مبيناً لهم الطريق المستقيم برقيق كلامه  
واطيف عظاته وحسن أسلوبه الا أنه وبالإلحاح كان كأنه يصرخ في واد وهم  
في واد • ومع كل ما كان ذلك ليثني عزمه عما هو قائم به من تبليغ دعوته بل  
كان يداوم على تحذيرهم من بأس الله ونقمته في الدنيا والآخرة الى ان بلغت  
وقاحتهم أن يبطشوا به ويعذبوه بما كان في بعض الاحيان يؤدي لفقدان  
شعوره ووجدانه

على انه من حسن مكارمه وطيب سريره ما كان يقابل الاساءة بمثلها عقب

أن يفوق من ذهوله بل كان يذكركم دائماً على لسانه بالخير ويطلب لهم من الله التوبة والغفران كأنه نسي أو تناسي ما لحقه من الأذى وتلك المعاملات القاسية الوحشية . ولكنه لما أن طال عليه المطال ورآى أن القوم قد استفحل أمرهم وزاد طغيانهم وانتشر فسادهم فلم ير له بداً من أن يرفع أمره لله سبحانه وتعالى حيث طلب منه أن يهديهم أو يصبره على ما هو فيه من البلاء العظيم فجأبه الله بما جعله ييأس من هدايتهم وصلاح شأنهم إلا أنه انتظر قليلاً مؤملاً من الله أن يرشده لما فيه الخير والفلاح

﴿ الطوفان ﴾

ولما انتظر نوح ولم ير له مخرجاً ولا صبراً على تلك المعاملات القاسية استفرزته الحالة فنادى الله قائلاً : « رب لا تذرعلى الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » . فتقبل الله دعوته في الحال وأوحى إليه : « ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون »

فصار نوح من ذلك الوقت يهيم اللازم لصنع الفلك من خشب وحديد وقار كما أوحى إليه ثم أخذ يشتغل فيه على مرأى من قومه الذين كانوا يستهزئون به ويسخرون من عمله ويعابرونه لكونه أصبح نجاراً بعد أن كان نبياً كريماً إلا أنه كان يهزأ بأفكارهم هذه وما كان يزيدهم عن قوله : « ان تسعروا منا فانا نسخر منكم كاتسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه » . وهكذا استمروا في معاكسته بسخريتهم واستهزائهم إلى أن انتهى من صنع السفينة التي كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وارتفاعها ثلاثين ذراعاً فقال الله له : « احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن » . فأدخل فيها كل ما أمره الله به وفيهم من عشيرته الرجال والنساء

والاولاد • ثم بعد ذلك أنزل الله من السماء مطراً مدراراً كان هو الطوفان المشهور • قال تعالى : ﴿ ففتحن أبواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر • وحملناه على ذات ألواح ودسر • تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾

وفي أوائل هذا الحادث العظيم كان أحد أبناء نوح في معزل عنه يخاف عليه فناداه ودعاه ليركب معه في السفينة فاستخفّ ابنه بذلك حيث قال له : « سآوى الى جبل يمصني من الماء » • الا أن أباه أخذ ينهيه عن ذلك ويستميله لدعوته قائلاً له : « لا عصم اليوم من أمر الله » • ولكن يظهر انه تردد في تلبية دعوة أبيه وتهاون بل كآر الى ان حال بينهما الموج فكان من المفرقين • ثم بعد ذلك مكث نوح ومن معه بالسفينة وذلك المطر يتساقط عليهم أربعين يوماً بآيالها حتى فاضت المياه فعمت سطح الأرض وغطت كافة الجبال الشاخصات وعامتها خمسة عشر ذراعاً فأما الحيت والنسل من نبات وطيور وحيوان حتى لم يبق على وجه الأرض وقتها سوى تلك السفينة ومن فيها حيث كانت تجري بهم في موج كالجبال هكذا لبثت الأمطار تتساقط من أفواه السماء تساقطاً هائلاً الى أن قضى الله

بدنواً أجلاها فأمرها بقوله تعالى : ﴿ يا أرض ابلغي ماءك وياسماء أقلعي ﴾ حيث بذلك امتنع المطر بعد أن مكث تلك الايام والليالي وصارت المياه طامية على سائر سطح الأرض مدة مائة وخمسين يوماً ثم أخذت تنقص شيئاً فشيئاً حتى في الشهر السابع من بدء الطوفان « غيض الماء وقضى الامر واستوت - السفينة - على الجودي » المعروف بجبل أرات ببلاد الارمن • وفي الشهر الماشر ظهرت رؤوس الجبال ثم في أوائل الشهر الثاني عشر فتح نوح كوة السفينة وبعث غراباً ليكشف له جفاف الأرض فانطلق من بين يديه وصعد ولم يعد اليه فأرسل حمامة فعادت بدون شيء فانتظر اسبوعاً وأرسلها مرة ثانية فعادت وبفمها ورقة

زيتون ثم انتظر اسبوعاً آخر وأرسلها مرة ثالثة فلم تعد ترجع اليه فتحقق من وقتها ان المياه قد انقضت عن سطح الارض ويمكن ان يخرج اليها ويستولى عليها • حينذاك أوحى اليه من قبل الله تعالى بالخروج من الفلك هو وعشيرته ودواب الارض وطيور السماء فخرجوا منها جميعاً بعد ان مضى عليهم فيها سنة كاملة بالتمام

### ﴿ جبل أرارات ﴾

هذا وقت اختلاف العلماء والمفسرون في تعيين الجبل الذي رست عليه تلك السفينة حيث فريق يقول انه جبل موجود ببلاد ( تركستان ) كان اسمه ( أراراته ) عند سالف القبائل الياضية الاولى واسمه ( ميرو ) عند أهل الهند واسمه ( جبل البرج ) عند الفرس وهو جبل الربوة الالوية نسبة الى جبال ألبه المسماة باسم ( يامير ) في ولاية بخارى الصخرى ( أى بلاد تركستان ) • ذلك الذى يؤخذ منه ان السفينة رست على الجبل المذكور الموجود بجوار بلاد الصين بالجهة الشرقية من بلاد آسيا • قال اصحاب هذا رأى ان النازحين من جهة بلاد الصين وماجاورها فى غير الأزمان هم الذين أطلقوا اسم أرارات على الجبل الموجود ببلاد الارمن كما وافق على ذلك المؤرخ الشهير فرنسيس لونورمان حيث قال مامليخسه : « أما سابقة الظن بكون الجبل الذى رست عليه السفينة هو جبل أرارات الموجود ببلاد الارمن فـ ذلك الادعى ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الأوطان فى سالف الأزمان أطلقوا على بعض الاماكن من أوطانهم الجديدة أسماء بعض أوطانهم القديمة كما هى المادة اليهودية » أما الفريق الآخر فهو الذى يقول ويثبت ان السفينة رست على جبل ارارات الموجود ببلاد الارمن ليس الا كما قال بذلك ويكتور دروى • وأبو الفدا اسماعيل • وكما قال الزمخشري فى الكشاف « الجودى جبل بالموصل » • وقال

المولى أبو السعود في تفسيره : « الجودي هو جبل الموصل أو بالشام أو بآمد » .  
وكما ورد في اتقان السيوطي : « الجودي جبل بالجزيرة » . ولما ان كان من  
المحقق أن كل تلك الجهات موجودة في الجهة الغربية من بلاد آسيا فبالطبع  
يكون مرسى السفينة هو جبل ارارات الموجود الآن ببلاد الارمن

﴿ التبليل ﴾

لما انتهى الطوفان واستولى نوح وعشيرته على الارض وعلم فيها من الخيرات  
قام نوح فقرر لله تعالى قرباناً شكراً له على ما أولاهم من النجاة مدة ذلك  
الطوفان فبارك الله له ولذريته الذين تناسل منهم عموم البشر كما قال تعالى :  
« وجعلنا ذريتهم هم الباقين » . ثم قن لهم بعض القوانين البسيطة فساروا على  
مقتضاها وأخذوا بعد ذلك يحرثون ويزرعون ويحصدون ويتاجرون فتمتعوا  
من حالة لحالات عديدة وتوسعوا في معيشتهم بل تفننوا في طرقها فأفرطوا فيها  
افراطاً - شأن الانسان عند ما يترقى من درجة لاخرى - حتى كان ذلك سبباً  
لأكبر ضرر حاق بهم من جهة النقص الزائد الذي حصل اخيراً في سنى حياتهم  
حيث كان متوسط الاعمار البشرية في أوقاتهم لا ينيف عن متوسط أعمارنا في  
هذا العصر مع أن متوسط الأعمار في عصر آبائهم الاولين كان يعاد بالقرون  
العديدة كما يتضح ذلك مما أوضحناه أولاً من عهد آدم ونوح . الامر الذي  
تواجد بسبب ذلك الافراط خصوصاً عند ما كثر نسايتهم ضاقت بهم الارض  
ذرعاً فمتواعتوا كبيراً وعاثوا في الارض فساداً وطغوا وتجبروا وحادوا عن سواء  
السبيل . ولما ان فشى بينهم الكبر والعجب بأنفسهم غرهم جمعهم فكفروا بنعمة  
الله اذ طنوا - وبعض الظن إثم - انهم قادرون على عصمة انفسهم من أى  
طوفان يأتى بعد ذلك الطوفان فشادوا لهم مدينة وحصناً عالياً اخترق بعلوّه  
الفضاء فكاد يناطح السماء ولكن الله غضب عليهم فجازاهم على كفرهم ببابلية السنتهم  
فصاروا لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً ولذلك سميت تلك المدينة باسم ( بابل )

ولما حلَّ بجمعهم ما حلَّ ونزل عليهم منازل اضطروا للتفرق في البلدان حيث تشتتوا فيها زرافات ووحدانا وكل فريق منهم أوجد لنفسه لهجةً تكلم بها وقتها • ومن ثم تولدت في أقطار العالم كافة اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التي رتبها العلماء كما اتضح ذلك لنا مما أوردناه سابقاً عن لغة الانسان • وقد بحث علماء التاريخ في كيفية التفرق الذي حصل عقب ذلك التبلبل فأوجدوا في البحث خلطاً كبيراً وخبطاً كثيراً لاضه ورة للتوسع فيه الآن غير ان أقصى ما يصل اليه الانسان بعد المباحثات ومعاناة المشقات لا يخرج عن أن القوم - قوم نوح - لما أن تبلبلت ألسنتهم وتفرقوا وقتها كانوا منقسمين الى ثلاثة عشائر :

فالعشيرة الاولى وهى العشيرة السامية نسبة الى أبيهم سام بن نوح كان نصيبها بعد التفرق أن تشتت بأقاليم آسيا

والعشيرة الثانية وهى العشيرة الحامية نسبة الى أبيهم حام بن نوح كان نصيبها بعد التفرق أن تشتت في بعض بلاد آسيا واخيراً استوطنت اقاليم أفريقيا

والعشيرة الثالثة وهى العشيرة الياقضية نسبة الى يافث بن نوح كان نصيبها بعد التفرق أن تشتت بأقاليم أوروبا

## الفصل الرابع

### العشيرة السامية

هذه هى العشيرة التى عمها الله بركته وآلائه فأسعدنا وأكرم مشواها بما خصها به من الطاعة والهداية والميل لفعل الخير دون الشر • ذلك الذى جعل تلك العشيرة من سالف الازمان ممتازة عن العشيرتين الاخيرتين فأخرج الله منها العلماء الصالحين والانبياء والمرسلين الذين بلغونا الشرائع السماوية من بادى الأمر فأصبحت من جهة خير قدوة لمن آمنوا بها فاهتدوا بهدائيتها ومن جهة أخرى صارت أحسن انموذج تحلت به النواميس الارضية التى أوجدها الانسان فى سالف

الزمان والموجودة بين ظهرانيها الآن • تلك العشيرة التي كان أبوها سام بن نوح الذي عاش ستمائة سنة ومات بعد أن ولد بنين وبنات لم يكن معلوم منهم إلا الخمسة الأولاد المذكورين بعد :

١ - عيلام - وهو أبو القوم المدسعون بالعيلاميين الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان وهي المسماة بلاد خوارزم الآن

٢ - آشور - وهو الذي اختط مدن ( نينوى • وكلاش • وريزانة التي هي مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة ) • وعلى العموم فانه أبو السريانيين أولى الدولة القوية والصولة الشديدة • أولئك الذين كانت لغتهم سبباً لمعرفة تواريخ بعض الأمم القديمة التي كانت قاطنة بجنوب بلاد آسيا

٣ - أرفكشاد - وهو أبو العرب واليهود لانه ولدولداً اسمه شالخ وشالخ ولد عابر وعابر ولد ولدين أحدهما اسمه فالج والآخر اسمه يقطان

ويقطان هذا هو أبو القبائل التي تكونت منها أمم عرب الجاهلية الأولى وبعض المؤرخين يقولون انه هو قحطان صاحب بلاد اليمن وأبو يعرب المنسوبة اليه تلك القبائل العربية • أما فالج فقد تناسل منه كثير من الذرية التي كان من ضمنها ابراهيم صاحب الشريعة اليهودية الذي كان من ضمن أولاده ولداً اسمه اسماعيل هاجر به لمكة فتزوج بأميرة من أميرات العرب كانت بنتاً لسيد قبيلة جرهم فأولدها اسماعيل اثني عشر ولداً اختلطوا هم وذريتهم بقبائل العرب المذكورة فسادوا عليها وصارت لهم الغلبة عليهم حتى تناسل منهم محمد صاحب الشريعة الإسلامية عليه الصلاة والسلام

٤ - لود - وهو أبو اليبديين الذين توطنوا أخيراً غرب بلاد الارمن

٥ - آرام - وهو أبو عوص وحول وجائر وماش الذين تناسل منهم الآراميون أعني بهم قدماء أهل الشام الذين كانوا متوطنين ما بين الفرات

والبحر الابيض المتوسط ثم قطن أخيراً قليل منهم في الجهة الغربية من  
بلاد الجزيرة

﴿ هود عليه السلام ﴾

هؤلاء هم أولاد سام بن نوح الذين تكوّنّت منهم العشيرة السامية وصار  
كل منهم عصبية مخصوصة بل دولة قائمة بنفسها لها تاريخ طويل عريض لو  
ردت التكلم عنه حتى بمنتهى الاختصار لاحتاج الأمر للوقت الطويل والتعب  
الكثير . ذلك الذي ليس في طاقتي أن أتحمّله بالنسبة لما أنا فيه من المشغوليات  
الخاصة

غير أن الأهم في الموضوع هو تاريخ الأمة التي تناسلت من أرفكشاد  
البادي ذكروه الذي لما ان تناسلت وكثرت أولاده اختلطوا جميعاً بأولاد  
حام ويافث ثم انتشروا بذرايرهم انتشاراً زائداً في آسيا الصغرى وبحيث جزيرة  
العرب إلى أن قضى ذلك بفساد أخلاقهم فاختل الأمن وكثرت المنازعات  
والمخاصمات وصاروا فوضى لا يعرفون الله ولا شيئاً من التشريع الذي تركه  
لهم جدّهم نوح عليه السلام حيث اتخذوا من دون الله آلهة فعبدوا الأوثان  
والاصنام إلا أن الله أرسل إليهم رجلاً صالحاً يقال له ( هود ) كي يصلح ما عوجّ  
من أمرهم فلم ينصاع قومه لنصحه ولا لارشاده فأرسل الله لهم ريحاً سموماً  
أبادهم عن آخرهم

﴿ صالح عليه السلام ﴾

ولما مضى الوقت وهم لم يزالوا في طغيانهم يعمهون وفي كفرهم يزدادون  
أرسل الله لهم صالحاً ليصلح شأنهم فقبول بمثل ما قبول به هود فأهلك الله قومه  
إلا من آمن به فقد نجاهم أجمعين

﴿ ابراهيم ولوط عليهما السلام ﴾

ولكن ما حدث بالقوم لم يمنع غيرهم مما هم فيه من الفساد حتى أيام نمرود أحد ملوك الكلدانيين ( العراقيين ) حيث كانت الاباطيل والترهات فاشية وقتها خصوصاً التنجيم الذي عمّ الصغير والكبير حتى وأن المنجمين أذاعوا وأشاعوا بأنه سيولد مولود في أيام ذلك الملك فينازعه في داخلية البلاد ويزاحمه السلطة على العباد ويكون لهما مع بعضهما في مستقبل الايام شأن عظيم . ذلك الذي قضى على الملك أن يأمر وقتها بذبح كل مولود يولد في مملكته حتى قام القوم وقتها بذلك الأمر فزقوا شعائر الانسانية بذبحهم كثيراً من الاولاد افتراء وظلماً وعدواناً . وكان وقتها هناك رجل يدعى ( تارح ) وفي بعض التواريخ وأقوال المفسرين كان يدعى أيضاً ( آزر ) من ذراري سام بن نوح فرزقه الله بمولود سماً ( ابراهيم ) واتخذ الحيلة خوفاً عليه من الذبح بأن كتم أمر ولادته ثم سار به خفية واسكنه في غار هناك حيث ربه فيه الى ان شب وترعرع وصار في مأمن من تلك الأيدي الظلمة فأخرجه أبوه من الغار بعد أن أحاطه علماً بما هنالك

ومن حسن حظ ابراهيم عليه السلام ان الله وهبه عقلاً وفطنة من إبان نشأته فهداه النجدين وأثاره السبيلين حتى وانه أخذ يفكر في طريق الهداية والسعادة كما يفكر الفلاسوف العظيم والاستاذ الحكيم . وكان أول ما خالج فكره هو السمع وراء معرفة صانع هذا الكون فنظر للاصنام أولاً فنبذها ظهرياً حيث لا تثمر ولا تغني من جوع . ثم تأمل لحركة هذا الكون تأمل الباحث المجتهد الى أن جن عليه الليل ورآى كوكباً منيراً أمامه قال : « هذا ربي » . ولكنه بعد قليل لما أن غاب عنه وأفل من أمامه عرض عن قوله الاول وقال « لا أحب الآفلين » . ثم عقب ذلك رآى القمر بازغاً فظننه ربه فاطمأن بالله الى أن غاب أيضاً فنبذه ظهرياً وصار عنه من المعرضين . ثم رأى الشمس بازغة فقال : « هذا ربي هذا أكبر » فلما أفلت قال يا قوم إني برىء

مما تشركون • إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض خفية وما  
أنا من المشركين • ومن هذا الوقت عرض عن الأصنام وأنكرها من بين قومه  
حيث عدّ عبادتها ضلالاً في ضلال • ثم فاتح أباه في ذلك وقال له • « أتتخذ  
أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين » • وتصادف وقت ذلك أن نمرود قد  
استفحل أمره وازداد طغيانه وتمرد قومه خصوصاً قد غلوا غلواً كبيراً في عبادة  
الأوثان فأرسل الله لهم إبراهيم الذي قال لآبيه وقومه • « ما هذه التماثيل التي  
أنتم لها عاكفون • قالوا وجدنا آباءنا لها عاكفين • قال • لقد كنتم أنتم وآباؤكم  
في ضلال مبين • قالوا • أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعين • قال بل ربكم رب  
السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين »

ثم بعد ذلك انفضوا من حوله وتركوه غير مكترئين ولا ملتفتين لما في كلامه  
من الحكم الفائقة والآيات الناطقة بل ازدادوا تمسكاً بما هم فيه إلى أن أعيته  
الحيل فتوعد أصنامهم بسوء حيث قال لهم • « تالله لا أكيدن أصنامكم بعد  
أن تولوا مدبرين • إلا أن القوم وقتها ما كان يدور بخلافهم أن إبراهيم يتجرأ  
على ذلك حتى وأنهم في أحد أعيادهم كانوا قد تركوا أصنامهم بمفردها فيم  
نحوها إبراهيم فوجد الطعام ملقى بين يديها وهي كالخشب المسندة ليس فيها شيء  
من الحراك فخطبها مستهزئاً بقوله • « ألا تأكلون » • ولكنه لم ير منها إلا  
صمتاً وسكوناً كأن على رؤوسها الطير فقال لها • « مالكم لا تنطقون فراغ  
عليهم ضرباً باليمين • فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون » • ثم بعد  
ذلك أخذ الآلة التي استعملها في تحطيم الأصنام وعلقها في عنق ذلك الصنم الكبير  
الذي أبقى عليه إشارة لآله هو السبب لما حلّ بتلك الأصنام • وأخيراً تركها  
وتوجه لحال سبيله فأتى القوم بعده فرأوا الحالة على ما هي عليه من التعظيم  
والتكسير فغضبوا غضباً شديداً وأخذوا يستفهمون ويتجسسون على من فعل  
هذا بالهتهم فقيل لهم إنه إبراهيم فأتوا به أمام ملكهم نمرود وشرعوا في محاكمته

قائلين له : « أنت فعلت هذا بأهتينا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون » . فأفهموه أنهم على بينة من عدم نطق تلك الاصنام فقط يريدون أن يستدلوا على من فعل بأهتهم هذا الفعل الشنيع كي يعاقبوه العقاب الشديد . فغضب عليهم ابراهيم غضباً شديداً ووبخهم على ما هم فيه من الغفلة بسبب عبادة ما ليس فيه عقل ولا فهم ولا ضرر ولا نفع قائلاً لهم : « أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » . فحاجوه في ذلك وبكتوه بما يؤخذ منه انهم يعبدون شيئاً مرئياً أما هو فلا يعبد الا خيالا تصورياً . فأورى لهم أن معبوده هو الله الذي يحيي ويميت . فقال له نمرود إني أحيي وأميت حيث أخرج امامه مسجوناً من سجنه فقتله وأخرج آخر فعفى عنه وأخلى سبيله . قال ابراهيم : « إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب » . فبهتوا جميعاً ألا انهم اعتبروا ما أتاه ابراهيم بأصنامهم فعلاً منكرأ يستحق عليه العقاب الشديد . لذلك تشاوروا في ما بينهم وأجمعوا أخيراً على أن يقتلوه حرقاً بالنار . ولأجل ذلك جمعوا الوقود من حطب وأخشاب وأضرموا فيها النيران فعلاً ليهيئها وتطير شررها وازدادوا وميضها وقوى سميرها ثم أخذوا ابراهيم أخذ عزيز مقتدر وألقوه فيها وكان الله قد نادى قائلاً : « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » . وما كان أقل من لمح البصر حتى خرج منها ابراهيم سالماً حيث لم تمسه تلك النيران بسوء . فاستغرب القوم هذا الامر واستعظموه فأمن به الكثير ونصروه وعززوه ثم أخذهم أخيراً مع ما يمتلك من الخيرات الكثيرة وصار يتنقل بهم من جهة لاخرى متجهاً نحو الجنوب ناشراً دعوته قصد هداية الناس والايمان بالله الواحد الاحد الى أن اعترضهم القحط وقتها فهجم عليهم بجيوش الجرارة وكان معه لوط ابن أخيه هاران فنزحوا الى البلاد المصرية التي كان ملكها في ذلك الوقت هو الفرعون ( طوطيس بن ماليا ) أحد ملوك الهيكسوس

وكان لآبراهيم زوجة بديعة الجمال رشيقة القد والاعتدال تدعى (سارة)  
 فسمع بها فرعون فأرسل واستقدمها اليه وأراد الاستحواذ عليها فحال بينهما الله  
 حيث حفظها منه بأن ردها فرعون الى آبراهيم بالثاني بعد أن زوّدها بالنعم  
 الكثيرة والخيرات العظيمة ووهبها جارية اسمها (هاجر) لتكون في خدمتها  
 على الدوام . ثم قام من مصر هو وهارون بن أخيه وأتباعهما ويمموا جميعاً نحو  
 أرض كنعان التي هي أرض الميعاد أو الأرض المقدسة المشهورة باسم فلسطين  
 ولما تكاثرت ذرية كل من آبراهيم ولوط عليهما السلام وانتشروا في أرض  
 كنعان بما حملوا وامتلكوا ضاقت بهم الأرض ذرعاً فكثر النزاع بين العشيرتين  
 — شأن الازدحام الذي تتأذى عنه المشاغبات والمخاصمات والمنازعات وكل ما يراه  
 الانسان من الفساد — حتى انتهى الامر بهم للاختصاص الا أنهم حسدوا المسألة  
 ودباً بانفصال كل بما يمتلك عن الآخر . فقطن لوط بعشيرته وممتلكاته في  
 الجهة الشرقية من بلاد كنعان التي كان أهلها أهل سوء وفساد حتى كانوا يأتون  
 الذكران من العالمين ويذرون ما خلق الله لهم من نساءهم اللاتي قاسين وقتها  
 ما قاسين من العذاب الاليم . فأرسل الله لهم لوطاً فوعظ فيهم بالخير ونهاهم عن  
 الشر فلم ينتهوا الى أن تضاعف وعظم ما كانوا فيه من الطغيان خصوصاً وانهم  
 قد ازدادوا شراهة في تلك الفاحشة التي ماسبقهم بها أحد من العالمين . اولئك  
 الذين كانوا يبالغون أربعاًة ألف نسمة تقريباً يسكنون تلك الجهة التي هي عبارة  
 عن خمس مدائن أشهرها (سدوم . وعموره . وقرية أخرى مكانها اليوم مدينة  
 نابلس) فلما ازدادوا طغياناً وازداد سخط الله عليهم أمطرهم الله حجارة  
 من سجيل فدمرت تلك القرى وجعلت عاليها سافلها وأهلك من فيها الا لوطاً  
 وبعضاً من أهله حيث أنجاهم الله أجمعين  
 أما آبراهيم فكان قد قطن بعشيرته وممتلكاته الكثيرة في الجهة الغربية من

بلاد كنعان ولم يرزقه الله بذرية حتي دخل في عشرة الثمانين وكذلك كانت  
 زوجته سارة مسنة أيضاً فخافت عليه أن يموت بهذه الحالة فوهبت له جاريتهما  
 هاجر عليه يأتي منها بولد يخلد له ذكره بعد الممات • فاجبى الله بعد ذلك وتمنى  
 منه أن يرزقه بولد يرثه في بيته وماله خشية أن يموت عقيماً فيرثه (اليغازر  
 الدمشقي) الذي ائتمنه فاختره وكيلاً عنه في كافة أشغاله الداخلية فسمع الله  
 نجواه وبلغه ماأتمناه حيث حملت منه هاجر ووضعت له ولداً سماه (اسماعيل)  
 نسبة الى السمع لان الله سمع نداءه فأعطاه ماأتمناه • فلما رأت سارة ماأتمناه هاجر  
 لحقتها الغيرة النسائية وتمكنت منها الاحزان الشديدة فبشرها الله باسحاق ومن  
 اسحاق يعقوب فقالت : « ياويلي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا  
 لشيء عجيب • • • فقيل لها - أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم  
 أهل البيت انه حميد مجيد • • لذلك قضى الله بتحقيق تلك الشئى فحملت  
 ووضعت مولوداً سمته (اسحاق) فعمل له والده مهرجناً عظيماً وكان عمره  
 وقت ذلك مائة سنة بالتمام

ولما كبر اسماعيل واسحاق كانا يتنازعا ويتخاصما على الدوام فضلاً  
 عن هاجر التي أنزلت سيدتها سارة منزلة أقل من منزلها الاولى بكثير • ذلك  
 ماأثار غضب سارة التي حملت زوجها على طردها مع انها قائلة : لاتساكننى  
 هاجر وابنها في بلد واحد • فأوحى الله لابراهيم أن يهاجر لمكة فساير بهما الى  
 أن وصل مكة وأسكنهما في نقطة هناك لازرع فيها ولا ماء • وقبل أن يتركهما  
 وصى الله عليهما قائلاً : « ربّ إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع  
 عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم  
 وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » • وودعهما بعد ذلك وفارقهما فانتهى  
 ماء الشرب الذي معهما فظما ظماً شديداً في تلك الجهة القاحلة • وكان اسماعيل

صغيراً فتركته أمه تحت ظلّ إحدى الأشجار يصرخ وهي تبكي وتنوح ولا تألث بينهما سوى الله سبحانه وتعالى الذي أنبع الماء كرامة لهما من عين هناك يقال لها (عين زمزم) وبارك فيه مباركة زائدة ألفت إليه أنظار قبيلة جرهم التي كانت بواد غير بعيد من مكة وكان سيدها وقت ذلك يدعى (مضاض بن عمرو) فتحولت تلك القبيلة لمكة واستوطنت فيها بعد أن استسححت هاجر في البقاء معها بمكة بدلاً من وحدتها فيها مع ابنها اسماعيل الذي لما أن مات والدته وحان وقت زواجه تزوج بنت مضاض سيد تلك القبيلة وأولدها اثني عشر ولداً

وكان إبراهيم من عهد أن فارق اسماعيل وهاجر يتردد عليهما دواماً إلى أن أتى مرة فعرض على اسماعيل أن يقيم بيتاً هناك يعبدون الله فيه فأطاعه ابنه وقاما مع بعضهما يشتغلان في ذلك البيت حتى أتاه فقال إبراهيم لاسماعيل : « أذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » فقام اسماعيل بما أمر خبر قيام إلى أن استمال ماحواليه من تلك القبائل فتغلب وساد عليها هو وأولاده الاثني عشر الذين تناسلت منهم الأمة العربية المشهورة التي منها صاحب الشريعة لاسلامية (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم

أما سارة زوجة إبراهيم فبعد أن تمت بترية ابنها اسحاق توفاها الله عن مائة وسبعة وعشرين سنة ودفنت بمدفن إبراهيم الذي أعده لنفسه بأرض كنعان بمدينة حبرون الموجودة بجوار القدس والمشهورة باسم (مدينة الخليل) نسبة لإبراهيم عليه السلام . فتزوج بعدها إبراهيم بأحدى بنات الكنعانيين وأولدها أولاداً كثيرين ثم أماته الله بعد أن بلغ من العمر مائة وخمساً وسبعين سنة ودفن في مدفنه المعلوم بعد أن ترك لابنه اسحاق كافة ما يمتلك

من عقار ودواب ومال وأوصى له من بعده فأرسله الله هداية القوم في ذلك الحين

﴿ اسحاق عليه السلام ﴾

وكان ابراهيم قبل وفاته شرع في زواج ابنة اسحاق فبعث اليعازر امين بيته الى مابين النهرين - أعنى الاراضى المحصورة بين نهري الدجلة والفرات - حيث كانت موطناً لايه وعشيرته ووائقه على ان ينتخب احدى بناتهم زوجة لابنه اسحاق • فلما قصدوها اليعازر ووصل ( حاران ) احدى بلاد تلك الاراضى وقع اختياره على ( رفقا بنت بتويل بن ناحور أخى ابراهيم ) حيث كانت أجمل فتيات قومها فخطبها اليعازر من والدها لاسحاق بن عم أبيها فقبل ثم امنت هى على هذا القبول فشيّعها أبوها الى كنعان فتلقاها اسحاق خارج المدينة واستلمها وأدخلها خباء والدته سارة حيث عاشا مع بعضهما عيشة الزوجين وسنه اذ ذاك حول الاربعين • ثم رزقه الله منها بولدين توأمين وهما ( عيص • ويعقوب المدعو اسرائيل الذى معناه بالسريانية مقاتل الله )

﴿ عيص ويعقوب ويوسف عليهم السلام ﴾

وتصادف ان الاول كان محبوباً عند أبيه اسحاق والثاني محبوباً عند أمه رفقا • ذلك الذى كان سبباً لوقوع الغيرة والحسد والبغض بينهما من إبان نشأتهما الى أن صارا رجلين كاملين فتطلع يعقوب لبكورية أخيه التى يريد أن ينتحلها لنفسه فاحتال عليه كثيراً حتى تنازل له عن البكورية ليرث أباه ويخلفه بعد مماته - ويظهر ان المقصود هنا بالبكورية هو ولاية العهد أو الخلافة - • ولما شاخ اسحاق وصار بصره كفيفاً واستشعر بقرب الأجل دعى ابنه المحبوب عنده وهو عيص وطلب منه أن يصنع له طعاماً من صيده ليدعو له ويباركه كما دعى له أبوه وباركه فى ماله وأولاده فانشرح لذلك عيص وانطلق للخلاء مستصحباً

معه عدّة الصيد والقنص الا ان والدتهما لما سمعت بذلك أسرع فأسرته لابنها يعقوب الذي أتى لها بمجدين من الماعز فهيأت منهما الطعام ثم أدخله يعقوب لايه بعد أن ألبس عليه الامر وأفهمه بأنه عيص فدخلت عليه الحيلة حيث كان كفيف البصر فأكل مريضاً وشرب هنيئاً ودعى له أخيراً وباركه ثم انصرف يعقوب فأتى عيص فعلم بمكر أخيه وانكشفت الحقيقة لوالدهما الا انه باركه أيضاً ولكن عيص سخط على أخيه يعقوب لانه سلب منه البكورية كرهاً ثم سبقه في البركة زوراً فأضر له الشر في نفسه حيث عزم على أن يقتله غيلة الا أن والدتهما لما أحست بذلك أشارت على يعقوب بالسفر الى عشيرة آبائه في حاران • وفعلوا سافر ونزل هناك على خاله (لابان) فمكث في خدمته أربعة عشر سنة كانت مهراً لزوجته بابنتيه (ليا - وراحيل) وكلتاها وهبت جارية من عندها ليعقوب الذي تسرى بهما ومكث بعد تلك المدة ستة سنين أخرى أعقب في بحرهما من تلك النساء اثني عشر ولداً وهم : رأوبين • وشمعون • ولاوى • ويهوذا • ودان • ونفتالي • وجاد • وأشير • ويساكر • وزبولون • ويوسف • وبنيامين • أولئك هم الذين صاروا أصول القبائل الاثني عشر الممهر عنهم بالاسباط الذين تناسل منهم بنو اسرائيل فكثرت نسلهم وتزايد خيرهم زيادة كثيرة كانت سبباً لتضاعف عبيدهم وخدمتهم وتوابعهم فعزم يعقوب على العودة لايه بأرض كنعان أملاً في ان يصفح عنه أخوه عيص • لذلك جمع عشيرته وبارح حاران ثم ارسل رسولا لايه اخبره بمجيئ يعقوب وعشيرته وكافة ما يمتلكه فقام عيص في الحال واستنصحب معه اربعمائة نفراً من عشيرته وخرج بهم جميعاً فتلاقيا الاخوان خارج المدينة وتماثقا ببعضهما وبكيا بكاء مرّاً من حرارة ما حلّ بهما من الفرح والسرور • ثم بعد ذلك تعاشرا في أرض واحدة حتى قضى الله على اييهما اسحاق بالوفاة وهو بالغ من العمر مائة وثمانين سنة ودفناه في مدفن

جدهما ابراهيم الموجود في حبرون • وكان عيص قد تزوج بنت عمه اسماعيل التي تدعى ( بسمة ) وأولدها هي وغيرها أولاداً كثيرين عاشوا في خيراته الى ان توفاه الله ولم نعلم عنه شيئاً يستحق الذكر اكثر مما أوضعهنا

اما يعقوب فاقتنى أثر أبيه وأخيه خصوصاً فيما كان يوحيه اليه الله مما فيه هداية الناس . وكان ابنه يوسف أصغر أولاده وذو خلقه جميلة وصفات جليلة حسن البرّة طيب السيرة صافي السريرة فأحبه أبوه حباً شديداً كان سبباً لحسد اخوته وغيرتهم منه . ذلك الذي استكنّ بقلوبهم حتى عند ما بلغ يوسف من العمر اثني عشر سنة رأى في منامه رؤيا فجاء أباه وقصها عليه قائلاً : « يا أبت إنني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » • فلما سمع منه ذلك خاف عليه من حسد الحاسدين خصوصاً من حسد إخوته اليه فجابه قائلاً : « يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين . وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم »

فخرج يوسف من أمام أبيه وقد غشيه ماغشيه من الفرح والسرور الذي أنساه ماوصاه به أبوه ففرط في تلك الرؤيا فعلم بها اخوته الآخرون قبل مجيئهم من خارج المدينة حيث كانوا يرعون الماشية . فأخذوا يفكرون في تلك الرؤيا ويؤوّلونها حتي اجمعوا أخيراً على ان الشمس عبارة عن أبيهم والقمر عبارة عن أمهم والكواكب عبارة عن أنفسهم وعلى هذا الترتيب سيسجدون له كمنطوق تلك الرؤيا فيصبحون عبيداً بين يديه فيتسلطن عليهم أجمعين . ذلك ما جعلهم يتقدون غيره وحسداً ويتآمرون عليه في السر والعلانية الى أن اتفقوا على التفريق بينه وبين أبيهم « اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أئنا منّا ونحن

عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين • اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه  
أيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين • قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه  
في غيابة الجب • يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين »

وكان يعقوب يخاف على يوسف خوفه على نفسه من فرط حبه إليه حتى  
وأنه من غلو • في ذلك ما كان يأتمن إخوته عليه عند ما يريدون أن يأخذوه معهم  
لرعاية الماشية خارج المدينة إلا أنهم لما تأمروا على يوسف واتفقوا على ما اتفقوا  
دخلوا بدهائشهم ومكرهم على أبيهم يعقوب واحتاطوا به ووسوسوا في آذانه عله  
ينباهم مرغوبهم وزادوه بقولهم : « يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وإنا له  
لناصحون • أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون • قال إني ليعجزني أن  
تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون • قالوا لئن أكله الذئب  
ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون »

وكان يوسف وقت ذلك قد شب وترعرع فتساهل يعقوب في المحافظة  
عليه تساهلاً أداه لاجابة طلب أولاده حيث صرح ليوسف بالخروج معهم فخرجوا  
به وهم يتظاهرون باكرامه والمحافظة عليه حتى بعد أن ابتعدوا عن المدينة  
شرعوا في اظهار ما كانوا يضمرون مبتدئين أولاً بضربه وتمنيبه ثم اتفق أغلبهم  
على قتله وهو بين أيديهم لا يدري له ذنباً أتاه ولا أنما اقترفه في دنياه حتى يستحق  
من إخوته ذلك العذاب الاليم • إلا أن الله هيأ له أحد إخوته المدعو يهوذا حيث  
عارضهم في قتله لانه كان وأنقهم في بادئ المؤامرة على أن لا يقتلوه فعدلوا عما  
اتفقوا واكتفوا بأن نزعوا عنه قميصه الذي كان لابسـه وأوثقوه كـتفاً ومالوا  
على بئر قديمة هناك فألقوه فيه إلا أنه كان بالصدفة خالياً من الماء ومن كل شيء  
مخيف • ثم بعد ذلك جاؤوا على قميصه بدم كذب حيث ذبحوا جدياً من الماعز  
ولوئذ بدمائه ذلك القميص واستصحبوه معهم للعودة به لابيهم في المدينة إلا أنه

في أثناء ذلك ما يشعرون الا وقد جاءت سيارة اسماعيلية فأرسلوا واردهم يأتيهم  
بالماء من ذلك البئر فأدلى دلوه فتعلق به يوسف وخرج معه فرآه صاحب الدلو  
فأنبهر من جماله الفائق فانطلق به مسروراً لاصحابه الذين فرحوا به فرحاً زائداً  
فأسرّوه بمضاعة عساهم ينالون بالأتجار به ربحاً عظيماً . الا ان يهوذا أخاه لما  
لاحظ ذلك قال لآخوته ما فائدتنا من أن نترك أخانا بهذه الصفة والذي أراه  
وأستحسنه أن نتطابق لأولئك الاسماعيليين ونبيعه اليهم فوافقوه على ذلك  
وقصدوهم جميعاً وأوروا لهم ان الذي اقتشاه من البئر هو عبد هارب منهم .  
وأخيراً اتفقوا على بيعه اليهم فشروه منهم بثمن بخس دراهم معدودة لا تزيد عن  
عشرين فضة حيث كانوا في بيعه من الزاهدين . ثم بعد ذلك عادوا للمدينة  
« وجأؤوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند  
متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » . فاندش أبوه  
من هذا النبأ اندهاشاً عظيماً جعله يمزق ثيابه وينوح عليه ويبكيه بكاء مراراً  
الليل واطراف النهار . ويظهر انه كان مستشعراً بهذا العمل الفظيع فحاجهم في  
تبليغهم ولما لم ير له بداً من الاستسلام للصبر قال لهم : « بل سألتم أنفسكم  
امراً فصبر جميل »

أما رجال تلك القافلة الاسماعيلية فبعد ان اشتروا يوسف من آخوته بذلك  
الثمن البخس وانطلقوا به فرحين مستبشرين بجماله وحسن خلقه واعتدال قوامه  
حتى وصلوا به مصر باعوه لعزیزها المسمى ( فوطيفار ) الذي كان وقتها أكبر  
رئيس في الدولة المصرية ولم يرزقه الله بأحد من الاولاد . الامر الذي جعله  
يعتنى بيوسف اعتناء زائداً حتى انه وصى امرأته عليه توصية شديدة فقال  
لها : « أكرمي مثواه عني أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » . وقد بارك الله في  
بيت العزيز فزادته نعمه وكثرت خيراته من عهد أن اشترى يوسف حيث كان

سبباً قوياً لمحبه محبة أفضت لتصميمه على توكيله عنه في بيته وماله حتى عند ما بلغ رشده سلمه زمام أموره الداخلية فتضاعفت النعم والخيرات على يديه مضاعفة لم يسبق لها مثيل

على أن حب العزيز فضلاً عن كونه كان حباً شريفاً فإنه لم يكن شيئاً مذكوراً في جانب ما استكن بفؤاد راعيل امرأته من غرامها وهيامها بيوسف الذي لما أن شغفها حباً أخذت في الاحتيال عليه بشباك جهالها وصنوف دلالها وسهام لحاظها كي تقتنصه فتقضي منه وتراً بهيمياً إلا أن ذلك لم يجدها نفعاً فذهب تعبها أدراج الرياح حيث أعرض عنها وكان في مادعته اليه من الزاهدين إلى أن اختلت به يوماً من الأيام « وراودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك • قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي أنه لا يفتح الظالمون • ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » فامتنع عنها وأراد الهرج حياء من الفضيلة وتخلصاً من الرذيلة

ويظهر أنها كانت قابضة بيديها على ثيابه وهي تبكي بين يديه بكاء الشكوى شاكية له ما انتابها من حبه الذي استرعى فؤادها واغتال لبها وامتلأ قلبها ولكن ذلك لم يرق في عينيه فذهب تعبها سدى فأفضى الأمر بينهما لأن تغالبا وتشاددا فتجاريا وراء بعضهما إلى أن « استبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب » • فابتدرته بما يفيد أن يوسف لما رآها بمفردها أراد بها سوءاً وزادته بقولها • « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » • ذلك الذي اندهش منه العزيز اندهاشاً زائداً وأخذ في مباشرة التحقيق بنفسه إلا أن يوسف أوري أنها راودته عن نفسه وأكرهته على هذا المنكر فأبى واستعصم أما هي فادعت أن يوسف أراد بها سوءاً كان سيلحقها لولا أن دخل عليهما العزيز • ذلك الذي أوجد ارتباكاً في المسألة

فاحتاج الأمر للتحكيم بينهما فأناط ذلك بأحد أقاربها الذي قيل في بعض الروايات انه ابن عمها حيث بعد أن تفكر في المسألة طويلاً قال : « إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين • وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين »

ولما أن كان القميص قد من دبر نظراً لكونه لما رأى برهان ربه وامتنع عنها قام هارباً يريد الباب الا انه كلما كان بهم بذلك ويجرى من بين يديها هي تنهض وراءه وتقبض على مؤخر ثيابه حتى بالصدفة تعلقت بقميصه أثناء اهتمامه بالخروج فقدمته من الخلف فثبت اليهم أنها هي الجانية وهو البريء الا أن العزيز أراد أن يتساهل معهما تساهلاً يحفظ كرامته ولا يجعل عرضه مضطراً في الافواه فمطف على يوسف وقال له : « يوسف أعرض عن هذا » ولا تذكره على لسانك مادمت حياً • ثم نظر لامرأته وقال لها : « إنه من كيدكن » إن كيدكن عظيم • استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين • وعلى هذا انتهى الامر وانفض الاشكال الا ان الاحتراس الذي أتاه العزيز لم يجرد نفعاً حيث أن هذه المسألة ما لبثت ان تناقلتها الألسنة فصارت حديث القوم بل حديث النساء في بيوتهن ومجتمعاتهن على الخصوص حتى قال بعض نسوة المدينة إن « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً انالزها في ضلال مبين • فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكاً » يجلس عليه ثم وضعت أمامهن فأكهت وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وأوعزت ليوسف أن يخرج عليهن أثناء الأكل فأطاع الأمر وخرج فلما رأيته أكبرنه وقطعن ايديهن وقان حاش لله ما هذا بشراً إن هذا الا ملك كريم • فنظرت اليهن امرأة العزيز وهي منشرة الصدر مسرورة القلب والفؤاد وقالت لهن • « فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودتني عن نفسه فاستعصم »

وقد قيل بأن امرأة العزيز كانت حيلة الصورة حديثة السن متحقة من علو منزلتها لدى زوجها فلم تكترث بما اقترفته أولاً بل عاودت يوسف وألحت عليه مراراً كثيرة عساه يلين اليها فيشفي غليلها ويطلق لحيها غير انه ازداد تنمناً وكان عنها من المعرضين « فتوعدته بالسوء وهددته بقولها « لئن لم تفعل ما أمرك به لتسجنن ولتكونن من الصاغرين » . ولكن يوسف تمادى في الاعراض عنها وأورى لها أن السجن أحب اليه مما تدعوه فضاق في وجهها القضاء وانقطع منها الرجاء فعمدت للايعة به لدى العزيز إيقاعاً غير خاطره وأثار غضبه حتى ألقى يوسف في السجن وهو من المظلومين

وقد كان ملك مصر في ذلك الوقت ( أبوفيس ) المشهور في التواريخ العربية باسم ( الريان بن الوليد ) وهو من العماقة المشهورين بالهيكسوس . ويظهر أن الأمة المصرية قد تألبت عليه وقت ذلك فتآمرت على قتله فتبالغ اليه أن رئيس شرابه ورئيس طعامهما من ضمن المتآمرين فزجها في السجن فاجتمع به يوسف فلقياه على صلاح عظيم وذكاء مفرط وبهاة زائدة . وتصادف أن كلاهما رأى رؤيا في منامه « فقال أحدهما ليوسف إني أراي أعصر خمراً وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً يأكل الطير منه نبئنا بتأويله إن أراك من المحسنين - فقال لهما - أما أحدكما فيسقى ربه خمراً أما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه » وزادهما بأن ذلك سيحصل بعد ثلاثة أيام حيث تحقق التعبير بعد الأيام المذكورة بأن صلب الملك ورئيس طعامه وعفي عن رئيس شرابه واعاده كما كان

وكان يوسف عقب التعبير تطالب من الذي ظن أنه ناجٍ منهما أن يذكره عند ربه فيكون سبباً للعفو عنه في مستقبل الأيام إلا أن الشيطان أنساه ذلك فلبث في السجن بضع سنين إلى أن رأى فرعون مصر في منامه رؤيا هائلة أزعجته وشغلته فاستجمع كهنة الدواة والعرافين في ذلك الوقت وعرض عليهم رؤياه فخاروا فيها حيرة عظيمة حتى أنهم لما عجزوا عن التفسير « قالوا أضغاث أحلام

وما من بتأويل الاحلام بهالمين » • فقد كر رئيس شرابه ما حصل بينه وبين يوسف في السجن فأخبر عنه فرعون الذي أمره بمقابله فانطلق اليه يسي وقال له : « يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات - فأفتنا يوسف بقوله - زرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلاً مما تأكلون • ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن الا قليلاً مما تحصنون • ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » • فلما سمع رئيس شراب الملك هذا التعبير عاد للملك وأخبره به حيث وقع لديه موقع القبول فأرسل يستقدمه اليه فأبى وقال للرسول : « ارجع الى ربك فإله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن » إن بي بكيدهن » عليهم • فعاد الرسول وأخبره بذلك بعد أن قص عليه حكاية النسوة التي قطعن أيديهن افتتاناً بجماله فأمر الملك باحضارهن امامه فحضرن فقال لهن : « ما خطبكن » اذ راودتن يوسف عن نفسه • قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء » غير ان امرأة العزيز أخبرتنا أنهاراودته عن نفسه فأبى واستعصم وكان للعفة والشرف الحافظ الأمين • فأبى بأمرأة العزيز واستجوبها فقالت : « الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانهمن الصادقين » فتحقق الملك من براءة يوسف فأخرجه فوراً من السجن وعمره وقت ذلك ثلاثون سنة • ولما حضر بين يديه قال له : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » • ثم أخذنا يتحدثن في أمر القحط الذي أشارت اليه تلك الرؤيا وما يلزم من الاحتياطات حتى أخيراً تشاور مع كبار دولته على ان يولى يوسف خزائن بلاده نظراً لما آتته فيه من التقوى والصلاح والآراء العالية والافكار السديدة التي لو سارت عليها الدولة لأمنت شر القحط المنتظر • فقرّر القرار أخيراً على مارآه الملك وسجاءوا بيوسف واحتفلوا به احتفالاً عظيماً حيث ألبسه فرعون

مصر خاتم الملك وجعله أميناً على مصر وحافظاً لخزائنها ومديراً لماليتها ثم زوجه الملك فتاة تدعى (أسنات) وهى بنت (فوطى فارغ) الذى كان أكبر رئيس ديني فى مملكته فقام يوسف بما نيظ به خير قيام الى أن هجم عليهم القحط بجيوشه الجرارة فدبر شؤون الرعية تدبيراً جعلهم أسعد حالاً وأهنأ عيشة من غيرهم الموجودين بكافة الاقطار

وكان القحط قد سرى فى البلاد حتى عمّ بلاد كنعان التى يقطنها الاسرائيليون مع أبيهم يعقوب حيث لما علموا بما فى مصر من الخيرات الكثيرة أعطى يعقوب مالا لعشرة من أولاده وأرسلهم اليها ليبتاعوا قمحاً دون أن يكون معهم ولد الحادى عشر المسمى بنيامين شقيق يوسف الصديق . ولما وصلوا مصر وتمثلوا بين يدى يوسف الصديق تأملهم فعرّفهم وهم له جاھلون فعاملهم معاملة قاسية ثم نسبهم للجاسوسية وخيانة الدولة فارتبكوا فى أمرهم ولم يعلموا كيف يدافعون عن أنفسهم الا بذكر حالهم حيث أخبروه بأنهم كانوا اثني عشر ولداً لرجل من بلاد الشام فقضى الله على أجددهم بالهلاك وكان أحبهم لأبيهم والثانى موجود ببلادهم وهو أصغرهم سناً وأحبهم الآن لوالدهم وما جاؤوا مصر الا ليمتاروا طعاماً لهم ولعشيرتهم . ذلك الذى علم منه يوسف أن أباه لم يزل على قيد الحياة وأن أخاهم الذى ببلادهم هو شقيقه بنيامين فضغط على نفسه ولم يظهر لهم شيئاً من التأثير الذى كان متمكناً منه وقت ذلك بل داوم على معاملته الأولى فأودعهم السجن ثلاثة أيام ثم أحضرهم وطلب منهم أن يأتوه بأخيه بنيامين قائلاً لهم : « إن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقرّبون . قالوا سنراود عنه أبانا وإنا لنفاعلون » . قال اجعلوا أحداً منكم عندى رهينة تضمن لى ماتقولون فتركوا عنده أحدهم ثم جهزهم يوسف بجهازهم « وقال لفتيانہ اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون » . ثم بعد ذلك انطلقوا الى أهلهم يتذكرون ملاقوه وقاسوه حتى دخلوا على أبيهم يعقوب

فأخبروه بما لا قوه في مصر من الخيرات الكثيرة وقالوا كرام الزائد من لدن عزيز مصر الذي ارتهن أحدهم ليعود إليه بأخيهم بنيامين فيجندل عظامهم ويضاعف ما هم إليه محتاجون . فاستاء يسقوب من ذلك وخاف على أخيهما الثاني ولم يجب طلبهم خوفاً على بنيامين مما حلّ بأخيهم يوسف الصديق . « واما فتحوها متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم . قالوا يا أبانا ما نبني هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أعلنا ونحفظ أئمانا ونزداد كيل بعير . قال لن أرسله معكم حتى تأتوني موثقاً من الله لتأثني به الا أن يحاط بكم » . فلما آتوه موثقهم سلمه إليهم وقال لهم ارا الله على ما نقول وكيل . ثم أوصاهم على أنفسهم خوفاً عليهم من الحسد قائلاً لهم : « يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة » . ثم بعد ذلك أخذوا أخاهم بنيامين وساروا به إلى أن وصلوا مصر وعملوا بوصاية أبيهم . ولما دخلوا إلى يوسف آوى إليه أخوه بنيامين فلقاء وقال له سرّاً : « إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » وأشار عليه بكتان هذا السر حتى يفعل الله ما يريد . ثم بعد أن ذبح لهم الذبائح وأولم الولائم واكرم مثواهم في داره إكراماً زائداً أعد لهم رحالهم وأعطاهم أضياف ما يحتاجون من طعام وغلال وماشية بعد أن كاد لهم كيداً بأن أمر بوضع السقاية في رحل أخيه بنيامين حتى إذا ما لبثوا قليلاً عن المدينة الا وقد أرسل يوسف وراءهم رسلاً أخبروهم بأن سقاية العزيز المدة لشرا به قد فقدت وزادوهم انهم هم السارقون ثم أخذوا يسترجعونهم إلى حيث كانوا موجودين . « قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين » قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين » وعقب ذلك حصل التفتيش على كافة أمتعتهم ابتداء من كبيرهم إلى صغيرهم بنيامين الذي كانت السقاية في رحله فأنذهلوا لذلك ذهولاً عظيماً حتى مزقوا ثيابهم وندبوا سوء حظهم

خصوصاً لما رأوا السارق هو أخوهم الصغير الذي لم ير له يوسف عقاباً سوى  
 أن يأخذه منهم ويحجزه لديه ويأمرهم بالعودة الى بلادهم محرومين جميعاً من  
 بنيامين . فتضرعوا اليه وتذلّلوا بين يديه قائلين : « يا أيها العزيز إن له أباً  
 شيخاً كبيراً نخذ أحداً مكانه إننا نراه من المحسنين . قال : ماذا الله أن تأخذوا  
 من وجدنا متاعنا عنده » ولو جاريناكم على ما تطلبون لصرنا إذاً من الظالمين  
 ولما استئشسوا منه وأرادوا الرجوع لبلادهم بدون أخيهم بنيامين » قال  
 كبيرهم ألم تعلموا أن أباًكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله . ارجعوا الى أبيكم  
 فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين - أما  
 أنا - فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .  
 فتركوه وساروا ببضاعتهم لابيهم ثم قصوا عليه ملاقوه وما حلّ بهم أجمعين .  
 فتكاثرت أحزانه وتذكر في الحال يوسف فازداد عليه تأسفاً وابيضت عيناه  
 من الحزن فقال له بنوه : « نالله تفناً تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو  
 تكون من الهالكين - فقال لهم أبوهم - إنما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم  
 من الله ما لا تعلمون » وأخيراً لما ازداد الامر على يعقوب قال لبنيه :  
 « يا بني اذهبوا فتجسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله انه  
 لا يئس من روح الله الا القوم الكافرون » فأطاعوه وساروا للبلاد المصرية  
 وهم مرتاجون في أمر العزيز حيث ظنوه يوسف وكانوا بذلك مستشعرين الى  
 أن دخلوا عليه وبجانبه بنيامين قالوا : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر  
 وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين -  
 فنظر اليهم وعرفهم وقال لهم - هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم  
 جاهلون » فانتبهوا لذلك وأخذوا يتفرسون فيه تفرساً زائداً ويسألونه سؤال  
 الجاهل العارف عما إذا كان هو يوسف أم غيره - شأن الانسان عند ما يلتبس  
 عليه الامر فيتردد بين الشك واليقين - الا أن يوسف لم يتألك من نفسه لانه

تأثر تأثيراً شديداً الى أن غلب عليه البكاء فاختل بهم جميعاً وخاطبهم قائلاً :  
 « أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع  
 أجر المحسنين » . فوقعوا بين يديه جاثين معتندين عما فعلوه به فى بادئ الامر  
 « وقالوا : نال الله لقد آثرك الله علينا وان كنا خاطئين » . قال لا تريب عليكم  
 اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »

ثم بعد ذلك أخذوا يتصاحفون جميعاً ويبيكون من فرط ما هم فيه من السرور  
 خصوصاً وان يوسف قد انكب على شقيقه بنيامين بالتقبيل والمعانقة الطويلة  
 التي مضاهما فى بكاء ونحيب بسبب ما كان لديه من كثرة الاشتياق والحنان العظيم .  
 وبعد أن انتهوا من ذلك أخذ يوسف يستعلم عن أبيه وعشيرته فأفتوه عن الحالة  
 بالتفصيل وزادوه بأن أباهم فى كدر عظيم وهم طویل حتى ابيضت عيانه من  
 الحزن فأعطاهم يوسف كثيراً من المال والطعام والملابس والمناشية خصوصاً  
 بنيامين الذى اختص بالشئ الكثير هدية منه لأوالدين . ثم أمرهم جميعاً  
 بالعودة لبلادهم وقال لهم : « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت  
 بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين »

ويظهر ان يعقوب كان مستشعراً بحياة يوسف حيث كان يقول دواماً  
 لبنيه : « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندبن » . الا أنهم ما كانوا  
 يصدقونه وقت ذلك حتى عادوا اليه بالقميص فألقوه على وجه أبيهم فارتدّ  
 بصيراً من شدة الفرح والسرور فقال لهم : « ألم أقل لكم أنى أعلم من الله  
 ما لا تعلمون - فصاح بنوه - يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » . قال  
 سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم »

ثم عقب ذلك أخذوا يستعدون لرحيل فجمعوا شتاتهم من رجال ونساء  
 وأولاد ومال ومواشى وكل ما يمتلكون وقاموا قومة واحدة وارتحلوا عن بلاد

كنعان الى أن وصلوا مصر فاستقبلهم يوسف استقبالا عظيماً حتى وان فرعون  
 مصر لما علم بذلك زادهم اكراماً فأقطعهم وادي غسان ( وهو المعروف الآن  
 بالوادي الكائن على حدود مديرية الشرقية ) الذي بعد ما استوطنوه مات  
 يعقوب عن مائة وسبعة وأربعين سنة فدفنوه في حبرون مع أبيه اسحاق وجده  
 ابراهيم . وبعد ذلك عاش الاسرائيليون في عهد يوسف عيشة هنية حتى توفاه  
 الله عن مائة وعشرة سنين . ثم لبثوا بأرض مصر يتناسلون مسافة  
 ٤٣٠ سنة حتى كبر عددهم وازدادوا زيادة عظيمة تساعدهم على أن يجمعوا  
 وقت الضرورة ما يزيد عن ستمائة ألف رجل من حملة السلاح . ذلك ما جعل  
 دولة الفراعنة تخشى بأسهم فضلاً عما بين الفريقين من الميائات الظاهرة  
 والاختلافات الكثيرة في الديانة والمذاهب والمشارب والامادات حيث كان  
 المصريون حضريين يعبدون الاوثان أما الاسرائيليون فكانوا بدويين يربون  
 الماشية ولا يعبدون الا الهاً واحداً غير منظور . فاضطهدوهم اضطهاداً زائداً  
 حتى استخدموهم في بناء مدينتي ( رمسيس . ويتون ) وفي تشييد كافة الممارات  
 الفخيمة والابنية الشاهقة المظيمة التي كانت البلاد المصرية قد امتلأت بها ولم  
 تزل آثارها باقية للآن تزيدنا مجدداً على مجد بين الانام . وعلى العموم فان المصريين  
 قد استعبدوهم وحملوهم مالا يطاق من الظلم والجور والاعتساف حتى من سوء  
 حظهم ان منفتح الاول بن رمسيس الثاني الذي كان فرعون مصر في ذلك الوقت  
 رأى في منامه ناراً أقبلت عليه من جهة بلاد كنعان فأحرقت كافة المصريين  
 ماعدا العبرانيين وهم بنو اسرائيل فاستجمع لديه الكهنة والعرافين واستفتاهم  
 عن رؤياه فقالوا له سيأتينا رجل من تلك البلاد فيملك المصريين . ذلك الذي  
 أوقع الخوف والرعب في نفس فرعون المذكور فازدادت شدته وقساوته على  
 الاسرائيليين وجعلهم شعباً كلما استضعف منهم طائفة يأتي فيها كل منكر ورذيلة

حتى وإنه كان يذبح أبناءها ويستحيي نساءها فضلاً عما أمر به وقتها من ذبح كل مولود يولد لبنى إسرائيل حتى قتل تسعين ألف ألف طفل  
 ﴿موسى عليه السلام﴾

وتصادف أن إحدى الإسرائيليات من بيت لاي حملت ووضعت ولداً  
 جميلاً وبينما هي في استعداد بحبه إذ ألهمها الله بقوله : « أرضع به فإذا خفت  
 عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » .  
 فتشجعت أمه بذلك وأرضعته ثلاثة أشهر معدودات الى أن خافت عليه  
 فاستقدمت نجاراً صنع لها تابوتاً صغيراً من الخيزران وضعت فيه ثم ألقته في البحر  
 وقالت لأخته مريم : « قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون » .  
 فأخذ الموج يلعب بالتابوت حيث كان تارة يرفعه وأخرى يخفضه الى أن أدخله  
 في نيات من الحلفاء عند قصر فرعون مصر

وتصادف وقتها خروج بنته وجواربها يغتسلن من مياه النيل بالقرب من  
 ذلك النبات فلمحن التابوت فأخذنه ظناً انه مملوء مالا وحملنه لآسية زوجة  
 فرعون ففتشته فإذا فيه ذلك المولود الجميل فأشفقت عليه وسمته موسى الذي  
 معناه ( المنجي من الماء ) ثم قالت لزوجها : « قرّ عين لي ولك لا تقتلوه عسى  
 أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » فوافقها على ذلك وأخذوا يرودون له المراضع اللاتي  
 حضرن له فأبى أن يرضع منهن . ولما كانت أخته مريم تتبعه وعلمت محل  
 وجوده توصلت للدخول في سراي الملك فرأت مالتاه موسى بالمراضع فقالت لهم :  
 « هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » . فأجابوها لذلك  
 فأنطلقت الى أمها وأخبرتها الخبر فجاءت معها وأعطت ثديها لموسى فالتقمه منها  
 ورضع . قال تعالى : « فرددناه الى أمه كي ترضع عينيها ولا تحزن . ولتسلم أن  
 وعد الله حق »

ومن ذلك الوقت اتخذ فرعون ولداً له فنشأ وترى في بيت الفراعنة حيث كان يركب مركب فرعون • ويلبس لبس فرعون • ويورى انه ابن فرعون • الى أن بلغ أشده واستوى آتاه الله فهماً واسماً وفكراً عالياً فتلقن كافة العلوم اللاهوتية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت بين المصريين • وتصادف انه خرج يوماً وهو في عنفوان شبابه فرآى رجلاً مصرياً يتشاحن مع آخر من شيعته فأراد أن يصالح ذات البين فأبى المصري ذلك فاستاء منه موسى ونظر يمنة ويسرة فلم ير أمامه رقيباً فتقدم نحو المصري ووكزه ببلع يمينه ففضى عليه ثم دفعه في الرمال الا انه « أصبح في المدينة خائفاً يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستهرخه • قال له موسى إنك لغوى مبين • فلما أن أراد ان يبطش بالذى هو عدو لما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالامس إن تريد الا أن تكون جباراً في الارض وما تريد أن تكون من الصالحين » • فتحوّل عنه موسى إتهاماً للفتنة غير أن ذلك العدو ذهب فأفشى ما أتاه موسى فانتشر امره بين المصريين الى أن علم بذلك فرعون فأمر لوقتها بالقبض عليه وإحضاره بين يديه الا انه قبل ذلك جاءه « رجل من أقصى المدينة يسعى • قال يا موسى إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين » • فخرج موسى من المدينة خائفاً يترقب على نفسه حتى وصل أرض مدين ببلاد العرب فنزل ضيفاً على شيخ من كبار الرجال كان يدعى ( يثرون ) وهو المعلوم عند المسلمين باسم شعيب عليه السلام حيث مكث في خدمته اربعين سنة بالتمام وكان لشعيب بنتان احدهما اسمها ( صفورة ) احبت موسى فاخترته بعللاً لها فقالت لوالدها : « يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الامين » • فوافقه أبوها على ما طلبت حيث فاتح موسى في ذلك فقبل أن تكون خدمته اليه مهرألزواجه بها • ولما انتهى الامر على ذلك كانت زوجته أعطته عصاً يرفع

بها الماشية فلما تجلى له المولى سبحانه وتعالى وهبه مالم يهبه لاحد من قبله حيث  
 آتاه المعجزات البينات ثم أمره أن يبرح بلاد كنعان ويتوجه للبلاد المصرية  
 ويتحد مع أخ له اكبر منه اسمه (هارون) فينقذا بني اسرائيل مما هم فيه من  
 الاستعباد والظلم المبين . لذلك سار موسى الى مصر حتي وصلها والتقى بأخيه  
 هارون فقص عليه الخبر فشجعه على ذلك وتضافرا على إنقاذ الاسرائيليين من  
 ظلم المصريين فاستقدا أولاً كافة الشيوخ وأنبأهم موسى بما هنالك مثبتاً دعوته  
 بما أظهره أمامهم من المعجزات التي علمها الله اليه فاحتاطوا به وآمنوا برسالته  
 وضعوا أنفسهم في سبيل مساعدته مهما كلفهم ذلك من الشقاء والعناء . لذلك  
 انطلق موسى وهارون الى فرعون فالتقيا به فسأطها عن أمرهما فأنبأ موسى  
 برسالته فنظر اليه فرعون وتمعنه فمرقه فقال له : « ألم تربك فينا وليداً  
 ولبت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فست وأنت من الكافرين . قال  
 فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني  
 من المرسلين - فقال له فرعون - إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من  
 الصادقين . فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هي بيضاء  
 للناظرين » . فاستغرب فرعون من ذلك وكافة من كان بمجلسه الذين عاهدوا  
 ما أتاه موسى ضرباً من السحر . لذلك اقترحوا عليه أن يبعث في المداائن لياثوه  
 بكل سحار عليم فأمر فرعون ان تجتمع السحرة في موعد ضربه للجميع كي  
 يتناظروا مع موسى ساحر الاسرائيليين . فلما أتى الموعد المضروب وتواردت  
 السحرة من كل مكان جمع فرعون أشراف مملكته وبعد أن صنف السحرة  
 أمامهم صنفين « قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال  
 بل ألقوا فاذا حباهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه  
 خيفة - فناداه الله - لا تخف إنا أنى الاعلى . وألقى ما في يمينك تلقف

ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يَفْأَاحُ السَّاحِرِ حَيْثُ أَتَى»

فَإِذَا أَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُنْقَلَقٌ مَا الْقُوا فَأَنْدَهِشَ السَّحَرَةَ مِنْ ذَلِكَ وَتَحَقَّقُوا أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِسِحْرٍ وَإِنَّمَا هُوَ مَعْجَزَةٌ مِنَ الْمَعِجَزَاتِ الَّتِي خَصَّهَا اللَّهُ بِمُوسَى فَسَجَدُوا إِلَيْهِ وَآمَنُوا بِهِ أَجْمَعِينَ • فَاعْتَظَ لَذَلِكَ فِرْعَوْنُ وَافْتَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ اتِّفَاقًا بَيْنَهُمْ جَمِيعًا فَقَالَ لِلْسَّحَرَةِ : « آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُمْ أَنَّهُ لَكَبِيرٌ كَمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ • فَلَا تُقْطِعْ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ • وَلَا أَصَابِنَكُمْ فِي جَنْبِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى » • إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِعُوا لَهُ نِدَاءً وَلَا زَجْرًا وَصَابُوا مِنْهُ أَنْ يَقْضَى بِهِمْ مَا هُوَ قَاضٍ حَيْثُ انْتَهَى أَمْرُهُمْ فَأَمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ففَعَلَ بِهِمْ فِرْعَوْنُ مَا تَوَعَّدُهُمْ بِهِ حَتَّى أَمَاتَهُمْ أَجْمَعِينَ

وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ أَخَذَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ مُوسَى زُرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا وَمُوسَى مُتَابِرٌ عَلَى هِدَايَةِ الْقَوْمِ أَجْمَعِينَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَهَاجِرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ حَيْثُ خَرَجُوا جَمِيعًا وَالرَّاكِبُونَ مِنْهُمْ يَنْوَفُونَ عَنِ السَّمَاءِ أَلْفَ رَاكِبٍ بِخِلَافِ الْأَوْلَادِ إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ صَعِبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَفِعُ بِهِمْ خُصُوصًا فِي السَّخْرَةِ وَتَشْيِيدِ الْعِمَارَاتِ فَقَامَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَاقْتَفَى أُرْهُمَ مَجْدًا فِي الْمَسِيرِ عَلَيْهِ يَمِيدُهُمْ لِبِلَادِهِ • فَلَمَّا تَرَاى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ يَا مُوسَى أَوْدَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا • • فَقَالَ لَهُمْ كَلَّا فَإِنْ رُبَّمَا مَعْصَا سَيِّدِنَا وَيَنْجِينَا مِنْ أَوْلَائِكَ الظَّالِمِينَ

وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى الْبَحْرَ - الَّذِي هُوَ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ بِاتِّفَاقِ أَغْيَابِ الْمُؤَرِّخِينَ - احْتَاظَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ خَلْفَهُمْ وَعَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ فَضْرَبَ مُوسَى الْبَحْرَ بِعَصَاهُ فَانْفَلَقَ فَسَبَّوهُ جَمِيعًا بِسَلَامٍ آمَنِينَ فَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَاجُ انْطِبَاقًا أَغْرَقَهُمْ أَجْمَعِينَ • وَبَعْدَ ذَلِكَ سَارَ مُوسَى مَعَ قَوْمِهِ قَاصِدِينَ بِلَادَهُمُ الْأَصْلِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ أَخَذُوا يَحَاجُّونَهُ أَثْنَاءَ الْمَسِيرِ وَيَغْلُظُونَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَيُخْرِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ وَيَعَادُونَهُ حَتَّى قَضَى اللَّهُ

عليهم بالتيه فكثروا في الطريق أربعين سنة بالنمام . وفي أثناء تلك المدة كان موسى آمناً على نفسه وقومه أثناء سيره حتى وصل جبل الطور فأخذ في تبليغ رسالته مبتدئاً بالأوامر العشرة الإلهية التي هي عبارة عن عشرة مواد أصلية مشتملة على الأركان الأساسية التي أبنى عليها ذلك الدين نذكرها كالاتي :

١ - إني أنا الله ربكم فلا تتخذوا لكم إلهاً غيري ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقاً لتعبدوها أو لتخدموها من دوني

٢ - لا تخافوا باسم الله ربكم باطلاً

٣ - تملأون مدة ستة أيام وتستريحون في السابع

٤ - أكرموا والديكم يطل عمركم

٥ - لا تقتلوا أحداً

٦ - لا تزنا أبداً

٧ - لا تسرقوا

٨ - لا تشهدوا بالباطل على رجالكم

٩ - لا تشتهوا امرأة جاركم

١٠ - ولا تشتهوا داره أو خادمه وخدامته ولا ثوره وحماره ولا شيئاً مملوكاً له مطلقاً

هذه هي الوصايا الأولى التي جمعت فأوعت من الحكم العالية والاصلاحات الضرورية للإنسان . ثم بعد ذلك سار في التبليغ حينئذ حتى أتم دعوته التي كانت وقتها أحسن دعوة ظهرت على سطح الارض لأنها أتت بما كان يغيب عن فكر اليبس في ذلك الوقت . وفي أثناء ذلك توفي هارون على جبل ( هور ) بعد أن بلغ من العمر مائة وثلاثة وعشرين سنة . ثم لما وصل موسى وقومه أرض ( مواب ) الكائنة في الشمال الشرقي من بحيرة لوط توفاه الله على جبل ( نيبو )

المشهور بين جبال فلسطين بجبل العطار بعد أن عاش مائة وعشرين سنة قضى  
ثانيها في عبادة الله وخدمة الناس أجمعين خصوصاً بني إسرائيل الذين بكوه  
ثلاثين يوماً حداداً عليه وكان دفنه سنة ١٥٨٥ قبل الميلاد  
✽ يوشع عليه السلام ✽

وقبل أن يموت موسى أقام مقامه رجل من قومه يدعى يوشع بن نون فأوحى  
الله إليه أن يسير بني إسرائيل للاستيلاء على بلاد كنعان التي كانت محكومة  
في ذلك الوقت بجملة قبائل من بني كنعان بن حام بن نوح تحت رئاسة كثير  
من الملوك الذين استبدوا بالملك فانتشر الفسق والفجور في كافة البلاد وصاروا  
فوضى بسبب ما داخلهم من العداوة والشقاق ولكنهم لما رأوا الأسرائيليين  
يريدون اغتيالهم اتحدوا أخيراً مع بعض وصاروا عصابة واحدة إلا أن يوشع  
المذكور كان حازماً لأموره مدبراً لقومه ساعياً في الإصلاح ما استطاع حتى  
وأنه لما رأى ما هم عليه أولئك من البغي والطغيان عبر بقومه نهر الأردن  
واستولى عنوة على ( أريحاء ) وغيرها من المدن الكثيرة بعد أن أبلى بأهلها  
بلاء حسناً ماعدا مدينة ( جبيون ) حيث سلمت نفسها إلى يوشع دون أن تسفك  
الدماء إلا أن أولئك الملوك همدوا عليها فأتوها وحاصروها وجاء يوشع فجهماها  
منهم • وقيل أنه في حادثة هذه المدينة كانت حادثة توقيف الشمس ليوشع عليه  
السلام المشار إليها في قول أبي تمام :

فردت علينا الشمس والليل راغم \* بشمس لهم من جانب الخدر تطاع  
فوالله ما أدري أأحلام نائم \* أملت بنائم كان في الركب يوشع  
وعلى هذا المنوال سار يوشع وقومه حتى استولوا على كافة بلاد كنعان  
وهزم ملوكها البالغين خمسة وثلاثين ملكاً غير بعض قبائل تحصنت في الجبال  
وأخذت تناوش الأسرائيليين حتى أيام داود وعليه السلام

أما يوشع فبعد أن استولى على صوم بلاد كنعان قسمها على الأسباط  
الاثني عشر الذين استوطنوها بقبائلهم ثم أخذ هو ينظر في شؤون الدولة فنظم  
الإدارة وأنشأ المحاكم ونصب القضاة والحكام ووقن لهم القوانين وأصدر الأوامر  
والمشورات فأصبح الدولة والناس أجمعين ثم توفاه الله أخيراً بعد أن عاش مائة  
وعشرة سنة. • ولكن قضى الله على دولة الأسرائيليين بعد موته بالمنازعات  
والخصومات والتفرقة إلى أن انتهى أمرهم بالجزء والانقسام فاختلفت أحوالهم  
وتشعبت مشاربهم لولا أن مشايخهم المتفقيين الذين كانوا من صحب موسى ويوشع  
قد تداركوا الأمر بأن أوجدوا مجالس يعقدونها ومحاضر يحضرونها في كل  
سبط من تلك الأسباط فينظرون في أمور الرعية ويتشاورون في مصالح كل  
قبيلة دون أن يكون لهم عليها ولاية سياسية حيث كان مثلهم مع كافة القبائل  
في ذلك الوقت كمثل من يرشد أخاه إلى الخير بغير أن يكون لاحدهما على الآخر  
ساطان

### قصّة بني اسرائيل

هكذا لبث بنو اسرائيل فوضى لا سرة لهم ولا رئاسة عليهم حتى تمكن  
بينهم الجفاء فوهنت عزيمة الدولة وضعفت قوتها وانكسرت شوكتها بعدما كان  
لها من العزّ والسودد العظيم فغارت عليهم أعداؤهم واكتسحوهم واستبدوا  
بهم استبداداً أذاقهم مذاقوه في مصر من الاسترقاق والاستعباد إلا أن الله كان  
كلما تشتد عليهم الوطأة يسخر اليهم بعضاً من أولئك المشايخ أولى الشجاعة  
وذوى البطش والقوة فيدافعون مدافعة إن لم تشف غياهم من أعدائهم فتخفف  
عنهم ما هم فيه من البلاء العظيم • قال المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفوس :  
« وقد كان بنو اسرائيل يطلقون لفظ القاضي أو الحاكم من القوم العبرانيين  
على أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشتهر بفضيلة الجهاد والمنعة ثم

مضى انقضى الخطر والحرب وعاد السلم لما كان عليه رجع الناضى لحالة الآحاد  
الاهليين وربما بقيت معه تلك الوظيفة فيوالى القضاء والحكم بين الاسرائيليين  
ومما يحسن ذكره عن أولئك القضاة انه كان من بينهم امرأة يقال لها  
( دبوره ) كانت تقضى بين الاسرائيليين تحت ظل نخلة فوق جبل افرايم  
فألزمتها الظروف وما هى عليه من القوة الجسمية والعقلية لأن تقود جيشاً  
عظيماً لمحاربة أحد ملوك تلك البلاد فهزمته شرّ هزيمة وأشهرت ذلك بقصيدة  
شعر دوّنها من بنات أفكارها من أحسن الأشعار وأحصى الأفكار فهيجت  
بنى اسرائيل وألفتهم لما كانوا فيها من السبات الطويل غير أن ذلك كان كسحابة  
صيف مرّت فلم تلبث طويلاً فى ذلك الوقت

وكذلك كان من بين أولئك القضاة رجل اسمه ( شمشون ) يقال انه كان  
على جانب عظيم من القوة والشجاعة حتى وأنه قبض وهو ابن ثمانى عشر سنة على  
أسد فزقه قطعاً فضلاً عما أتاه فى الوقائع الحربية العديدة من أساليب الشجاعة  
والبسالة العجيبة فأبلى بأعدائهم بلاء حسناً حيث قتل منهم عشرات الألوف  
فتضايقوا مضايقة شديدة جعلتهم يحتالون على القبض عليه بواسطة إحدى نساءه  
التي كان قد أخذها منهم زوجة لنفسه واسمها ( دليلة ) التي احتالت عليه حتى  
أوقسته فى أيدي الأعداء فقبضوا عليه وثملوا عينيه وزجوه فى السجون ثم أخذوا  
يقيمون الولائم والأفراح حتى اجتمع منهم عشرات الألوف فى كنيسة إلههم  
( داجون ) الذى كانوا يعبدونه فى ذلك الوقت واستقدموا شمشون من السجن  
وعرضوه للمسخرية امام الموجودين بتلك الكنيسة التي كان على سطحها نحو  
الثلاثة آلاف رجل وامرأة فاغتاظ شمشون وقبض على عمودين من أهم عواميد  
الكنيسة وحرّكهما بقوة المعلومة فسقطت الكنيسة عليهم فأ ماتهم أجمعين

﴿ يَاسَ الْيَاسُ وَالْيَسَعَ وَاشْمُويلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴾

ومع كل هذه التقلبات والتغييرات فإن الله كان قد أرسل إليهم بعد يوشع الياس واليشع واشمويل رسلاً من عنده فقاموا بدعوتهم خير قيام ثم توفاهم الله بعد أن لاقوا ملائقوه من العذاب الاليم

﴿ داوود عليه السلام ﴾

ولما ان توفى اشمويل النبي أرسل الله من بعده داوود من سبط يهوذا فتعسنت في أيامه الأحوال وانتظمت الأمور وجعل أورشليم مركزاً دينياً وسياسياً للدولة فكانت زاهية زاهرة حتى وان الاسرائيليين لم يروا أياماً أزهى وأزهر من أيامه كما شهد بذلك معظم المؤرخين خصوصاً ( هيران • وجيامان ) • وقد تصادف وجود امرأة في ذلك الوقت كانت تدعى ( بيتسبا ) مشهورة بجمال السورة والخفة والقدر والاعتدال قال لها داوود واشتهاها لنفسه زوجة معانه كان متزوجاً بتسع وتسعين زوجة أما تلك المرأة فكانت متزوجة بمن يدعى ( أوريا الحثي ) أحد قواد الجيش الاسرائيلي فأرسل الله له شخصين ليحكم بينهما بالحق • ولما اعتلا داوود منصة الاحكام وتمثل أمامه الخصمان استجوب أولهما فقال له : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة فقال اكفنيها وعزني في الخطاب » • ثم استجوب الثاني فأمن على كلام الاول حيث أرى انه يريد ان تكون نعاجه مائة بدلاً عن تسعة وتسعين نعمة فنظر داوود اليه شذراً قائلاً له لقد ظلمت اخاك بضم نعيمته الى نعاجك الكثيرة وإننا اليك لمانعون • فعاجه صاحب النعاج الكثيرة مورياً له ضرورة إتمام نعاجه بنعمة أخيه مهما كلفه ذلك من التعب والشقاء • ذلك الذي أثار غضب داوود حيث قال له : « إن لم ترد اليه نعيمته ضربنا منك هذا وهذا - وأشار الى أنفه وجهته - فقال له أنت يا داوود أحق بأن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون زوجة ولم يكن لأوريا الحثي غير زوجة واحدة وهي

بیتسبها التي تريد ان تسلبها من زوجها وتضمها الى زوجاتك العديدين • فاستيقظ داوود وقت ذلك وتحقق من غايطته خصوصاً وان هذه المسألة صارت حديث بني اسرائيل فقدم على ما فعل واستغفر الله فتاب عليه الا ان ذلك لم يمنع القوم وقتها من الاستخفاف به حتى أدى الامر للخروج عليه فكثر الفتن الداخلية وازدادت الحزن المنزلية بسبب أولاده وما أنوه وقتها من الفساد الى أن توفاه الله سنة ١٠١٦ قبل الميلاد عن مائة سنة بعد أن أوصى ابنه سليمان بوصايا من أحكم الحكم التي من ضمنها أن أمره بأن يبني للناس هيكلًا عظيمًا يعبدون الله فيه

﴿ سليمان عليه السلام ﴾

وكان الله قد أرسل سليمان رسولاً بعد أبيه داوود فاستلم الملك الذي كان وقتها على جرف هارث حيث ابتداءً أولاً بقتل أخيه (عادونياش) الذي كان اكبر نصير للفتنة في ذلك الوقت ثم أخذ يستعمل السياسة والمسألة للقبائل والبلاد التي كانت فائرة على أبيه فاسترجعها بحكمته وتديره ثم أحسن الصلة بينه وبين مجاوريه من الملوك والقبائل حتى كان ذلك سبباً لبلوغ دولته مبلغاً لم تصل اليه من قبل

وقد انتهر فرصة ذلك فسمى في تنفيذ وصية أبيه القاضية باقامة هيكل عظيم في اورشليم قائمه في سبع سنين ونصف سنة وافتتحه رسمياً افتتاحاً دينياً فخماً قيل انه ذبح لأجلاه اثنين وعشرين ألف نور ومائة وعشرين ألف رأس من الغنم • ذلك الهيكل الذي صار كعبة يحج اليها الناس حتى أيام الخليفة عمر بن الخطاب الذي شاد عليه مسجداً عرف باسمه الى الآن • وعلى العموم فقد كانت أيامه أيام رخاء وسرور وسعادة على الأمة الاسرائيلية بل على الدولة التي بلغت على يديه من التقدم والعمران وبسطة الحال ووسعة العيش ومسألة القريب والبعيد وحسن السياسة الداخلية والخارجية مما جعلها سيادة كافة متقدميها من

سائر الدول والأمم . قال المؤرخ جيهان السالف الذ كر : « وبعد أن شيد سليمان لله معبداً جدد لنفسه قصرأ جميلاً وأنشأ حول مدينة أورشليم سوراً عظيماً ووسع عتمة مدائن قديمة واخنتط مدائن أخرى جديدة منها مدينة أشار ومجدله وتدمر الشهيرة . وقد كانت مجمع القوافل التجارية تتردد بين بابل والعراق ودمشق الشام » . ثم قال المؤرخ الشهير فرسيس لونورمان : « كانت شهرة سليمان قد انتشرت عند سائر الأمم المجاورين . وكان قد صنفت ثلاثة آلاف مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتمجيد الله سبحانه وتعالى . وتكلم في العلوم الطبيعية على سائر الأشجار والنباتات سواء كانت صغيرة أو كبيرة نافعة أو ضارة لازمة أو غير لازمة حتى وأنه تكلم على النبات المعروف في اللغة العربية باسم ( الزوفا ) المشهور عند العامة باسم الشمسية التي تنبت بجوار الحيطان على الدوام وتكلم أيضاً على سائر الحيوانات البرية فضلاً عن الطيور والهوام والحيوانات البحرية » . ولكن يظهر أن كتبه التي ألفها في هذه المواضيع المهمة قد فقدت واندثرت دون أن يبقى منها الا التأليف المسمى باسم ( أمثال سليمان ) وكذلك التأليف المعروف باسم ( حكم سليمان ) وهو الكتاب الذي نظر فيه نظراً فلسفياً حيث افاض في الاحوال الدنيوية والذات البشرية واستخلص من ذلك منتهى ما يصل اليه العقول البشرية والابحاث الفلسفية التي يمكننا أن نحصرها في هذه الجملة الذهبية : « كل شيء باطل . وكل نعيم زائل »

وكان سليمان لما أن أرسله الله لهداية الناس تطالب منه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فاستجاب طلبه بأن سخر له الانس والجن والطيور والرياح حيث كانت كلها في خدمته وقما يشاء ويريد . وبينما كان في ذات يوم يتفقد طيراً مخصوصاً لخدمته فلم يجد بينها الهدهد الذي لما ان جاءه سأله سليمان عن سبب غيبته فقال له : « جئتكم من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل

شيء ولها عرش عظيم » • فانسر منه سليمان وأعادها اليها بكتاب من عنده يدعوها لادخول في طاعته والايان بدين الله القويم وكانت تدعى ( بلقيس ) • تلك التي تقبالت منه ذلك الكتاب ثم اكتفت بأن أرسلت اليه هدية ملوكانية الا انه بعث اليها ثانياً يستقدمها اليه فلبت أمره حيث فصدته بركب من أشرف مملكتهما حتى عند ما اقتربت من مدينته قال سليمان لمن في مجلسه : « أيكم يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسامحين • قال عسريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك • وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فلما حضر العرش وحضرت بلقيس - قيل لها أهكنا عرشك • قالت كأنه هو • وأخيراً لما تحققت منه أمنت به وبدعوته حيث قالت : « رب إني ظلمت نفسي وأسألت مع سليمان لله رب العالمين » • وقيل انها كانت على جانب عظيم من الجمال فاتخذها زوجة وضمها الى زوجته الكثيرين ثم مات سنة ٩٧٦ قبل الميلاد بعد ان عاش ثلاثة وخمسين سنة ملك منها أربعين

### ﴿ يونس عليه السلام ﴾

سبق قد كرنا ان دولة بنى اسرائيل بلغت مبلغاً عظيماً في التقدم والرفاهية والشهرة الزائدة حتى كان من وراء ذلك بل من مستلزماته سوء الاخلاق وكثرة المفسد فضلاً عن تغيير العقائد وضمف الدين فتشعبت الآراء وانحلت الجامعة بين الاسرائيليين فثارت البلاد وقامت الفتن وكثرت المحن خصوصاً تزايدت المطامع بين اولاد سليمان فانقسموا الى دولتين عظيمتين اصطالحوا على تسمية الاولى بدولة يهوذا والثانية بدولة اسرائيل حيث من وقت ذلك أخذ نجم الدولة في الأفول • قال أبو الفدا اسماعيل : « لما افترقت مملكة بنى اسرائيل واستقر لولده داوود الملك على السبطين فقط أعنى سبطى يهوذا وبنيامين وصار للاسباط

العشرة ملوك تعرف بملوك الاسباط استمر الحال على ذلك نحو ٢٦١ سنة . وكانت أولاد سليمان في بني اسرائيل بمنزلة الخلفاء للإسلام لأنهم أهل الولاية ( أعني الحقيقة ) وكان ملوك الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج . وارتفعت الاسباط الى فلسطين وغيرها بالشام واستقر أولاد داود ببית المقدس »  
ومن نكد الدنيا على الاسرائيليين عموماً ان أمرهم لم ينته لذلك الحد الذي وصلوا اليه بل تعدّوه للعشاكلة والعدوان حيث صاروا على الدوام يحاربون بعضهم بعضاً فأرسل الله لهم يونس نبياً دعاهم الى الخير ونهاهم عما هم فيه من العظيان فخفت وطأتهم قليلاً ثم توفاه الله

﴿ دانيال عليه السلام ﴾

ولما توفي يونس عاد القوم الى ما كانوا عليه أولاً بل ازدادوا طغياناً وفجوراً فضعفت قوتهم واضمحلت شوكتهم فسلط الله عليهم البابليين وكان ماسكهم وقتها ( بختنصر ) الذي أغار عليهم بجيوشه الجرارة وخرّب بيت المقدس وشتتهم عن آخرهم بعد ان أسر كثير أمنهم واسترقهم واستعبدهم وكان من ضمنهم رجل صالح متبحر في العلوم والمعارف خصوصاً في الحكمة حتى فاق سائر أخبار اليهود والكهنة الموجودين في ذلك الوقت . وكان اسمه ( دانيال ) الذي أنزله الملك عنده منزلة التكريم والاحترام خصوصاً عقب استفتائه عن رؤياه التي رآها في منامه وأوتها له دانيال نأويلاً حسناً أعجب الملك فأكرم مشواً وجعله فوق جميع أرباب المناصب العالية من أهل دولته في كافة أنحاء المملكة فضلاً عما غمر به بني اسرائيل من الانعامات الكثيرة والخيرات العديدة

وكان الله قد أرسل دانيال رسولاً يقوّم ما عوجّ ويصلح ما أفسده المفسدون الى ان قام ملك الفرس المدعو ( كورش ) فاكتمسح البابليين وأعاد الاسرائيليين لبلادهم الاصلية فاستوطنوها وبعد أن مات دانيال عاد الامر لحالته الأولى

فأرسل الله اليهم الرسل والصدّيقين ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون

عيسى عليه السلام

وكان من ضمن أشرف بنى اسرائيل رجل يقال له ( ماثان ) أحد الرؤساء الدينيين وينتهي نسبه الى سليمان وداوود وابراهيم فرزقه الله بولد سماه ( عمران ) الذى اتخذه له زوجة تدعى ( حنة ) فأولدها بنتاً سماها ( مريم ) التى قيل عنها فى بعض الروايات أنها كانت مخطوبة لابن عمها يوسف النجار الذى كان يشاركها السرّاء والضرّاء حتى فى الخدمة المنزلية

وتصادف أن مريم اختلت بنفسها يوماً من الايام فأرسل الله لها روحاً من عنده تمثل أمامها بشراً سوياً فلما راته « قالت : إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نقيّاً . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً » حيث حملت بالمسيح عيسى أيام ( بيلاطس البنطى ) الذى كان وقتها حاكماً على بلاد اليهود من قبل الدولة الرومانية . ولما جاء المخاض لمريم تذكرت ما سينتابها من قومها بسبب ذلك فحزنت حزناً شديداً وخاطبت نفسها قائلة : « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرّاً . وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلى واشربى وقرى عينا فآما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوماً فان أكلم اليوم إنسياً »

ولما انتهت من الوضع وصار عيسى بين يديها « وجاءت قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جنّيت شيئا فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغياً . ولكنها لم تجهم بشئ بل أشارت للمولود - قالوا كيف نكلم من

كان في المهدي صبيّاً - فناداهم عيسى قائلاً - إني عبد الله آتاني الكتاب وجعاني نبياً • وجعاني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً • وبراً بوالدي ولم يجعاني جباراً شقيّاً » • فداع امره وشاع حتى ملأ الاسقاع وسمع به الملك فأمر بقتله إلا أن مريم أخذته وهاجرت به الى مصر مع يوسف بن عمها ولبثوا فيها اثني عشر عاماً حتى مات ذلك الملك فعادوا كما كانوا واستوطنوا مدينة ( الناصرة ) ببلاد فلسطين الى ان بلغ عيسى ثلاثين سنة من عمره فأرسله الله لهداية الناس فقام بالرسالة خير قيام حيث صار يهدي الناس ويداوي المرضى ويشفي الاعمى ويبرئ البرص ويحيي الموتى الى أن صار ذلك معجزة عظيمة فانتشرت ديانته انتشاراً زائداً • الامر الذي أثار غضب حاكم البلدة وقتها فأمر بالقبض عليه والتمثيل به على ملأ القوم إلا أن الله قد رفعه الى السماء وشبهه اليهم بواحد منهم فظنوه عيسى فأوثقوه كتافاً وصلبوه على قارعة الطريق وللمؤرخين بحث طويل في هذا الموضوع لا ضرورة لذكره الآن

وكان في مبدإ دعوته قد تبعه اثني عشر رجلاً أخذوا يتلقون عليه التعاليم فأتقنوها اتقاناً زائداً حتي بعد أن توفاه الله قاموا مقامه فذشروا الديانة في البلاد وكان يقال لهم الحواريون

ﷺ محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين أجمعين ﷺ  
سبق فأوضحنا ان اسماعيل بن ابراهيم الخليل تربى في بلاد الحجاز واتخذ بنت مضاض بن عمر رئيس قبيلة جرهم زوجة اليه وأولدها اثني عشر ولداً ترأسوا على القبيلة المذكورة وجعلوا مكة مقراً لهم وصاروا يتوارثون الرئاسة والشرف أباً عن جد الى أن انحصر ذلك أخيراً في عبد مناف بن قصي بن حكيم الذي انتهى نسبه الى عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل • ومن عبد مناف المذكور تناسل هاشم الذي تناسل منه عبد المطلب الذي تناسل

منه عبد الله الذي وهبه الله مولوداً كريماً اسمه ( محمد ) وهو صاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وسلم ( واليه أيضاً ينتهى نسب مؤلف هذا الكتاب كما هو مثبت بسجلات نقابة أشراف الديار المصرية تحت نمرة ١٩٥ سنة ١٣٣٥ هجرية )

وقد كانت ولادته عليه الصلاة والسلام حين طلوع فجر يوم الاثنين ٢٠ افريل سنة ٥٧١ ميلادية بعد وفاة أبيه بشهرين فحضنته أمه التي توفاهها الله وعمره ستة سنين دون أن يترك له أبواه شيئاً من المال والاملاك فكفله جده عبد المطالب الذي مات وعمره ثمانية سنوات بعد أن أوصى عليه عمه أباطالب الذي احسن كماله وعزز وصايته وأحبه حباً شديداً حتى وانه ما كان ينام الا الى جانبه ولا يخرج الا معه

وقد شبَّ صلى الله عليه وسلم على القناعة والكمال فلم يأت شيئاً مما يأتيه الاطفال حتى عند ما بلغ من العمر اثنتى عشر سنة ظهرت عليه النجابة الزائدة والادراك الشديد فسافر به عمه أبو طالب في تجارة الى الشام فرآه هناك راهب يقال له ( بحيرا ) ففهرس فيه كثيراً وتفكر طويلاً ثم أوردى لأبي طالب انه سيكون له شأن عظيم في مستقبل الايام الى أن قال له : « انه لنبى كريم وأظننه الذى بشر به عيسى عليه السلام فى إنجيله بلفظ ( فار قايط أو بار قايطس ) - قيل ان معناه المنزى مع ان المعنى الحقيقى لذلك الاسم هو محمود - لان زمانه قد قرب كما أنبأنا عن ذلك دانيال فى نبوته فى الاصحاح الثانى عشر • وينبغى التحفظ عليه خشية أن تقتله اليهود » • لذلك أعاده أبو طالب الى مكة حيث لبث فى قومه مثال الكمال والآداب والتقوى والصلاح حتى وانه ما كان ينجح الا للحق سواء بين القريب والبعيد أو القوى والضعيف أو الغنى والفقير • ولا كان يهاب ملكاً لملكه ولا غنياً لماله ولا ذاسلطة لسلطانه بل الكل أمامه سواء بسواء • وكان يؤلف بين أصحابه بما فطر عليه من سعة العقل وما أظمه

الله من بلاغة الحجة وسلسلة الالفاظ والافكار العالمة مع انه أمي لا يعرف  
قراءة ولا كتابة حتى صار ذلك معجزة له بين الخلق أجمعين • خصوصاً وقد  
كان لا يستسكف من التواضع حتى وانه كان يجلس على الارض ويخصف النعل  
ويرقع الثوب متحياً دائماً بمكارم الاخلاق

وكان صلى الله عليه وسلم متعوراً اخلوة بنفسه شهراً في السنة في غار حراء  
الموجود هناك حتى عند ما باع الاربعين سنة من عمره كان القوم وقتها قد  
طغوا ففسدوا في الارض فساداً عظيماً ونسوا الله فاتخذوا آلهة كثيرة يعبدونها  
دونه سبحانه وتعالى فاختر محمداً رسولاً • هداية الناس وخاتماً للانبياء أجمعين  
فأنزل عليه الوحي حيث أمره بقوله : « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر  
وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر » • حتى بعد  
ذلك أخذ يدعو الناس للإسلام فأمن به قليل من أهله وصحبته الا أن القوم  
وقتها احتقروا وتعصبوا عليه تعصباً زائداً فأمره الله أن ينذر عشيرته الاقربين •

لذلك أعدّ ولية دعى فيها بنى هاشم وبنى المطلب وبنى نوفل وبنى عبد شمس  
اولاد عبد مناف الذي هو الجد الثالث للنبي عليه الصلاة والسلام ثم قام بينهم  
خطيباً قائلاً لهم : « إن الرائد لا يكذب أهله • والله لو كذبت الناس جميعاً  
ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم • والله الذي لا إله الا هو اني  
ارسول الله لكم خاصة وإلى الناس كافة • والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما  
تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتنجزون بالاحسان احساناً وبالسوء سوءاً •  
وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً » • وبعد ذلك انفض الجمع وأكثرهم قد استهجن  
دعوته خصوصاً عمه أبو لهب فانه كان عدواً لدوداً له حتى وانه عقب تلك  
الدعوة أشار على قومه بقوله : « خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه  
العرب » • الا أن عمه أبا طالب لم يتسرع في ذلك بل نصح النبي صلى الله عليه

وسلم مراراً عديدة فقال له أخيراً : « والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه »

### الهجرة

فلما رأى عمه منه ذلك تركه يدعو الناس جهرًا إلى أن اشتد غضب القوم عليه فستخروا به وأهانوه هو ومن اتبعه إهانة علانية حتى ضيقوا عليهم الأبواب والمسالك فلم ينفردوا بتجارة أو شيء يكون • ومع كل فاتهم لم يقفوا لهذا الحد بل أضمرُوا له الشر فأتَمروا على قتله غيلةً إلا أنه أوْعز أخيراً لأصحابه بالهجرة حيث أخذوا في المهاجرة سرًّا زرافات ووحداناً إلا عمر بن الخطاب فإنه قد أعلن هجرته فلم يتعرض إليه وقتها أحد من الأعداء لعلوا مكانته لديهم ثم بعد ذلك تبهمهم النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق حتى وصلا بلدة (قباء) في يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول الذي ابتداء منه تاريخ الهجرة وهو التاريخ الإسلامي بعد أن مضى على الرسالة ثلاثة عشر سنة بالتمام • وقد نبى بتلك المدينة مسجداً للصلاة فيه ثم قام مع أصحابه وقصد المدينة فقبول بالاحترام الزائد والميل الشديد وبعد أن استقر فيها أخذ في تبليغ رسالته شيئاً فشيئاً بعد أن أظهر جملة معجزات لا ضرورة لذكرها الآن فآمن به الكثير بل الألوف والملايين وأصبحت دولة الإسلام وقتها أبلغ وأمنع دولة في العالم إلى أن اعتراء مرض شديد ألزمه الفراش في السنة الحادية عشر ولكنه مع ذلك لم يتغافل عن رعاية المسلمين بما جبل عليه من الشفقة والحنان حتى أنه لم يكثر بمرضه بل خرج من منزله مسنداً بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب قاصداً المسجد الذي حينما وصله صعد المنبر وحمد الله ثم قال : « أيها الناس من كنت جللت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا

يخشى الشيخاء من قبلى فانها ليست من شأنى » • ثم نزل بعد ذلك وصلى بالناس وعاد ثانية للمنبر وتلا ما تلاه أولاً فقام رجل من بين الحضور وادعى عليه بثلاثة دراهم فألقدها إياه ثم عاد لمنزله وامتنع عن الخروج ثلاثة أيام بعدها توفي صلى الله عليه وسلم • وكان ذلك يوم الاثنين اتى عشر ربيع الأول (٨ يونيه سنة ٩٣٢ ميلادية) فغسلوه وكفنوه فى ثلاثة أبواب ثم حفروا له تحت فراشه ودفنوه ليلة الأربعاء وله ثلاثة وستون سنة قرية وثلاثة أيام

توفي عليه الصلاة والسلام بعد ان نال ما تمناه من هداية الناس وتبليغ رسالته المحصورة فى كتابه الكريم أعنى به (القرآن الشريف) الذى هو أكبر معجزة للنبي العربي الهاشمي الامي الذى لا يعرف قراءة ولا كتابة ففضلا عن انه الف بين قلوب متنافرة وأهواء مختلفة وأمم متفرقة وقبائل متباغضة حتى أوجد ما أوجده من الوحدة القومية والجامعة الدينية اللتين كانتا على الخصوص سلماً لوضع حكومة اسلامية عادلة جمعت بين الدستور والشورى والحرية الشريفة • تلك التى لأجلها جمل الله الدين الاسلامي خاتم الأديان كما جعل محمداً خاتم النبيين أجمعين

ومن نظر لذلك الدين بقلب خالى من الغايات مزده عن الأغراض لرآه مطابقاً للفطرة الانسانية التى يستريح لها الضمير ويعجز لها القلب السليم لأنه يأمر الانسان أن يعمل لدنياء كأنه لا يموت أبداً ويعمل لآخرة كأنه يموت غداً بمعنى انه جمع معاً بين حاجيات الدنيا والآخرة • ذلك الذى ساعد فى الغالب على انتشاره بتلك السهولة الزائدة والسرعة الغربية التى حارت فيها العقول واندشت لأجلها كافة الأمم والدول

وفى الحقيقة نحن لو نظرنا للأديان السماوية لوجدنا ان اليهودية دين دنيوى محض يقضى بأن يعامل الانسان أخاه السن بالسن والمين بالعين • والنصرانية

دين أخروي محض يقضى على الانسان أن يتحمل كل شيء ويصبر على كل مكروه حتى اذا ضربه أحد على خده الايسر يدير اليه خده الأيمن فضلاً عما قضى به على الانسان من أن يترك الدنيا ويزهّد فيها كل الزهد بدليل قوله : « اتركوا ما لقيصر لقيصر وماله لله » • اما الدين الاسلامى فقد جمع بين هذا وذاك فصار ملائماً للطبيعة البشرية والفطرة الأصلية فانتشر وساد بين الامم فى وقت وجيز حتى وانه لم يزل الآن آخذاً فى الزدياد بدرجة ليس لها مثيل فى قصص الأولين والآخرين

وقد كان بودى ان أخوض عباب البحث فى الدين الاسلامى فأضع هنا للاسلام شرحاً عاماً عانى أقوم بأجل خدمة للمسلمين خاصة وللناطقين بالضاد عامة بل لكافة الخلق أجمعين الا اننى استحسنيت أن يكون ذلك فى تاريخ قائم بنفسه لا تابعاً لغيره فأجأت الاشتغال به الى حين • أما ما ذكرناه عن الأمة السامية فهو خلاصة ما يقال ولو ان هناك أم أخرى قد قامت قائمتها فى الارض فامتلكت آفا من البلاد وملايين من العباد الا ان ما ذكرناه هو أهم شيء يستريح له الجنان ويميل لمعرفة الانسان حتى آخر لحظة من حياته • وسنبتدى الآن بذكر تاريخ الأمة الحامية فنقول

## ❦ الفصل الخامس ❦

### ❦ العشرة الحامية ❦

هذه هى العشرة التعيسة بل الأمة التى ما قامت لها قائمة الا واخذت بعد قليل فى القهقرى كأن نجمها من أحس النجوم حتى وان الله سبحانه وتعالى قد سجل عليها المذلة والمسكنة والظوان تسجيلاً أبدياً فصارت تن تحت نير العبودية من عهد ان خلقها الله الى الآن

نعم قد كانت العشيرة الحامية في إبان نشأتها ذات تقدم وفلاح وقوة عظيمة وحصولة عجيبة حتى وانما أنشأت أقدم الدول الملوكية وسارت في معارج الفلاح سيراً سريعاً مناسباً للمعيشة الأولى . ذلك الذي كان بهمة أبيها حام بن نوح الا ان الأمر قد انعكس عليها أخيراً عند ما كثر نسل أخويه سام ويافت الذين اختلطوا بالعشيرة الحامية فتنازعوها البلاد والمعيشة الدنيوية الى ان دارت الدائرة عليها أخيراً فاستعبدوها وطردها من بلادها التي كانت اتخذتها اولاً موطناً لها بقارة آسيا . لذلك هاجرت من تلك البلاد وقصدت أقاليم أفريقيا واستوطنتها ولو انها أنشأت فيها دولاً عظيمة بلغت شهرتها عنان السماء كدولة الفرعنة أعنى بها الدولة المصرية التي كانت في مقدمة الجميع الا ان ذلك لم يثبت قليلاً حتى عادت الأمة الحامية لحالتها الأولى من الشقاء والاستعباد . وعلى العموم فاننا اذا سمعنا أو رأينا في الأمة الحامية أو بعضها شيئاً من الاستقلال والحرية التامة والكلمة النافذة فلا يمكننا أن نقطع بدوام ذلك حيث أن الأمة المذكورة على ما يظهر معرضة لميكروب الاستسلام والضعف والاستعباد على الدوام

وقد اختلف المؤرخون في أسباب ذلك حيث عزوه لأوجه كثيرة لضرورة لذكرها في هذا القام غير ان أهمها ما ورد بالكتب الدينية فتمسك به أغلب اللاهوتيين وجعلوه عمدة بحثهم في هذا الموضوع حيث قيل ان نوح الذي هو أبو البشر بعد الطوفان كانت عورته قد انكشفت فأبصرها ابنه حام فضحك عليه وعرض عنه وانطلق فأخبر أخويه سام ويافت اللذين أسرعاً فسترا عورة أبيهما برداء دون أن ينظراها فلما استيقظ أبوهما وعلم بذلك غضب على ابنه حام غضباً شديداً ودعا عليه بأن يكون عبداً خادماً لأخويه سام ويافت فاستجاب الله نداءه حيث وقت ذلك كان قد كثر نسلهم جميعاً فاتحد الساميون واليافتيون ضد الحاميين الى أن استعبدوهم استعباداً استمر من وقتها للآن

على اننا ما ذكرنا هذه الرواية على علامتها اعتقاداً بأنها سبب الاستعباد الذي صار أليف الحاميين بل ذكرناها تبصرة وذكرى للناس أجمعين نظراً لما فيها من إشارة حكيمية محسوسة يجدر بالإنسان ان يعيها في صدره على الدوام ألا وهي احترام الوالدين وآداء ما يلزمهما من راحة وسعادة مهما كانت خصالهما وفعالهما

نذكر ذلك لحضرات القراء وهم أدري بما وصل اليه حال بعض أبناء هذا الزمان من العبث بوالديهم والاستهزاء بهم خصوصاً اذا كان هناك بعض اختلافات في المعيشة والاخلاق فان الاولاد يتقاربون على آباءهم انقلاب الساخط على سوء حاله بل الكافر بالنعمة شأن كل من يأتي الرزيلة بكافة معانيها . ذلك ما لاحظناه بأنفسنا وسمعناه غير مرة بأذاننا فانتهزنا الفرصة فنوّهنا عنه في هذا المقام مختتمين ذلك بأبلغ ما قيل في هذا الموضوع وأقل ما يلزم للوالدين على كل ولد حيث أمره الله تعالى بقوله : « فلا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولاً كريماً » وخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

واندع ذلك ونتركه للفرص المناسبة اليه ونعود للأمة الحامية التي تناسلت من حام بن نوح الذي لم يكن معلوم من أولاده الا الأربعة الأولاد المذكورين بعد :

١ - كوش . وهو أبو الايتوبيين الذين هم أسلاف الحبش والمعروفين عند المؤرخين بأنهم أبو السودانيين

٢ - مصر ايم . وهو أبو المصريين الذين باغوا مبالغاً عظيماً في المدنية والارتقاء كما أنبأنا به متروكاتهم القديمة التي تركوها فاستكشفتها المتأخرون وتواجدت بين أيدينا الآن

٣ - فوت . وهو أبو الاقوام الليبيين الذين استوطنوا الجهة الشمالية من بلاد

أفريقا المملوومين لدينا الآن باسم (المغاربه)

٤ - كنعان • وهو أبو الفينيقيين أعنى بهم الصوريين وأغلب سلف القبائل التي كانت قاطنة ببلاد فلسطين الشهيرة ببلاد المقدس قبل أن يأتهم الاسرائيليون من البلاد المصريه

### الدولة المصريه

هؤلاء الاربعة هم أولاد حام بن نوح الذين تكونت منهم الأمة الحامية حيث كان لكل منهم عشيرة مخصوصة بل دولة قائمة بنفسها أشهرها الدولة المصريه التي تركت لنا على سطح الأرض العمارات الفخيمة والآثار العظيمة فضلاً عن الجثث البالية والأدوات المنزلية العتيقة والتماثيل المدفونة بباطن الأرض المشتملة على بعض التسواريخ المكتوبة بالخط الهيروغليفي الذي كان لسانهم في الازمنة القديمة حيث امتلأت بها أغلب الاتيكنخانات الموجودة في كافة المسدن الشهيرة بمصر الدنيا خصوصاً الاتيكنخانة الخديوية المصريه الكائنة بجوار قصر النيل بمصر التي اشتملت على كثير من الآثار المصريه القديمة

نعم لم يكن للبلاد المصريه تاريخ مضبوط يمكن التعويل عليه الا ان تلك الآثار قد أعانت علماء التواريخ على أن يضعوا تاريخاً مصرياً ولو انه ربما لا يكون منطيقاً على الحقيقة الا أنه أقرب للصواب ومنتهى ما يصل اليه البحث في أمر المصريين ذلك لانهم كانوا يؤرخون حوادثهم الوقتية تارة من ابتداء السنة التي يموت فيها الملك السلف وتارة من أول اليوم الذي يعمل فيه مهرجان الملك الخلف دون أن يكون بين التاريخين رابطة أو اشارة لشيء يحفظ النسبة بين التاريخين أو بالحري بين كافة التواريخ التي تقلبت على الدولة بتقلب الحكام والامراء والملوك • ومع كل ذلك فمن مبالغ ما وصل اليه البحث ومن منتهى ما أوجده العلم يمكننا أن نقسم تاريخ مصر الى ثلاثة أدوار أصلية وهي : الدور الجاهلي والدور المسيحي والدور الاسلامي ندرجها كالاتي بالتدريج :

## الدور الجاهلي

هذا الدور هو أول دور تواجدت فيه الأمة المصرية عقب مهاجرة الحاميين من بلاد آسيا كما وأنه عبارة عن أربعة وثلاثين عائلة ملوكية لبشت حاكمة على مصر نحو ٥٤٢٥ سنة تقريباً نذكرها كالاتي :

### العائلة الاولى

يظهر ان الحاميين لما هاجروا لبلاد أفريقيا واستوطنوا البلاد المصرية كانت مقاليد أمورهم في أيدي الرؤساء الدينيين الذين كانوا يديرون شؤون الرعية ادارة بسيطة دون أن يكون لهم قانون أو هيئة حاكمة تسعى في تقدم البلاد والعباد وتحميمهم وقت الحاجة فيما لو نزلت عليهم نازلة أو غارت عليهم أقوام آخرون من المجاورين لهم أو من أعدائهم قريبين كانوا أو بعيدين . ذلك ما لبثوا عليه زمنا طويلا حتى انتهت اليه الامة بأجمعها فقام معظمها قومة واحدة تحت زعامة أحدهم المدعو ( مينيس ) وتطلبوا ان تكون الرئاسة الدينية منحصرة في الكهنة أما الادارة والسياسة فلا يتعرضون لها على الاطلاق بل تكون خاصة بالامة فقط حتى بعد ان انتهى الامر بتأييد ذلك كان من سعد مينيس المذكور ان الامة اختارته ملكاً فأقامته عليها بعد عناء شديد لاقته من أولئك الكهنة حيث وقت ذلك ابتدأت العائلة الاولى التي كان ملوكها تسعة حكموا ( ٢٥٣ سنة تقريباً ) أولهم مينيس البادئ ذكره الذي كان مولده بمدينة تينيس أو طينة الموجودة بقرب المراية المدفونة بجوار جرجا حيث لما اغتلى سرير الملك اختط مدينة منف المعروفة الآن باسم ( البدرشين وميت رهينة ) . واتخذها قاعدة لملكه وأقام حولها جسراً معروباً الآر بجسر قنيشه . وكان يعبد إلهما يسمى ( فتاح ) فبنى له هناك معبداً عظيماً . وقيل انه هو الذي افتتح بلاد ليبيا التي كانت سبباً لاتساع مملكته في ذلك الوقت

ولما مات مينيس المذكور استلم زمام الملك بعده ثمانية ملوك أولهم أخوه

( تتأ ) الذى كان متبحراً فى الفنون الطبية • ثم بعده هذا الملك لم يبق من الملوك  
الآخرين أحد يستحق لذكر غير الملك ( ونيفس ) الذى قيل بأنه بنى هرم  
( كوكمة ) الموجود بقرب الهرم المدرج بسقاوة

﴿ العائلة الثانية ﴾

هذه العائلة كانت من مدينة تينيس أيضاً ويظهر أنها كانت من أقارب  
العائلة الاولى لان المؤرخين لم يميزوها عن بعضهما بشئ بل كثيراً ما يخلطونهما  
ببعضهما كأنهما عائلة واحدة وعدد ملوكها تسعة حكموا ( ٣٠٢ سنة ) • ومن ملوكها  
الذين يستحقون الذكر الملك ( بينوتريس ) الذى يظهر انه كان ذا شمم على  
حتى أداه ذلك الادعاء بأن يئنه وبين الآلهة نسباً • وهو الذى كان أول من  
أعطى النساء الحرية التامة حتى خوّنهن " حق الجلوس على سرير الملك اذا لم يكن"  
للملك المتوفى أولاد ذكور

ومن ملوكها الملك ( استنس ) الذى كان طبيباً ماهراً • وعلى العموم كان  
هذه العائلة قد تمكنت من جمع شتات المصريين وتوحيد كلمتهم حتى صاروا أمة  
واحدة فى أيام ملوكها

﴿ العائلة الثالثة ﴾

هذه العائلة كانت من مدينة منف وملوكها تسعة حكموا ( ٢١٤ سنة ) أولهم  
الملك ( نخروفس ) الذى قامت ليبيا فى أيامه فشقت عصا الطاعة فأعادها اليه ثانية  
بعد ان قامت بينهما الحروب التى انتهت بالتسليم • ثم قام بعده الملك ( نوسرتس )  
وكان طبيباً حاذقاً انتفع الناس بطبّه حتى القرن الاول للتاريخ المسيحى • أما باقى  
الملوك فلم يعلم لهم تاريخ غير ان صنائعهم وتماثيلهم ومعابدهم كلها تشير لأن  
الدولة كانت فى أيامهم زاهية زاهرة كما وان أكبر آثار أقاموها والتماثيل المشهور  
باسم ( أبو الهول ) الموجود بجوار اهرامات الجيزة حيث جعلوا جسمه جسم

أسد ورأسه رأس انسان إشارة لما بلغت اليه الدولة في أيامهم من القوة والعقل فضلاً عما ينسب اليهم من أنهم هم أول من استأنسوا بالحيوانات المتوحشة في ذلك الوقت فاستخدموها في مصالحهم الخسوعية والعمومية • وكان آخر ملوك هذه العائلة هو الملك ( سنفرو ) الذي كان ذا عدل وبر واحسان وعزم وحزم وصبر على الفتوحات ومغالبة الثائرين حيث قهر بلاد جبال الطور واستولى على أراضيها وبني فيها الحصون والقلاع واستخرج منها المعادن وعمل لنفسه تماثلاً نقش عليه اسمه حيث كان موجوداً ضمن صخور جبل الطور فسيروا عليه

#### ﴿ العائلة الرابعة ﴾

هذه العائلة هي من مدينة منف أيضاً وملوكها أربعة عشر ملكاً حكموا ٢٨٤ سنة منهم الملك ( خوفو ) الذي جمع بين الشجاعة والصناعة فبنى أكبر اهرام في الجيزة الذي تفتخر به مصر على سائر الامصار • ويقال انه بناه في ثلاثين سنة اشغل فيه مايتوف عن مائة ألف رجل كانوا يشتغلون بالناوبة كل ثلاثة أشهر

ومنهم الملك ( خفرع ) الذي بنى الهرم الثاني الموجود بجوار هرم خوفو ومنهم الملك ( منكورع ) الذي بنى هرم الجيزة الثالث وكان هذا الملك محبوباً عند الشعب أكثر ممن تقدمه وقيل بأنه كان عالماً في الدين والأدب ومنهم الملك ( سبسكاف ) وكان فقيهاً عالماً فابتدع فن الهندسة ورصد الكواكب وسن القوانين في ذلك الوقت

وعلى العموم كانت هذه العائلة سبباً لتعرض الامة المصرية الى أوج العسلا فبانت في أيامها مباناً عظيماً من العظمة والثروة الداخلية والتعم الزائد في المأكول والمشرب والملابس والفرح والطرب حتي وأنهم كانوا مفرمين دائماً بالصيد والقتل

\*( العائلة الخامسة )\*

قام من هذه العائلة تسعة ملوك حكموا ٢٤٨ سنة منهم الملك ( سحورع )  
الذى بنى هرمأ شمالى قرية أبى صير  
ومنهم الملك ( أغنوسر ) الذى بنى له هرمأ فى أبى صير أيضاً ودفن فيه  
بعد موته فضلاً عن أنه كان قد غزا جزيرة جبل الطور وانتصر عليها انتصاراً  
عظيماً  
وعلى العموم فقد كانت الدولة المصرية آخذة فى الارتقاء أيام هذه العائلة  
كما كانت أيام العائلة السابقة

\*( العائلة السادسة )\*

قام من هذه العائلة ستة ملوك حكموا ٢٤٣ سنة منهم الملك ( مريرع )  
الذى اتخذ مدينة أصوان قاعدة لمملكته وقيل أنه كان محباً للزراعة والتجارة  
حتى وأن المحصولات تضاغت فى أيامه ففتح طريقاً تجارياً بين قفط والبحر  
الأحمر فضلاً عن سياسته الداخلية والخارجية التى كانت سبباً لتقدم البلاد فى  
أيامه • وكانت خاضعة له جهات طورسينا وليبيا والنوبة والحبشة • ثم بعد  
أن مات خلفه ابنه ( مرنرع الاول ) وهو أول من أدخل صناعة السفن بالبلاد  
المصرية

ومن ملوكها الملكة ( نيتوكريس ) المشهورة فى التواريخ بأنها الحسناء ذات  
الحدود الوردية - وقد أطرى فى وصف جمالها وكماها المؤرخ مانيتون المصرى  
خصوصاً المؤرخ الشهير هيرودوت اليونانى حيث كانت فى الحقيقة بالغة منتهى  
الحسن والجمال والقد والاعتدال • تلك التى استلمت زمام الملك بناء على  
ماقرره بينوتريس أحد ملوك العائلة الثمانية كما نوهنا عنه أولاً - وكان لتلك  
الملكة أن تحبته بعلماً لها فقتله بعض رجال الدولة قبل أن يستلم زمام الملك  
لكنها لما استلمته أضمرت فى نفسها الشر لقاتلى أخيها فاصطلمت لاجل ذلك

سرداباً تحت الارض يصل بين النيل وبين محل أعدته لوليمة دعت اليها بعضاً من الاعيان ورجال الدولة الذين كان من ضمنهم قاتلوا أخاها • فلما اجتمع الجمع في قاعة الوليمة فتحت باب السرداب من جهة النيل فانطلق الماء اليهم فأغرقهم أجمعين • أما هي فقتلت نفسها بنفسها عقب تلك الحادثة المؤلمة التي بعدها نارت الفتن في داخلية البلاد • وعلى العموم فإن الدولة المصرية في عهد هذه العائلة كانت سائرة في التقدم والارتقاء سيراً لا يفوقه سير العائلات المتقدمة خصوصاً فإن فن الرسم صار إتقانه في أيام هذه العائلة إتقاناً فاق أنواع الرسومات القديمة بحيث أن من تعود معاينة الآثار المصرية يقدر على تعيين أى رسم كان من رسوم هذه العائلة

### ﴿ العائلة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر ﴾

هذه العائلات حكمت ٤٣٦ سنة ولم نعلم شيئاً عن تاريخها الطموس أخبارها إلا أن قاعدة الملك مدة العائلتين الأولتين كانت منف ومدة العائلتين الأخيرتين كانت اهناس المدينة • وإلى هنا انتهت تلك العائلات الملوكية بل الدولة المصرية الأولى كما اتفق على ذلك أغلب المؤرخين ولو أن تقدم البلاد أخذ يتقهقر في آخر عهدهم إلا أننا لا نبغض الناس أشياءهم من جهة ما بذلوه في سبيل خدمة البلاد والعباد وما قاسوه وعانوه من المتاعب والمصاعب والشقاء حتى ألبسوا البلاد المصرية لباساً جعلها تفتخر به على مجاورها وذويها من الممالك الأخرى • قال المؤرخ الأثرى الشهير - مارييت بيك الذي كان ناظراً للآثار كخانة المصرية - مانسه : « ولعمري ان المنظر الذي يظهر من حال مصر في عهد الدولة المصرية القديمة ( أعني الدولة الاولى ) هو جدير جداً بأن يقف عاينه الناظر البصير • وذلك أنه بينما كان سكان سائر جهات الارض المغمورة في تلك الحقبة منغمسين في ظلمات التوحش والبداءة وكان أشهر الملل والأئم الذين

صار لهم في ما بعد في المصالح الدنيوية من العناية والمدخلية المنصب الاعظم لم يزالوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر ليمين الراى في منظر حسن جميل ومراى زاه زاهر جليل تغدئ قوماً من الناس في سالف تلك الحقبة أولى حكمة وتمدن وأدب • ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حسن ترتيب هائل من أرباب المناصب الذين يحكمون في البلاد بكل نشاط وعدالة • انتهى ببعض تصرف

### العائلة الحادية عشر والثانية عشر

هاتان العائلتان حكمتا ٢١٣ سنة وعدد ملوكها أربعة وعشرون ملكاً أولهم ( أنتف عا ) الذى استولى على الملك بالقوة والمغالبة نظراً لسطوته وعلو همته مع انه لم يكن من سلالة الملوك • وقد بنى هرمًا من الطين في الجهة المعروفة بذراع أبى النجاء بمديرية قنا وعمل له في وسطه ضريحاً متقناً دفن فيه بعد أن توفاه الله

ومن ملوك هذه العائلة الملك ( أنتف الرابع ) الذى استتبقت الفتن قليلاً في أيامه بما جبل عليه من الحكمة والبطش فضلاً عن أنه أقام مسلة بالقرب من العرابية المدفونة

ثم تولى بعده ( منتو حتب الرابع ) الذى انتهت الفتن الداخلية على يديه فاستقل بالملك جميعه في الوجه البحرى دون أن يكون له شريك أو منازع بخلاف من حكم قبله من هذه العائلة فانهم ما كانوا ملوكاً مستقلين بالتمام وتولى بعده « ستنح كارع » الذى كانت له اليد البيضاء في اتمام الطريق التجارية التى كان شرع فيها الملك مريـر ع أحد ملوك العائلة السادسة حيث سارت فيها التوافل التجارية القادمة بالبضائع والسلع من بلاد الهند والعرب من وقتها حتى عصر اليونان والرومان • وقد قيل ان معظم آثار هذه العائلة

من عمارات وخلافها لا يزال محبوباً في تلك الجهة المعروفة بذراع أبي النجاء ولكن يظهر أنها لا تدل على براعة أو اتقان في الصنعة أو تقدم في المدنية • قال المؤرخ الأثرى ماريت بيك البادى ذكره : « تلك العمارات - أعني عمارات هذه العائلة - لم يزل يتظاهر عليها اشارات الغشامة والقساوة ويتبادر منها علامات الغلاظ والبسداوة • وبالإطلاع عليها يظن الناظر إليها أن الدولة المصرية في عهد العائلة الحادية عشر الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلبست به من حالة الطفولية في عهد العائلة الثالثة الملوكية »

أما العائلة الثانية عشر فأول ملوكها هو ( أمنمحت الاول ) الذى قهر كافة من كانوا سبياً في هيجان أو ثورة تحصل في البلاد المصرية الذين هم كانوا عبارة عن عصب من أهالى ليبيا والنوبة وآسيا تجمعوا لقتاله في مدينة منف وحاربهم الى أن قهرهم وانتصر عليهم وأزال ما كان يحصل من تلك الثورات وذلك الهيجان • وكان رجلاً عاقلاً حكماً وشجاعاً مقداماً حتى صرف أيامه في خدمة الدولة مادياً وأدبياً

وقبل وفاته ولى ابنه ( أوسرتسن الاول ) وهو صاحب المسئلة المشهورة في المطرية وكان أقام بجانبها مسلة أخرى شاهدها المؤرخ عبد اللطيف البغدادى إلا أنها فقدت ولم يبق لها أثر الآن • أما المسلة الأولى فلم تزل موجودة بالمطرية منقوشاً عليها بالقلم المصرى القديم مامأخضه : « ان الملك المنصور حياة كل موجود سلطان الوجه القبلى والبحرى صاحب التاجين وسلالة الشمس ( أوسرتسن ) المحب لمعبودات المطرية دام بقاءه قد نصب هذا الأثر في مبدأ العيد الرسمى تخليداً لذكرك واحياء لهذا العيد • فضلاً عن ذلك قد نصب مسلة أخرى فيما يحاذى قرية بجيج بحجة الفيوم • وقيل بأن هذا الملك لم يمت من أول المؤسسين لهيكل طيبة أعني به هيكل الأقصر ( وقد شاهده بنفسى فى أوئل

سنة ١٩٠٠ ميلادية عندما كنت مسافراً للسودان حيث وقفت زرت هذا الهيكل فرأيت في الحقيقة يدل على قدرة عظيمة وبراعة في الصنعة خصوصاً في العلوم الهندسية)

ومن ملوك هذه العائلة (أوسر تسن الثالث) الذي بنى هرماً في دهشور وشاد قلاعاً كثيرة في وادي حلفا منها قلعتان تعرفان الآن بقلاع (قنة • وسمنة) ومنهم (أمنمحت الثالث) الذي كانت له اليد الطولى في حفظ البلاد من آفتين هائلتين وطامتين عظيمتين : أولاهما حصول الجذب والقحط فيما لو كانت زيادة النيل الالورية قليلة • وثانيتهما قاع القناطر وتكسير الجسور وإفساد الترع والخدجان وإغراق القرى والبلدان وبعض من فيها من السكان فيما لو خرج النيل عن مجراه الطبيعي بكثرة مائه وغزارة فيضانه • لذلك اتجهت أفكار هذا الملك فرأى في الصحراء القريبة من مصر بادية شاسعة الاطراف في وسطها بقعة منخفضة من الارض تكاد لا تزيد ارتفاعاً عن أراضي وادي النيل تبلغ مساحتها عشرة ملايين من الامتار المربعة فأمر بحفر ترعتين توصلان مياه النيل لهذه البقعة احدهما كانت تبتدىء من النيل بجانبه الغربي وتجرى معحازاة بحر يوسف الموجود الآن والأخرى كانت شمالاً • وهاتان الترعتان تحمالان كافة مياه النيل الزائدة في كل سنة وتلتقيان أخيراً حيث تصبان في تلك البقعة الفسيحة التي عرفت ببركة موديس ولكن لم يكن لها أثر الآن فضلاً عن عدم معرفة موقعها الأصلي بالتام • وبحوار بحيرة موديس بناء هائل يعرف باسم (لابرانتا) واسمه بالمصرية (لابورا حونت) أعني معبد • فم البحر كان بناء هذا الملك ليجتمع فيه مجلس الأعيان من عموم الكهنة حيث كان في هذا المعبد رحبات تشتمل على ثلاثة آلاف غرفة يحيط هذا البناء سور من الخارج عليه جملة نقوش

وعلى العموم فقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية عصرًا سعيداً فانتظمت أحوال الدولة واستتب الأمن في داخليتها وازدادت وفاهيتها واتسعت سلطتها وكثرت توابعها وعلت كلمتها لدى عموم الممالك الأجنبية . الأمر الذي ساعدها على إنشاء بعض العمارات الأثرية العجيبة والابنية القريبة التي تضاهي في بعض الأحيان عمارات العائلة الملوكية الرابعة . قال المؤرخ الشهير فرنسيس لونورمان ماملخصه : « لانزاع في أن عصر العائلة الملوكية الثانية عشر قد كان في تاريخ الأمة المصرية من أعظم الأعصار لبلوغها أوج الافتخار والازدهار »

### ﴿ العائلة الثالثة عشر ﴾

هذه العائلة حكمت ٤٥٣ سنة وملوكها ستون لانعلم عنهم شيئاً من التاريخ سوى أن أحدهم المدعو ( سيدخوطيب - أو - نيفروطيب ) الذي ترك آثاراً كتابية على صخور شاذخة صعبة التسلق عند ضفة النيل بالقرب من قلعة سمته . تلك الآثار التي تشير لدرجات ارتفاع مياه النيل في السنة الثالثة من حكم الملك المذكور مما لو قورن بارتفاع مياه النيل في هذه الايام لكان أقل ارتفاع للنيل في تلك الازمان يز يد سبعة أمتار عن أعلى ارتفاع في هذه الايام فليتأمل المتأملون . .

### ﴿ العائلة الرابعة عشر ﴾

هذه العائلة حكمت ١٨٤ سنة وملوكها خمسة وسبعون ملكاً لانعلم عنهم شيئاً سوى أن قاعدة المملكة وقها كانت مدينة ( خيس ) الموجودة في منتصف الدلتا ويقال لها الآن ( سخا )

### ﴿ العائلات الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر ﴾

( أعني دولة الرعاة أو المهاجرة )

هذه العائلات حكمت ٥١١ سنة والعائلة الخامسة عشر مؤلفة من ملوك

الرعاة الذين كانوا أتوا مصر مع بعض قبائل العرب والشام الرحالين النزاليين بسبب ما وجدوه فيها من الفتن والانقسامات الأهلية في ذلك الوقت . وكان أقواهم في العصبية القوم المعروفون بالحشيين المتناسلين من أولاد كنعان بن حام فاما أتوا مصر وغاروا عليها تغلبوا على المصريين وأدخلوهم تحت طاعتهم بعد أن ساموهم العذاب ألواناً وعاثوا في البلاد فساداً وعاملوهم معاملة وحشية بفظاظة غليظة حتى وأنهم ضمناً أثلثوا أغلب العمارات الأثرية وحرقوا المعابد بعد أن نهبوا ما فيها ثم جعلوا منصف عاصمتهم ملكهم ففر ملوك المصريين إلى الصعيد وعلى العموم فإنهم استعبدوا المصريين وفعلوا بهم فعل التتار ببلاد الصين . ذلك الذي يعبر عنه في التواريخ الأفرنجية بغارة ملوك الرعاة على الديار المصرية المعلوم عند المؤرخين المسلمين بملك العمالة على ديار مصر

وكان ملوك العمالة ستة أولهم ( سلاطيس ) الذي اتخذ الحيلة من المصريين والأجانب فشيّد الحصون وبنى القلاع وبنى الجند العظيم ثم تداول خلفاؤه الملك بعده واحداً بعد واحد ومدة حكمهم جميعاً ٢٦٠ سنة

وهؤلاء الرعاة أو العمالة كانوا في بادئ أمرهم مستبدين يسومون المصريين أنواع العذاب إلا أنهم أخيراً تخلقوا بأخلاق المصريين وتطبعوا بطباعهم الأهلية فحصلت الألفة وتواجد الاتحاد فتنازلوا عن تلك المعاملة الوحشية بأن قربوا اليهم المصريين واستخدموهم في مصالح الدولة واعتنوا بالبلاد اعتناء زائداً فبنوا المدارس والمعابد ونشروا العمالة فازدادت ثروة البلاد زيادة دلت وقتها على تقدمها مالياً وأدياً . ذلك الذي حجب اليهم الأهالي قاطبة فضع اليهم الوجه القبيح خضوعاً تاماً حيث كان ينازعهم الملك أولاً فأصبحت البلاد المصرية كلها في حوزتهم وتحت سلطانهم وإمرتهم

ثم بعد هذه الدولة قامت دولة الرعاة الثانية وهي العائلة السادسة عشر

التي عدد ملوكها اثنان وثلاثون لانعلم شيئاً عنهم سوى الملك المدعو  
(أياني أعا ككن) عند المصريين أما المؤرخ مانيتون فيدعوه (آبو فيس)  
والعرب يدعونه (الريان بن الوليد) الذي في أيامه نزع الى مصر كثير من أهل  
الشام فاستوطنوها ولكنهم حافظوا على لغتهم محافظة شديدة . وقيل في أيامه  
حضرت السيارة التي باعت يوسف الصديق الى عزيز مصر كما شرحنا ذلك  
أولاً في تاريخ الامة السامية

أما العائلة السابعة عشر فكانت الحكومة المصرية في أيامها منقسمة الى  
حكومتين احدهما حكومة وطنية بيد المصريين وقاعدة ملكها (طيبة) والثانية  
حكومة أجنبية بيد الرعاة وقاعدة ملكها (صان) . وعدد ملوك هذه العائلة  
٤٣ ملكاً لانعرف عنهم شيئاً سوى أن أقصى ما وصل اليه العلم هو أنهم لم تنته  
حتى انتهى معها حكم الرعاة أعني ٢٢ العمالة

### ✽ العائلة الثامنة عشر ✽

هذه العائلة حكمت ٢٤١ سنة عدد ملوكها أربعة عشر ملكاً منهم  
(أحمس) ويسميه المؤرخ المصري مانيتون باسم (أموزيس) الذي كان في  
أول نشأته غيوراً على وطنه فسمى وراء محالفة ملك إيتيوبيا لكي يستعين به  
على طرد العمالة من البلاد المصرية . وقد ثبت تلك المحالفة بأن تزوج بنت  
ذلك الملك حيث من عهدها أخذ يغالب العمالة حتى ظفر بهم واستولى  
بطريق العتوة على قاعدة ملكهم وأدخل تحت طاعته سائر البلاد المصرية  
لغاية حدود أرض كنهان . أما ملوك العمالة ورؤساء عائلاتهم فقد فروا  
هاربين الى بلاد آسيا ومن بقي من عائلاتهم فقد رخص لهم الملك بالبقاء الا أنه  
أخيراً عاماهم معاملة قاسية حيث كانوا يشتغلون في قطع الأحجار من محاجر  
طره لبناء وتجديد كثير من المعابد والعمارات الفخيمة التي دلت على أن أيامه

كانت أيام سعادة وابتهاج خصوصاً لأنه أعاد الملك للمصريين الوطنيين فكان ذلك أعظم نحر يستحقه هذا الملك العظيم

ومن ملوك هذه العائلة الملك ( أمنحتب الاول ) الذي كان عادلاً مسالماً تزوج بامنة ملك ايتيوبيا وجشاهما موجودتان الآن في الانتيكخانة المصرية ومنهم ( تحوتمس الاول ) الذي كان شجاعاً محارباً فاقسمت في أيامه الدولة المصرية اتساعاً مهولاً . وقد شاد معبد آمون في الكرنك ومسنتين إحداها لا تزال الى الآن عند باب المعبد المذكور أما الثانية فلم يكن لها أثر في الوجود ومن ملوكها ( تحوتمس الثالث ) الذي كان على جانب عظيم من الشجاعة والسياسة حتى لقبوه بالسلطان الأعظم ولو أن أيامه كلها كانت أيام حروب وكروب وشدائد نظراً لخروج أكثر بلاده عن طاعته الا أنه قهرها وأعادها كما كانت حتى بعد وفاته كانت في حوزته الحبشة والنوبة والشام والجزيرة والعراق العربي وكرديستان وأرمينيا وجزيرة قبرص

ومن ملوكها ( أمنوفيس الثالث ) الذي كثرت في أيامه الفلاقل والفتن فأخذها بما جبل عليه من الشجاعة والحزم والنشاط والمهابة والوقار . لذلك كان يلقب نفسه بسلطان البرين وأمير العالمين ( أعنى عالم آسيا وعالم أفريقيا ) وعلى العموم فان هذه العائلة كان لها شأن عظيم في تاريخ مصر القديم حيث كانت البلاد المصرية في أيامها قد قامت من رقبتها فأحييت عزها ومجدها الى أن اتسعت وامتدت سطوتها الى أنحاء بعيدة كما سبق الايضاح

### ﴿ العائلة التاسعة عشر ﴾

هذه العائلة حكمت ١٧٤ سنة تقريباً وعدد ملوكها ثمانية أولهم ( رمسيس الاول ) الذي اعتلا الملك وهو يثن من الثورات الدينية الا أنه أبلى في ذلك بلاء حسناً حتى توفاه الله

ومن ملوكها (رعمسيس الثاني) الذي قضى أيامه كلها في حروب وفتوحات وتشديد عمارات وإقامة آثار لا يكاد يوجد شيء منها الا وعليه اسمه ورسمه . فالمطلع يحكم لاول وهلة بأنه أعلى وأعظم ملك تواجد في البلاد المصرية حتى وأنه اجتذب قلوب الرعية فانقادوا اليه انقياداً أعمى ووضعوا فيه الثقة بدرجة العبادة المتناهية ونجته موجودة الآن بالاتيكنخانة المصرية . ذلك الذي ظهر لنا من آثاره وأقوال معظم المؤرخين الا انه لم يرق في عيني المؤرخ الفرنسي ساوي الشهير فرنسيس لونورمان حيث نعت به بدناءة النفس والطمع الاشهي والكبر المتناهي والظلم الجائر والتعدي على آثار من سبقه من الملوك بأن محي من آثارهم أسماءهم ووضع عوضاً عنها اسمه كأنه هو مؤسسها وبانيها زوراً وبهتاناً . مستنداً على ذلك بما ورد في سفر قصة خروج بني اسرائيل من مصر حيث قيل عنه في للتوراة بأنه الملك الجائر الذي أثقل كاهل الاسرائيليين بأنواع الظلم والاستعباد . فضلاً عن سندات أصلية أثرية وقيودات أهلية مصرية قد ظهرت أخيراً مشروحات فيها ما كان عليه أهالي مصر من الضنك والكرب أيام الملك المذكور

وبعد هذا الملك كان ابنه (منفتاح الاول) الذي كانت أيامه أيام اختلال واعتلال بسبب ما أتاه والده من الظلم والجور . وقيل بأن هذا الملك أساء للاسرائيليين فسامهم سوء العذاب الى أن قضى الله بخروجهم فأرسل لهم نبيه موسى عليه السلام وكان بينه وبين هذا الملك ما كان مما سطرناه عند التكلم على الامة السامية في غير هذا المكان

### ﴿ العائلة العشرون ﴾

هذه العائلة حكمت ١٧٨ سنة وعدد ملوكها اثني عشر منهم (رعمسيس الثالث) الذي بنى القصر المتسع الكائن بمدينة آبو من طيبة الصعيد

حيث منقوش على واجهة أبوابه صورة الملك المذكور وهو واقف وقفه المحارب  
الذى يحمى بلاده من غارات الأعداء بكل شجاعة وإقدام • فضلاً عما أنه  
من توسيع معبد الكرنك وإصلاح هيكل الأقصر وغيره من مباني الوجهة  
البحرية مما يدل على أنه كان باذلاً جهده في إعلاء شأن الدولة حتى وإن المؤرخين  
قالوا أنه آخر المصريين العظام وخاتم الفرعنة الفخام • ثم تولى بعده ملوك آخرون  
كانت الدولة في أيامهم مكسورة الجناح قليلة الشوكة ألعوبة في أيدي ذوى  
الآغراض إنما الأمر الذى يستحق الذكر هو أن تاريخ الحوادث في أيام  
العائلات السالفة كان غير منتظم بالكلية حتى وإنه لا يمكن بالضبط تعيين زمن  
ولاية ملك أو عائلة أو حصر المدة التى حصلت فى بحرهما كافة الحوادث  
التاريخية إلا أنه من بعد ولاية الملك رعمسيس الثالث البادى ذكره انتظم  
التاريخ انتظاماً زائداً بدليل ما وجدته العالم الفرنساوى المشهور باسم ( بيوت )  
فى التاريخ الفلكى المنقوش على جدران ذلك القصر الذى بناه الملك المذكور  
حيث منه استنبط أن تاريخ تولية هذا الملك كان فى سنة ١٣١٢ قبل الميلاد •  
وقد عزز ذلك ما لى عليه نصوص القيودات الهيروغليفية التى استكشفها  
المؤرخ مارييت بك فى أطلال مدينة منف فيما يتعلق بمدة ولاية الملوك من  
عهد هذه العائلة بالسنة والشهر واليوم • وتلك القيودات موجودة الآن بمخزن  
المتحف الحفوة بسراية ملوك فرنسا المسماة بقصر لورد بياريس

### ✽ العائلة الحادية والعشرون ✽

هذه العائلة حكمت ١٣٠ سنة وملوكها أربعة أولهم الكاهن ( حرحور )  
الذى انتهز فرصة الاختلال والفن التى انتابت العائلة السابقة أخيراً فاختلس  
الملك بطريق منقوش على هيكل ( خونسو ) ببطية ثم أعقبه فى الملك ابنه  
الكاهن ( يعنخى ) وبعد ابنه الكاهن ( يينوزم الاول ) الذى تقلبت فى أيامه

الفتن والاضطرابات بسبب الذين صار نفيمهم من العائلة السابقة حيث لم يستتب الأمن الا بحضورهم من منقاهم

وفي أيامه حضر النمرود من أشور واكتسح البلاد المصرية فامتلكها وضمها الى بلاده وبعد وفاته صار دفنه في المرابطة المدفونة

﴿ العائلة الثانية والعشرون ﴾

هذه العائلة حكمت ١٧٠ سنة وعدد ملوكها تسعة أولهم ( ششنق الاول ) وهو ابن نمرود الأشوري البادي ذكره ويدعى في التوراة باسم شيشاق المتناسل من سام بن نوح الذي استولى على أموال بيت المسجد الأقصى الذي بناه سليمان الحكيم ثم استولى على كافة ما بالقصور الملوكية التي من ضمنها الدروع السلجمانية الذهبية المشهورة وقد نقش صورته على الجدار القبلي لهيكل الكرنك وبجانبه أسماء المدن التي افتتحها مكتوبة في ست وتسعين منزلة وكذلك رسم صور الملوك الذين كانوا تحت حكمه ومن ضمنهم الملك رحبعام بن سليمان

وعلى العموم فان مصر تجزأت في أيام أواخر ملوك هذه العائلة الى أجزاء متفرقة يحكم كل منها حاكم ليبي تحت ادارتهم فاستبد أولئك الحكام الى أن علوا علواً كبيراً فاستقلوا بما تحت أيديهم ولقبوا أنفسهم بالفراعنة

﴿ العائلة الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون ﴾

هاتان العائتان حكمتا ٩٥ سنة ملوكها تسعة أولهم ( بتوباستيس ) الذي في أيامه انقسمت مصر الى عشرين اقليماً يتبع كل منها أقسام يتولى على كل منها أمير يرجع في معضلات أحكامه الى المركز العمومي للأقاليم وآخرهم اسمه ( بوخوريوس ) الملقب بالقانوني لقوة ادراكه وبراعته في ادارة الدولة ولكن خانه دهره فلم يلبث قليلاً حيث قام ( سابا كون ) ملك إيتيوبيا فقبض عليه وألقاه حياً في النار فمات وبموته انتهت العائلة الرابعة والعشرون

✽ العائلة الخامسة والعشرون ✽

هذه العائلة حكمت ٥٠ سنة وملوكها أربعة أولهم (ساباكون) البادي ذكره الا أنهم مضوا مدتهم في حروب داخلية وخارجية لافائدة من ذكرها ولذلك لم يذكروا في الحكم الا قليلاً

✽ العائلة السادسة والعشرون ✽

هذه العائلة حكمت ١٣٨ سنة أولهم (بسمتيك) الذي لم يكن من العائلات الملوكية بل بما كان عليه من الجدة والاجتهاد وحسن السمعة توصل للاقتزان باحدى بنات العائلات الملوكية فاكسب بواسطتها حق التملك حيث وقت أن تولى الملك كانت مصر في حالة رديئة تنز من الضعف الذي أصابها بسبب حروب العائلة السابقة الا أنه بجزمه وعزمه توصل لتوطيد الأمن فأحيا ربوعها وأعاد رونقها اليها بما بناه فيها من المعابد وجدده من التصليلات دفعة واحدة خصوصاً اعتنى اعتناء شديداً بصناعة الحفر والنقش فضلاً عن الحصون والقلاع التي أقامها خوفاً من إغارة الأجانب . وعلى هذا النحو لبثت هذه العائلة حتي الملك (بسمتيك الثالث) حيث كانت دولة الفرس وقتها تحت حكم ملكها (قبيز) الذي كان قوياً طماعاً فاتجهت أفكاره لاكتساح البلاد المصرية فحش لها الجيوش الفارسية فخصات بينه وبين بسمتيك المذكور موقعة كبيرة لم تمكن قبيز من الحصول على شيء الا أنه تمكن من الغلبة على المصريين بحيلة لطيفة مقتضاها أنه وضع في مقدمة الجيش كثيراً من القطط والبزاة وغيرها من الحيوانات المقدسة عند المصريين الذين لما ان رأوها لم يجسروا على رمي السهام مخافة أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة ففر المصريون من أمام الفرس قاصدين مدينة منف الا أن الأمر قد انتهى أخيراً بدخول البلاد المصرية في حوزة الفارسيين أعنى العجم

والذى يجدر ذكره عن هذه العائلة انها كانت أول عائلة تساهلت فى دخول  
الاجانب تساهلاً زائداً لحدّ خصوصاً اليونانيون الذين كثر عددهم وقتما انشئت  
معامل لتشييد السفن الحربية

\*(العائلة السابعة والعشرون)\*

(وهى الدولة الفارسية الاولى)

حكمت هذه العائلة ١٢١ سنة وملوكها سبعة أولهم قبيز البادى ذكره  
الذى بعد أن استولى على مصر وأخذ فى تحسينها مال لفتح بلاد ايتيوبيا فأرسل  
لملكها رسلاً بالهدايا المملوكة الا أن ذلك لم يغب على الملك المذكور الذى لقنهم  
بعض كلمات مشتملة على رموز سياسية عند ماسمعا قبيز احتاطته سورة الغضب  
فاستقدم الجند وجيش الجيش وسار به من أقرب الطرق بدون أن يكون  
مستعداً من مؤونة جيشه وأمن طريقه فضلّ فى صحراء كروسكو وهولايدرى  
مسافتها فعمش الجيش وجاع حتى أكلوا الحيوانات ثم أكلوا بعضهم بعضاً  
فعاد قبيز بصفقة المغبون والشرار يتطاير من عينيه • ولما أن وصل منتصف كان  
أهلها يطربون ويمرحون احتفالاً بعيد أحد معبوداتهم فظنهم فرحون خيبتهم  
فأبلى بكنهتهم بلاء حسناً وقتل أخته وكثيراً ممن هم بريئون • وعلى العموم  
فأن بعض المؤرخين ينسبون له الجنون عقب تلك المسألة المشؤومة

ثم تولى بعده (دارا) ومن مآثره انه سهل للتجارة فازدادت فى أيامه  
زيادة عظيمة وهكذا لبث الامر حتى (دارا الثانى) حيث به انتهت هذه العائلة  
وعادت مصر للمصريين

\*(العائلة الثامنة والعشرون)\*

هذه العائلة حكمت سبعة سنين ولم يكن لها الاملك واحد يدعى (أميرتيوس)  
الذى أقامه المصريون مائكاً عليهم عند تخاصمهم من حكم الفارسيين • وتلك المدة

التي مضاهها كانت كلها في اصلاح الناس وترميم المعابد والسمارات

﴿ العائلة التاسعة والعشرون ﴾

هذه العائلة حكمت واحداً وعشرين سنة وعدد ملوكها أربعة ليس في تاريخهم شيء يستحق الذكر سوى أن الفرس كانوا يناوئونهم الشر والعسداء تمهيداً للاستيلاء على البلاد المصرية إلا أن تعهم في ذلك ذهب أدرج الرياح

﴿ العائلة الثلاثون ﴾

هذه العائلة حكمت ثمانية وثلاثين سنة وعدد ملوكها ثلاثة قضوا حياتهم بين حذر ودفاع خوفاً من استيلاء الفرس الذين كانوا مسترقين كل فرصة لابتلاع البلاد حتى آخر ملوك هذه العائلة المدعو ( نكتانيبس ) الذي حصصات في أيامه عدة وقائع حرية بينه وبين الفرس انتهت أخيراً بتغلبهم عليه مع ما كان متخذ من الاحتياطات الزائدة بجيشه العظيم الذي كان تحت قيادة كثير من القواد اليونانيين المجريين . وكان هذا الملك آخر من حكم البلاد المصرية من المصريين الأصليين لأنها خرجت من يده إلى الفرس ومنهم إلى اليونان ثم الروم ثم العرب ثم الترك

﴿ العائلة الحادية والثلاثون ﴾

( وهي الدولة الفارسية الثانية )

هذه العائلة حكمت ثمانية سنين وعدد ملوكها ثلاثة أولهم الملك ( أوخوس ) الذي نزع البلاد من المصريين ثم مات مسموماً فتولى بعده ابنه ( أرسيس ) الذي مات بعد سنتين وقام بعده أحد أقاربه المدعو ( دارا الثالث ) الذي كان معاصراً للإسكندر المقدوني فتقهقرت في أيامه دولة الفرس حيث كانت دولة اليونان آخذة في التقدم والاتساع بهمة الإسكندر المذكور الذي افتتح البلاد ووسع

المملكة الى أن استولى على الهند وفارس ثم غار على مصر أخيراً وهناك حصلت  
موقعة هائلة كان فيها دارا الثالث ملك مصر فانهزم هو وجيشه بعد أن قتل  
الخلق الكثير ومن ضمنهم دارا المذكور فانتقلت بعده مصر الى اليونان  
﴿ العائلة الثانية والثلاثون ﴾

﴿ وهي الدولة اليونانية ﴾

حكمت تسعة سنين وأول وآخر ملوكها الملك ( اسكندر الاكبر المقدوني )  
الذي استولى على مصر عنوة وابتنى مدينة الاسكندرية التي دفن فيها بعد أن  
مات في بابل وعمره ٣٣ سنة • وكان رجلاً عاملاً شجاعاً غيوراً على الدولة  
والامة

﴿ العائلة الثالثة والثلاثون ﴾

هذه العائلة حكمت ٢٩٣ سنة وعدد ملوكها خمسة عشر ملكاً أولهم  
( بطليموس الأول ) الذي كانت أيامه أيام تقدم وفلاح حيث أنشأ المدارس  
وأكثر الصناعة وعزز العلم في ذلك العهد خصوصاً فانه أنشأ المكتبة الشهيرة  
التي طار صيتها في الآفاق

ومن ملوكها ( بطليموس السابع ) الذي كان عاقلاً حكيماً منشطاً للعلم  
والصناعة حتي وأنه كان يمارسهما بنفسه فألف نحواً من أربعة وعشرين مدرسة  
معظمها تدرس علم الحيوان

ومن ملوكها ( كيليوطرا ) التي كانت غاية في المكر والدهاء متناهية في  
الجمال حتي وأنها بسبب ذلك كانت منغمسة مدة حكمها في ملاذ الدنيا وملاهي  
الحياة الى أن انتهى أمرها أخيراً بأن قتلت نفسها بنفسها فانتهت اليونان من  
مصر بانتهائها حيث دخلت في حكم الرومانيين

﴿ العائلة الرابعة والثلاثون ﴾

( وهى الدولة الرومانية )

هذه الدولة حكمت ٤١١ سنة وكانت ترسل من قلمها ولاية على مصر ليس فى سرد أخبارهم ما يستحق الذكر سوى ان الديانة المسيحية كانت ظهرت وقتها فى عالم الوجود فجاء بعض نهرائها الى مصر ولاقوا ملاقوه من الاضطهادات الشديدة التى أشهرها اضطهاد ( ديوقليطس ) حيث استبد بالمتبعين فقتل منهم الجمل الغفير بين كهنة وعامة حتى سنة ٣٨١ ميلادية قام امبراطور الروم ( ثيودوسيوس ) فنهى المصريين عن عبادة الاصنام واستألم للديانة المسيحية وتنفيذاً لذلك هدم كافة الهياكل وأبطل التقاليد الوثنية الدينية بمساعدة بطريرك اسكندرية وقتها الذى كان يدعى ( ثيوفيلوس ) وهما اللذان فى الحقيقة يستحقان الثناء والثوبة من الله والناس أجمعين لانهما كانا سبباً لاجراج المصريين من الظلمات الى النور ومن هنا يتبدى الدور المسيحى

﴿ الدور المسيحى ﴾

وهو الدور الذى مكث ٢٥٩ سنة والبلاد المصرية لم تزل على حالتها الاولى من عدم استقلالها بنفسها ووجودها فى حوزة الاجانب حيث لم ادخل الدين المسيحى فى البلاد المصرية أخذ ينمو وينتشر بسرعة زائدة فانتشلت الامة المصرية بواسطته مما كانت فيه من الجاهلية الاولى وأصبحت تدين بالدين الذى فى الحقيقة أشرف مما كان المصريون يدينون به ويعبدونه من التماثيل والاصنام فى ذلك الوقت • وتصادف أن امبراطور الروم ( ثيودوسيوس ) البادى ذكره توفى سنة ٣٩٥ ميلادية فانقسمت مملكته الى قسمين عظيمين ترأسهما ابناء اللذان ما فتئتا يتناظران ويتنازعان حتى تمكن الحق فى صدورهما فكثر الانقسامات الالهية خصوصاً الدينية التى ازدادت شيئاً فشيئاً فقامت الحرب سجالاً بين

اللاهوتيين حيث كان وقتها الحاكم على مصر من قبل الدولة الرومانية هو المقوقس يوحنا بن قرقت اليوناني الذي انتهز فرصة ذلك الفشل وتلك الفتن الداخلية فوجه دفة أفكاره للتخلص من الدولة الرومانية والاستقلال بنفسه حيث رأى وقتها أن ذلك مطابق لأفكار عموم الأمة المصرية إلا أن المقادير من جهة أخرى أعدت البلاد المصرية لأمة حديثة ألا وهي الأمة الإسلامية التي باستيلائها على البلاد المصرية انتهى الدور المسيحي وابتدأ الدور الاسلامي

﴿ الدور الاسلامي ﴾

بينما كان الدين المسيحي آخذاً في الانتشار خصوصاً بين المصريين ظهر محمد صاحب الشريعة الاسلامية عليه أفضل الصلاة والسلام فأخذ في نشر دعوته بين الناس خصوصاً بين الملوكة والامراء والحكام الذين كان من ضمنهم المقوقس حاكم مصر حيث لما ان وصلته تلك الدعوة بعث لمحمد صلى الله عليه وسلم هدية سنوية كانت سبباً لتمكين الصلاة بين مصر ودولة العرب حتى سنة ١٨ هجرية كان أمير العرب أعنى أمير المسلمين أو أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الذي اتسعت الدولة الاسلامية في أيامه اتساعاً زائداً فتاقت نفسه بل نفس عموم المسلمين لفتح البلاد المصرية فأرسل لها أحد قواده المشهورين بالحزم والعزم وهو المدعو عمرو بن العاص الذي قاد أربعة آلاف من الرجال الاشداء فأبلاوا بالمصريين بلاء حسناً الى أن وصلوا سفح جبل المقطم إلا أن الفتح تعذر عليهم في ذلك الوقت فأمدهم الخليفة بأربعة آلاف آخرين وساروا جميعاً قاصدين المقوقس الذي على ما يظهر كان متألماً في السر من حكم الروم نظراً لما بينه وبينهم من الضغائن الناتجة من الانقسامات الدينية . لذلك مال لمسلمة العرب فأرسل لعمرو بن العاص رسلاً حاملين منه كتاباً ولو ان فيه بعض التهديد إلا انه طلب منه رجالاً يتفاوض معهم في ما يلزم خالة الطرفين حقناً للدماء فكتب له عمرو مانصه :

« انه ليس بيني وبينكم الا احدي ثلاث خصال : إما ان دخاتم في الاسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا • وإن أيتتم فأعطيتهم الجزية عن يد وأنتم صاغرون • وإما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »

فلما جاء الرسل اليه سأهم عن العرب وماهم عليه فقالوا له : « رأينا قوماً الموت أحب الى أحدهم من الحياة والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة • ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة • إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم لا يعرف رفيعهم من وضعهم ولا السيد من العبد • وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد منهم • يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم »

فلما سمع المقوقس ذلك مال لهم كثيراً وسمي في المسألة بعد أن عرضها على رجال حكومته واستحوذ على أفكارهم حتى انصاعوا اليه ووافقوه على طلب الصالح فكثب لعمر بن العاص يطالب منه رسالاً يتفقون على ما فيه الصالح للطرفين فأرسل له كما أراد الا أن الصالح لم ينته الا بعد أن تقابل عمرو ابن العاص بالمقوقس وتحررت الشروط بينهما مشتملة على رعاية المصريين الذين هم الاقباط الآن رعاية عامة • وبذلك انتهى الفتح وابتدأ الدور الاسلامي من سنة ١٨ هجرية بدولة العرب في أفريقيا ثم بالدولة الأموية فالدولة العباسية الاولى فالدولة الطولونية فالدولة العباسية الثانية فالدولة الاخشيدية فالدولة الفاطمية فالدولة الايوبية فدولة المماليك الاولى فدولة المماليك الثانية فالدولة العثمانية التي تحكم البلاد المصرية الآن حكماً معنوياً لأن السلطة المطلقة هي في أيدي العائلة المحمدية العلوية والآن في أيدي عزيز مصر خديونا عباس باشا حاملي الثاني الذي ألقى أمور البلاد بين يدي الدولة الانكليزية التي أطلقت

حريتنا فأصبحنا في حال غير حال آبائنا وأجدادنا الاولين  
والى هنا انتهى بنا الكلام عن العشيرة الحامية والآن سنشرح شيئاً عن  
العشيرة الياقنية فنقول :

## الفصل السادس

### العشيرة الياقنية

هذه هي العشيرة الثالثة التي تناسلت من يافت بن نوح وكانت في مبدأها  
مستوطنة مع العشيرتين السالفتين الى ان حصل بينهم التزاحم والتنافر فالتجأت  
هذه للمهاجرة الى بلاد أوروبا واستوطنتها كما أجمع على ذلك أغاب المؤرخين .  
غير اننا لانعرف ليافت المذكور اولاداً خلاف سبعة أولاد نذكرهم  
كالاتي :

١ - جومر - وهو أصل القبائل القديمة التي توطنت في غابر الازمان حول  
بحر بنطس المشهور الآن بالبحر الاسود وفي شمال جزيرة المورة ببلاد اليونان .  
وقيل بأن هذا أعقب من الذرية ثلاثة أولاد : أولهم ( اشكناز ) وهو أبو القوم  
المعروفين باسم الجرمانيين أو الالمانيين والاسكاندينأويين حيث كانوا وقت ذلك  
منضمين مع بعض في الشمال الشرقي من البحر الاسود ثم استوطنوا أخيراً البلاد  
الموجودين فيها الآن . ثانيهم ( ريفاث ) وهو أبو القوم المعروفين باسم السلتيين  
والغالين الذين كانوا متوطنين أولاً في الجبال المسماة قديماً باسم جبال الريفنة  
والآن باسم جبال الكربات بأوروبا ثم انتشروا بعد ذلك في الجهة الغربية من أوروبا  
فتكوّنت منهم أسلاف الامة الفرنسية . ثالثهم ( توجرمة ) وهو أبو الأرمن  
كما ثبت ذلك من رواياتهم الماثورة وحكاياتهم التي لم تزل تداو لها ألسنتهم  
لغاية الآن

٢ - مأجوج - وهو الذي ذكره القرآن الشريف مصحوباً باسم يأجوج

حيث نفهم من تفصيل تاريخ بني اسرائيل أن قومه كانوا من المفسدين في الارض  
الذين سماهم يوسف المؤرخ اليهودي باسم السيتيين وكان معظمهم قاطناً في الجهات  
الشمالية من بلاد اوروبا وآسيا • وللمؤرخين أقوال عديدة في أصولهم نعلم منها  
ان أسلاف الترك الذين يحكمونها الآن هم من هؤلاء القوم

٣ - ماداي - لانهم عنه شيئاً يستحق الذكر

٤ - توبال - وهو أبو القوم المعلومين عند اليونانيين باسم ( التيبارينيين )

ولم يزل من نسلهم القبائل المقيمة لآن بجبال قوه قاف

٥ - ماشك - وهو مسوخ الذي هو أبو القوم المعبر عنهم في تاريخ هيرودوت

باسم المسوخيين الذين كانوا مقيمين في الاراضي الكائنة بين بلاد التيبارينيين  
المذكورين آنفاً واقليم أفريقية ببلاد آسيا الصغرى

٦ - تيراس - وهو أبو القوم المدعويين عند اليونان باسم ( الاتراسيين )

أعني بهم أهل أقليم تراسية القديمة وهي الجزء الشمالي الشرقي من ايلة الروملى

٧ - يوان - المعرب يونان - وهو أبو القوم اليونانيين الذين عند

ماهاجروا من آسيا انتشروا بجزائر الأرخبيل اليوناني التي من ضمنها جزيرة

كريد • وكذلك منهم القوم المعروفون الآن باسم الارنوؤوط وأغلب سكان بلاد

إيطاليا الاقدمين

هؤلاء هم أولاد يافث بن نوح الذين انتشروا بأوروبا وأقاموا ما أقاموه من

العصية والقبائل والدول والممالك التي أصبح لكل منها تاريخ مخصوص لو أردنا

ولوجه لطال الشرح وضاق بنا المقام

أولئك هم المعبر عنهم في هذا العصر بالفربيين الذين كانوا أولاً في جهاهم

يعمهمون وأصبحوا الآن في مجبوحة السعادة يمرحون بل أصبحت الدنيا لهم

خادمة أينما حلوا وكيفما شاؤوا حتى نسوا بل تناسوا حالتهم الاولى فوضعوا

أنفسهم في مصاف الملائكة كأن الله خالقهم فسوّاهم من طينة مخصوصة غير طينة  
 اخوانهم الساميين والهاميين فاستعبدوهم واسترقوهم استرقاقاً يشخص أمامنا  
 ما كان الانسان فيه أولاً من الجهالة الزائدة والاستعباد العقيم مع أنهم الآن في  
 وقت قد كثرت فيه العلوم والمعارف فاستنارت الافكار واستضاءت العقول  
 وبرزت أشعة المدنية من فوق رؤوسنا وأدلت لنا دلوها لنستقي منها ماء ذللاً  
 يسرى في شراييننا فيطهر أجسامنا وقلوبنا فتميش مع بعضنا عيشة الاخاء والمساواة  
 والراحة الثابتة الى أن تنتهي مأموريتنا في هذه الحياة الدنيا كما قضت بذلك عدالة  
 الله وإنسانية الخلق وضرورة الائتلاف والاجتماع . ولكن أنى لليافثيين يعرفون  
 ذلك وقد غلبت عليهم نشوة الكبرياء فلم يخطر على بالهم بل لم يعموا صهوبة ذلك  
 الاستعباد العقيم إلا أنهم معذورون في ذلك لأن الانسان من طبعه أميل للشر  
 أكثر منه الى الخير خصوصاً اذا ساعده الوقت وخدمه البخت فانه ينسى حالاً  
 ما حاق به وبغيره من الصعوبات والاهوال والمصائب فيستأثر بالسلطنة ويعامل  
 أخاه بمنتهى القدوة دون أن يلفت نظره لنتيجة ذلك على الاطلاق كأن قلبه  
 قد صيغ من حجر صلب أو حديد بارد

نقول ذلك ونحن لانعلم من أمرهم شيئاً واحداً بل نعلم أشياء كثيرة  
 لاتعد ولا تحصى كلها مخالفة لاوامر الله ومغايرة للدين بل للإنسانية على الاطلاق .  
 تلك التي أخصها إهراق الدماء ويتم الاطفال وفناء العائلات وخراب البيوت  
 بما يأتونه من الحروب المستمرة بل المجازر البشرية لاشئ عظيم أو عمل  
 مفيد بل حاجة في نفس يعقوب مبناهها الجشع وما لها الفخر الكاذب والسلطان  
 الموهوم

نعم مثلهم في ذلك كمثل أولئك الساميين والهاميين من عهد أن كوّن الله  
 الأكوان وخلق الخلق أجمعين الا اننا من جهة أخرى يلزمنا أن نراعي

ما كانت عليه الأزمنة الغابرة من التأخير فضلاً عن ان وقائعهم الحربية وخسائرهما خصوصاً قتلها العديدين في ذلك الوقت لم يكونوا شيئاً مذكوراً في جانب من أراءه الآن . والبرهان على ذلك يتضح مما بين أيدينا الآن من الآلات النارية السريعة الطلقات كالبنادق وأنواعها والخناجر وأشكالها والمدافع وقللها خصوصاً مدافع مكسيم التي تجندل في الدقيقة الواحدة آلافاً من طلقاتها فضلاً عن سهولة النقل وسرعة المواصلات التي تأتت حديثاً بإنشاء السكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات والأساطيل البحرية والوابورات الحربية التي تدك الأرض دكاً وتفتت الصخور تفثيتاً في أقل من لمح البصر . كل ذلك جعل في الحرب سهولة وفي الأقدام عليها جرأة وفي الفتك بعباد الله ذريعة كما حصل في القرن التاسع عشر بين الإنكليز والبوير وبين الروس واليابان مما شككت منه السماوات والأرضون وحزنت لأجله الجبال والوديان واقشعرت منه الأبدان كما ذكره الذاكرون وتحدث به المتحدثون

أجدادنا وآباؤنا ونحن جميعاً نعتقد بأن التقدم في معارج المدنية يكفر سيئات الانسان ويهديه النجدين فيمتنع عن المفسد والشور والاسف بينما نسمع عن الغربيين بأنهم قد بلغوا في المدنية شأواً بعيداً نراهم قد أفسحوا المجال للريذة وضيقوا الخناق على الفضيلة كأن لا تأثير لمدينتهم على ما جبل عليه الانسان من المفسد والشور

ذلك ما يبرهن لنا على أنهم لم يزالوا في الجاهلية الأولى وما مدينتهم المرئية الآن الا زخارف وهو واجب قد أضاتهم عن سواء السبيل فأتوا ما أتوه مما تمجه الأذواق وتأباه النفس وتخشاه الانسانية والآداب فاللهم اهدهم وارحمنا جميعاً وهي لنا من أمرنا رشداً حتى يستقيم الانسان على وجه العموم فيسهي في صلاح نفسه حالاً واستقبالاً إنك أنت الغفور الرحيم

﴿ فهرست ﴾

| صفحة                | صفحة                       |
|---------------------|----------------------------|
| ٢٧                  | ٣ المقدمة                  |
| ٢٨                  | ١٠ الكون                   |
| ٢٩                  | ١١ العالم الشمسي           |
| » البللوري أو البرد | ١٢ العالم الفرساوسي الجديد |
| » الملوّن           | ١٤ عمر الكون               |
| » السمكي            | ١٧ فناء الكون              |
| » الحجري            | ٢١ الكواكب السماوية        |
| الرعد               | ٢٢ تعدادها                 |
| البرق               | ٢٢ منافعها                 |
| الصاعقة             | ٢٢ الهواء                  |
| قارة آسيا           | ٢٢ طبقاته                  |
| الاقليم الشمالي     | ٢٣ تحركاته                 |
| » الغربي            | ٢٤ منافع حركته             |
| » الشرقي            | ٢٥ الارض                   |
| » الجنوبي           | ٢٥ شكلها                   |
| قارة أفريقيا        | ٢٦ دوراتها                 |
| » أوروبا            | ٢٦ النهار والليل           |
| » أمريكا            | ٢٧ السنة وأيامها           |
| » الشمالية          | ٢٧ الأشهر                  |
| » الوسطى            |                            |

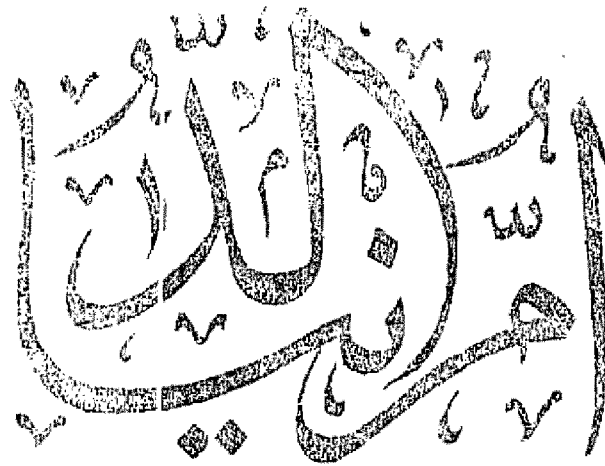
| صفحة | صفحة                      |
|------|---------------------------|
| ٤٨   | قارة الجنوبية             |
| ٤٩   | » استراليا                |
| ٥٠   | الكواكب المسكونة          |
| ٥١   | المرج                     |
|      | ﴿ الفصل الثاني ﴾          |
| ٥٦   | الانسان                   |
| ٥٨   | اصل الانسان               |
| ٦٧   | عقل الانسان               |
| ٦٩   | مركز العقل                |
| ٧١   | عقل الحيوان               |
| ٧٤   | المشيخة الأولى للانسان    |
| ٧٦   | لغة الانسان               |
| ٨٠   | اللغة الاولى للانسان      |
| ٨١   | عمر الانسان               |
|      | ﴿ الفصل الثالث ﴾          |
| ٨٧   | آدم ابو البشر عليه السلام |
| ٨٩   | قابيل وهابيل              |
| ٩١   | شيث عليه السلام           |
| ٩٢   | نوح                       |
| ٩٢   | الطوفان                   |
| ٩٥   | جبل ارارات                |
| ٩٦   | التبليد                   |
| ٩٧   | العشيرة السامية           |
| ٩٩   | هود عليه السلام           |
| ٩٩   | » صالح                    |
| ١٠٠  | » ابراهيم                 |
| ١٠٠  | » لوط                     |
| ١٠٦  | » اسحاق                   |
| ١٠٦  | » عيص                     |
| ١٠٦  | » يعقوب                   |
| ١٠٦  | » يوسف                    |
| ١٢٠  | » موسى                    |
| ١٢٥  | » يوشع                    |
| ١٢٦  | قضاة بني اسرائيل          |
| ١٢٨  | الياس عليه السلام         |
| ١٢٨  | » اليسع                   |
| ١٢٨  | » اشمويل                  |
| ١٢٨  | » داوود                   |
| ١٢٩  | » سليمان                  |
| ١٣١  | » يونس                    |
| ١٣٢  | » دانيال                  |
| ١٣٣  | عيسى عليه السلام          |
| ١٣٤  | محمد صلى الله عليه وسلم   |

| صفحة                    | صفحة                         |
|-------------------------|------------------------------|
| ١٥٣ العائلة الثامنة عشر | ١٣٧ الهجره                   |
| ١٥٤ » التاسعة عشر       | ﴿ الفصل الخامس ﴾             |
| ١٥٥ » العشرون           | ١٣٩ العشيرة الحامية          |
| ١٥٦ » الحادية والعشرون  | ١٤٢ الدولة المصرية           |
| ١٥٧ » الثانية والعشرون  | ١٤٣ الدور الجاهلي            |
| ١٥٧ » الثالثة والعشرون  | ١٤٣ العائلة الاولى           |
| ١٥٧ » الرابعة والعشرون  | ١٤٤ » الثانية                |
| ١٥٨ » الخامسة والعشرون  | ١٤٤ » الثالثة                |
| ١٥٨ » السادسة والعشرون  | ١٤٥ » الرابعة                |
| ١٥٩ » السابعة والعشرون  | ١٤٦ » الخامسة                |
| ١٥٩ » الثامنة والعشرون  | ١٤٦ » السادسة                |
| ١٦٠ » التاسعة والعشرون  | ١٤٧ » السابعة                |
| ١٦٠ » الثلاثون          | ١٤٧ » الثامنة                |
| ١٦٠ » الحادية والثلاثون | ١٤٧ » التاسعة                |
| ١٦١ » الثانية والثلاثون | ١٤٧ » العاشرة                |
| ١٦١ » الثالثة والثلاثون | ١٤٨ » الحادية عشر            |
| ١٦٢ » الرابعة والثلاثون | ١٤٨ » الثانية عشر            |
| ١٦٢ » الدور المسيحي     | ١٥١ » الثالثة عشر            |
| ١٦٣ » الدور الاسلامي    | ١٥١ » الرابعة عشر            |
| ﴿ الفصل السادس ﴾        | ١٥١ » الخامسة عشر            |
| ١٦٥ العشيرة الياقبيه    | ١٥١ » السادسة عشر            |
|                         | ١٥١ » السابعة عشر ( الرعاة ) |



﴿ مؤلفات المؤلف ﴾

| الحجاج         | (روايه) | نفدت                   |
|----------------|---------|------------------------|
| فاتمة الملوكة  | «       | «                      |
| كتاب أم الدنيا | (تاريخ) | ثمان النسخة ٥ غروش صاغ |
| « أبو الدنيا   | «       | «                      |
| « الاسلام      | »       | بدون طبع               |
| « الحياه       | (أدبي)  | بدون طبع               |



﴿ المرأة وحالتها من عهد الخليفة للآن ﴾

هو ذلك الكتاب الذي ينبك عن المرأة وحالتها من عهد الخليفة للآن  
ويشرح لك ما انتابها وما تقلب عليها من انواع التعاسة وضروب السعادة منتهياً  
ذلك بخلاصة ما تستحقه المرأة في الهيئة الاجتماعية على وجه العموم سواء كانت  
مسلمة أو مسيحية أو يهودية أو مجوسية أو غير ذلك من كل امرأة توجد  
تحت هذه القبة الزرقاء \* وهو يطلب من عموم المكاتب بمصر أو يطلب من  
مؤلفه حضرة الأديب على افندي احمد الشهيدي بنظارة الحرية بمصر